

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية الآداب

النيابة والتضمين في حروف الجر في القرآن الكريم

رسالة تقدمت بها الطالبة

رنا سفيان سلمان

إلى مجلس كلية الآداب في جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة
الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

أ.م.د. تحرر محمد مناحي

٢٠٠٥م

١٤٢٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

(وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما)

صدق الله العظيم

النساء: ١١٣

الإهداء

إلى المبعوث رحمته للعالمين سيدي (أبي القاسم) رسول الله (ص)
إلى أله الطيبين الطاهرين ،
إلى أصحابه الغر الميامين ،
إلى كل من جاهد في سبيل الله بعلمه وعمله وسلاحه ،
إلى كل من ضحى في سبيل الله بحريته ودمه وماله وولده ،
إلى والدي وأهلي جميعا ،
أهدي ثمرة جهدي

اقرار المشرف

اشهد ان الرسالة الموسومة بـ(النيابة والتضمين في حروف الجر في القرآن الكريم) التي اعدتها الطالبة (رنا سفيان سلمان) جرت باشرافي في قسم اللغة العربية في كلية الاداب /جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وادابها.

التوقيع :

الاسم :أ.م.د تحرير محمد مناحي

التاريخ : / / ٢٠٠٥

بناء على التوصيات المتوفرة ارشح هذه الرسالة للمناقشة

التوقيع :

الاسم:

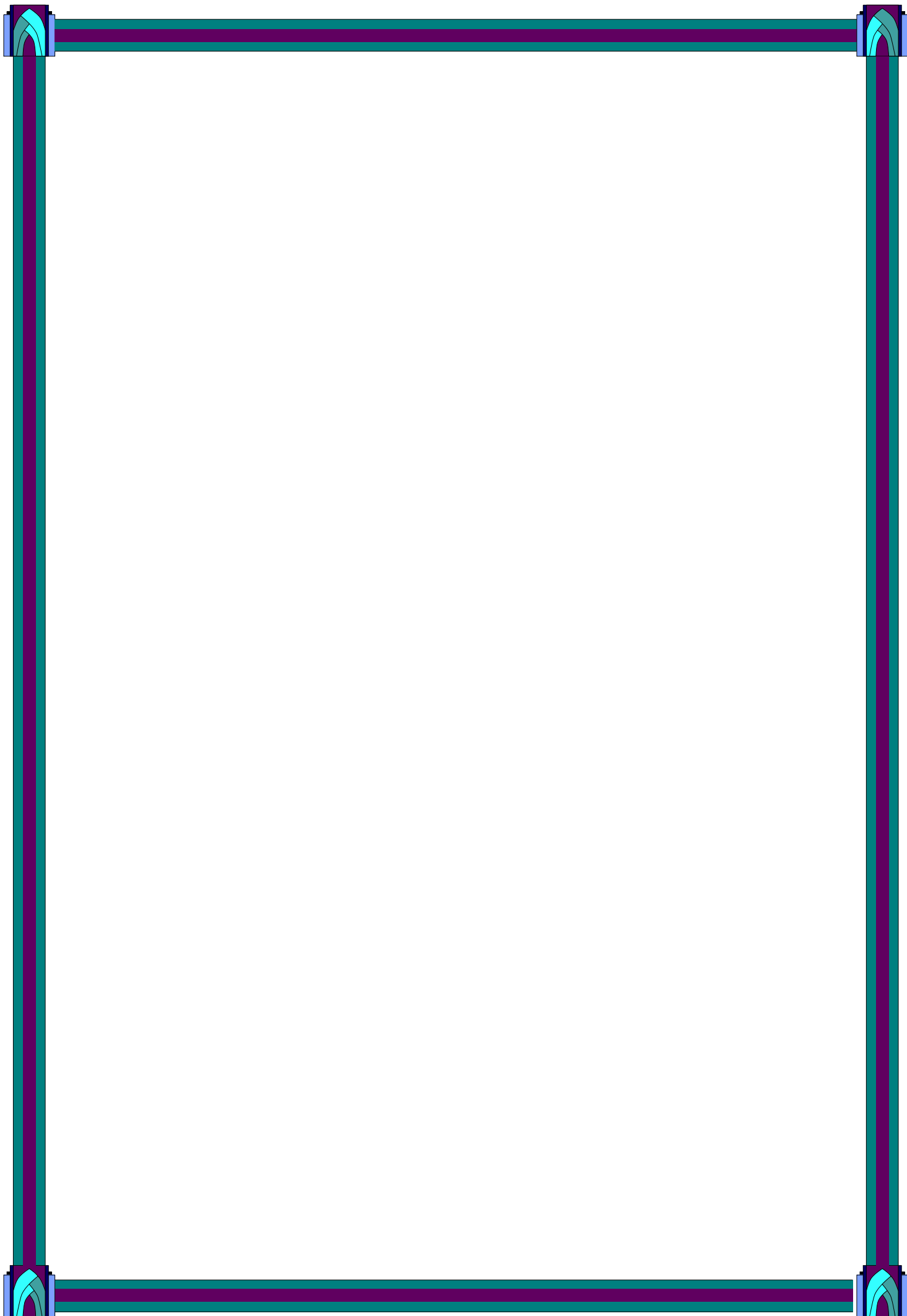
رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: / / ٢٠٠٥

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١-٣
التمهيد	٤-١٣
الحرف (لغة)	٤
الحرف اصطلاحاً	٤
انواع الحروف	٧
تسمية حروف الجر	٨
حروف الجر بين الاتفاق والاختلاف	٩
حروف الجر من حيث استعمالها	١٠
معاني حروف الجر	١١
الفصل الاول (النيابة)	١٤-٣٤
النيابة لغة	١٤
النيابة في الاصطلاح النحوي	١٤
المواضع التي لجئ فيها الى القول بالنيابة	١٥
الالفاظ والعبارات الدالة على مصطلح النيابة	١٦
النيابة من الوجهه البلاغية	٢١
اراء العلماء بالنيابة	٢٢
اغراض القول بالنيابة	٣٣
ماخذ القول بالنيابة	٣٤
الفصل الثاني (التضمن)	٣٥-٥٣

٣٥	التضمنين لغة
٣٥	التضمنين اصطلاحا
٣٧	المواضع التي لجئ فيها الى القول بالتضمنين
٣٩	الالفاظ والعبارات الدالة على مصطلح التضمنين
٤١	التضمنين من الوجهه البلاغية وقياساته
٤٣	اراء العلماء بالتضمنين
٥٣	اغراض القول بالتضمنين
٥٣	ماخذ القول بالتضمنين
١٤٤-٥٤	الفصل الثالث (الشواهد)
٥٤	الحرف الى
٦٤	حرف الباء
٧٦	الحرف على
٨٨	الحرف عن
٩٦	الحرف في
١١٢	حرف الكاف
١١٣	حرف اللام
١٢٩	الحرف من
١٥٧-١٤٥	الخلاصة
١٤٧-١٤٩	المصادر والمراجع
١٤٩	ثبت الكتب
١٥٧	ثبت الرسائل والاطاريح
١٥٧	ثبت الدوريات
	الخلاصة باللغة الانكليزية



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فقد حظي موضوعا النيابة والتضمين في حروف الجر باهتمام الدارسين قديما وحديثا ، فلا نكاد نجد كتابا أو موضوعا يتناول حروف الجر إلا وتطرق إلى موضوع النيابة فيها أو التضمين في العامل المتعلق بها .

أما الأسباب التي دعنتي إلى اختيار هذا الموضوع على الرغم من كثرة ما قيل فيه، فتعود أولا : إلى رغبتني في دراسة أحد الموضوعات المتعلقة بالقرآن الكريم، وثانيا : إلى توجيه د. كاصد الزيدي ، إذ أشار علي بدراسة (دعوى النيابة في القرآن الكريم) لما وجد أن هنالك رأيا يعود لأحد أساتذته ينفي وقوع النيابة وأن الحرف لا يغادر معناه .وبتتبعي لهذا الموضوع وجدت : أولا : أن موضوع النيابة لا ينفك عن موضوع التضمين ؛ لأن كل واحد منهما يكون غالبا أحد وجهي التأويل للنص محل الخلاف . وثانيا : أن أحد المحدثين وهو د. محمد حسن عواد في كتابه (التناوب في حروف الجر في لغة القرآن) عرض رأيه بنفي النيابة والتضمين، ووجه لبعض الشواهد القرآنية بما ينفي وقوع النيابة أو التضمين فيها ، وهو ما يقارب رأي د. كاصد الزيدي . ولكن على الرغم من أن د. محمد حسن عواد قد لفت الأنظار إلى مسألة نفي النيابة والتضمين وقدم بعض الأدلة المقنعة على عدم صحة القول بنياية حروف الجر بعضها عن بعض أو تضمين العامل معنى عامل آخر ليصح تعديه بهذا الحرف من دون ذاك ؛ غير أن هنالك مجموعة من الشواهد القرآنية أوردها د. محمد حسن عواد من دون أن يبين توجيهها مثال ذلك ، قوله تعالى : ﴿ وبالأسفار هم يستغفرون ﴾ [الذاريات: ١٨] وقوله تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، إذ قيل أن(الباء) فيهما بمعنى (في) ، في حين قيل أن (الباء) في قوله تعالى : ﴿ وامسحوا برؤوسكم ﴾ [المائدة: ٦] [بمعنى (من)، و (على) في قوله تعالى : ﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من

أهلها» [القصص : ١٥] بمعنى (في) ، أما في قوله تعالى ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ [البقرة : ١٧٧] و ﴿إِنْ رِبْكَ لَدُوْ مُغْفَرَةً لِلنَّاسِ عَلَى ظَلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] فقد قيل إن (على) فيهما بمعنى (مع) . فإن لم تكن هنالك نيابة في هذه الآيات، ولا يصح القول بالتضمنين، فما معنى هذه الحروف في هذه الآيات؟ وما سر استعمالها؟ والفرق بينها؟ ، وسبب إثارة هذا الحرف على ذاك في هذه الآيات؟ لذا وجدت أن هذا الموضوع يستحق أن يدرس وتمسكت به على الرغم من اعتراض بعض الأساتذة عليه ؛ لكثرة ما قيل فيه أو لعدم القدرة على الإتيان بشيء جديد - برأيهم - وهو ما ثبت عكسه خلال عرض هذا البحث ونتائجه . واقتضت طبيعة هذا الموضوع أن يكون البحث فيه يشتمل على : تمهيد وثلاثة فصول مختوما بـ خلاصة البحث ،

(التمهيد) : تناولت فيه معنى الحرف لغة واصطلاحاً، والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي ، وأقسام الحروف من ناحية الاختصاص وغير الاختصاص؛ إذ إن حروف الجر هي إحدى أنواع الحروف المختصة . ثم تناولت تسمية حروف الجر ، وحروف الجر بين الاتفاق والاختلاف ، وحروف الجر من حيث استعمالها ، ومعاني حروف الجر .

أما (الفصل الأول) : فقد تناولت فيه موضوع {النيابة} وبينت خلاله معنى النيابة لغة واصطلاحاً ، والمواضع التي لجئ فيها إلى القول بالنيابة، والألفاظ والعبارات الدالة على مصطلح النيابة ، والنيابة من الوجهة البلاغية، وأراء العلماء بالنيابة ، والذي ضم أبرز العلماء الذين وضع عندهم القول بالنيابة، وفائدة القول بالنيابة، ومآخذه .

في حين تناولت في (الفصل الثاني) : موضوع {التضمنين} وبينت خلاله : معنى التضمنين، لغة واصطلاحاً ، والمواضع التي لجئ فيها إلى القول بالتضمنين ، والألفاظ والعبارات الدالة على مصطلح التضمنين ، والتضمنين من الوجهة البلاغية، وأراء العلماء بالتضمنين والذي ضم أبرز العلماء الذين وضع عندهم القول بالتضمنين ، وفائدة القول بالتضمنين، ومآخذه .

أما (الفصل الثالث) فهو بعنوان { الشواهد } وهو الدراسة التطبيقية ، فقد تناولت فيه توجيه الآيات القرآنية التي قيل بوقوع النيابة والتضمين فيها بما يبين سر استعمال الحرف أو العامل المتعلق به ؛ لذا كان هذا الفصل اكبر فصول الرسالة .

ثم (الخلاصة) التي ضمت أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

وقبل البدء بتلك الصفحات ، يحق علي أن أسجل شكري وامتناني إلى الأستاذ الفاضل (د. كاصد الزيدي) الذي اقترح علي دراسة هذا الموضوع وفتح آفاق الموضوع أمامي . وإلى (د. تحرر محمد) التي أشرفت على هذا البحث فرعته بحسن التوجيه وسداد المشورة والملاحظات السديدة وبتقديم ما احتاجه البحث بعض المصادر ، وأتقدم بشكري الجزيل إلى (د. طه محسن) الذي لم ييخل على هذا البحث بالمصادر والتوجيه .

وإلى كل من ساعد على تسطير صفحات هذا البحث حتى استوى على سوقه أسأل الله تعالى أن يجزيهم عني خير جزاء المحسنين .

والله ولي التوفيق

الحرف (لغة) :

الحرف في الأصل: الطرف والجانب ، والحرف من كل شيء طرفه وشفيره وحده ، ومنه حرف الجبل ، وهو أعلاه المحدد ، والحرف من الإبل: هي النجبية الماضية التي أنضتها الأسفار شبهت بحرف السيف في مضائها ونجائها ودقتها ، وقيل : هي الضامرة الصلبة شبهت بحرف الجبل في شدتها وصلابتها ، وقد حورف كسب فلان إذا شدد عليه في معاشه كأنه ميل برزقه عنه ، ويقال : انحرف عنه وتحرف واحرورف أي مال وعدل ، والحرفة بالكسر : الطعمة والصناعة التي يرتزق منها ، وهي جهة الكسب ، وواحد حروف التهجي يسمى حرفاً^(١).

الحرف في اصطلاح النحويين:

اختلف النحويون في تعريف الحرف ، فأغلب النحويين يرون أن معنى الحرف في غيره؛ لذا تقارب تعريفهم للحرف وإن اختلفت العبارات بعض الشيء من نحوي لآخر، إذ عرف الزمخشري^(٢) مثلاً الحرف بأنه: " ما دل على معنى في غيره ، ومن ثم لم ينفك من اسم أو فعل يصحبه"^(٣) وتابعه في هذا المعنى ابن يعيش^(٤) وابن الحاجب^(٥)،

(١) ينظر الصحاح / ١٣٤٢-١٣٤٣ ، ولسان العرب / ١٢٧/٣-١٣٠ ، وتاج العروس / ١٢٨/٢٣-١٣٧ .

(٢) الزمخشري : هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري كان واسع العلم كثير الفضل ، غاية في الذكاء متقناً في كل علم ، من مؤلفاته (الكشاف) في التفسير ، و(المفصل) في النحو ، (المستقصى) في الأمثال ، (ت٥٣٨هـ) / ينظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة / ٢/ ٢٧٩-٢٨٠ .

(٣) المفصل / ٢٨٣ .

(٤) ابن يعيش : هو أبو البقاء يعيش بن علي موفق الدين بن يعيش كان من كبار علماء العربية ماهراً في النحو والتصريف ، حسن الفهم ، لطيف الكلام طويل الروح على المبتدئ والمنتهي ، صنف شرح المفصل وشرح تصريف ابن جني (ت٦٤٣هـ) . / ينظر بغية الوعاة / ٢ / ٣٥١-٣٥٢ . عرف الحرف بأنه: " كلمة دلت على معنى في غيرها " . / ينظر شرح المفصل / ٢/٨ .

(٥) ابن الحاجب : هو أبو عمرو عثمان بن عمر جمال الدين ابن الحاجب ، عالم نحوي بارع في الأصول ، حافظ للقرآن ، اشتهر بالتصانيف المنقحة ومنها الكافية وشرحها ونظمها ، والأمثال في النحو ، والإيضاح في شرح المفصل وغيرها (ت٦٤٦هـ) . / ينظر بغية الوعاة / ٢/ ١٣٤-١٣٥ . عرف الحرف بأنه : " ما دل على معنى في غيره " / ينظر الكافية في النحو / ٢ / ٣١٩ .

والرضي^(١) أما القسم الآخر من النحاة ، فقد جعل معنى الحرف في نفسه مثل ابن النحاس^(٢) وأبي حيان^(٣) إذ نسب إلى الأول زعمه أن الحرف دال على معنى في نفسه ، وأن الثاني تابعه في ذلك^(٤)، فهما على هذا لا يؤيدان التعريف الأول .

أما القسم الثالث فهو الذي لم يصرح بكون معنى الحرف في نفسه أو في غيره وهو غالبا ما ذهب إليه قدماء النحويين ، ابتداء بما نسب إلى الإمام علي (عليه السلام)^(٥)، من تعريف الحرف بأنه: "ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل"^(٦)، وما جاء به سيبويه^(٧) من تعريف الحرف بأنه : "ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل"^(٨)، كذلك الحال عند المبرد^(٩) الذي قال: "الكلام كله اسم وفعل وحرف جاء لمعنى"^(١٠).

(١) الرضي هو رضي الدين محمد بن الحسن الاسترآبادي صاحب شرح الكافية لابن الحاجب لقب ب(نجم الأئمة) وكان له في شرح الكافية اختيارات جمة ومذاهب انفرد بها (ت ٦٨٦ هـ) / ينظر بغية الوعاة ١ / ٥٦٧ .

عرف الحرف بأنه : الكلمة الدالة على معنى لا في نفسها / ينظر شرح الكافية في النحو ٧/١ .

(٢) ابن النحاس : محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر الإمام ، أبو عبد الله بهاء الدين ابن النحاس شيخ الديار المصرية في علم اللسان ، درس القراءات وسمع الحديث ، وله خبرة بالمنطق ، لم يصنف شيئا إلا ما أملاه شرحا لكتاب المقرب ، (ت ٦٩٨ هـ) / ينظر بغية الوعاة ١ / ١٣-١٤ .

(٣) أبو حيان : هو أبو حيان محمد بن يوسف أثير الدين الأندلسي الغرناطي ، نحوي عصره ومفسره ومحدثه ، أخذ العربية عن أبي الحسن الأبيدي وأبي جعفر بن الزبير وابن الصائغ وجماعة من النحويين من تصانيفه (الجر المحيط) في التفسير ، ومطول (الارتشاف) ومختصره و (غاية الإحسان) في النحو (ت ٧٤٥) .

ينظر بغية الوعاة ١ / ٢٨٠-٢٨٣ .

(٤) ينظر الأشباه والنظائر في النحو ٨/٣ .

(٥) علي (عليه السلام) : هو علي بن أبي طالب ، ابن عم الرسول (ﷺ) ، من أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء ، له خطب ورسائل وأقوال وأشعار كثيرة ، استشهد سنة (٤٠ هـ) ينظر الأعلام ١٠٧/٥ .

(٦) ينظر ، أمالي الزجاجي / ٢٣٨ ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، ٤/١ .

(٧) سيبويه : هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، إمام البصريين ، أخذ عن الخليل ويونس وعيسى بن عمر ، كان حسن التصنيف ومن يطلع على كتابه يجد فيه علما جما ، (ت ١٨٠ هـ) ، ينظر إنباه الرواة / ٣٤٦/٢ .

(٨) الكتاب ٤٠/١ .

(٩) المبرد : هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي البصري ، كان إمام العربية ببغداد في زمانه ، أخذ عن المازني والجرمي وأبي حاتم السجستاني وروى عنه إسماعيل الصفار ونفطويه والصولي ، من تصانيفه: الكامل والمقتضب والاشتقاق ، (ت ٢٨٥ هـ) / ينظر إنباه الرواة ٢٤١/٣ .

(١٠) المقتضب ٣/١ .

ولم تختلف العبارة كثيرا إلا عند ابن السراج^(١) الذي عرفه بأنه : "ما لا يجوز أن يخبر عنه ولا يجوز أن يكون خبرا"^(٢).

ويتأمل هذه الأقسام الثلاثة نجد أن سبب الاختلاف في التعريف الاصطلاحي للحرف يرجع إلى الاختلاف في فهم طبيعة معنى الحرف^(٣) والدليل على ذلك أن النحويين أنفسهم المختلفين في معنى الحرف لا يكادون يختلفون كثيرا في أن معنى الاسم والفعل في أنفسهما^(٤). أما العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، فقليل :

(١) ابن السراج : هو أبو بكر محمد بن السري بن السراج كان أحدث أصحاب المبرد سنا مع ذكاء وفطنة ، أخذ عنه أبو القاسم الزجاجي والسيرافي والفارسي من تصانيفه الأصول الكبير ، وشرح كتاب سيبويه (ت ٣١٦ هـ) / ينظر إنابة الرواة / ١٤٥/٣ ، وبغية الوعاة / ١٠٩/١ - ١١٠ (٢) الأصول / ٣٧/١ .

(٣) حاول العلماء من القدماء والمحدثين فهم وتفسير طبيعة معنى الحرف ، فقليل في ذلك أقوال مختلفة منها :
١. إن الحرف وحده (كلمة فارغة) لا معنى لها أصلا ولكن هذه الكلمة إذا دخلت في جملة كان لها معناها التركيبي الواضح الذي لا يتم معنى الجملة بدونه .

٢. إن الحرف لا معنى له أصلا لا المعنى الإفرادي المستقل ولا المعنى التركيبي غير المستقل، وإنما هو علامة فحسب تشير إلى أن مدخوله له هذا المعنى التركيبي المدعى للحرف وهو في هذا أشبه بالضمة أو الفتحة التي جعلتا علامة على أن مدخولهما (فاعل) أو (مفعول) .

٣. إن للحرف معنى هو المعنى نفسه للاسم والفعل أي: إن كلمة (من) تدل على ما تدل عليه كلمة (ابتداء) أو (ابتداء) وإن الواضع هو الذي اشترط أن تستعمل من (آلة لغيره)، ومعنى الابتداء مستقل عن غيره.

٤. إن الحرف دالة من دوال النسبة ، وإن معنى كلمة (من) يختلف عن معنى كلمة الابتداء ؛ لأن الابتداء ومشتقاتها كلمات تدل على معنى مستقل بنفسها وهو الابتداء المطلق أما (من) فهي كلمة فارغة لا تدل على معنى محدد إذا كانت منفردة ، أما إذا دخلت ضمن الجملة صار لها معنى تركيبى هو تلك الابتداءات الجزئية كابتداء السير من النجف في الجملة (سرت من النجف).

٥. إن معنى الحرف لا يوجد إلا عند الاستعمال وفي أثناء إدخال الحرف ضمن الجملة ولذلك سموه بالمعنى الإيجادي.

٦. إن معنى الحرف كمعاني الأسماء والأفعال موجود ذهني قبل الجملة ووجوده في الذهن يؤدي نفس الوظيفة التي يؤديها في الخارج من كونه رابطا بين معاني المفردات .

٧. إن الحرف أداة لتضيق وتحصيص المعاني الاسمية.
ولكل من هذه الآراء من يؤيدها كما أن لها من يعارضها ويردها / ينظر تفصيل ذلك في البحث النحوي عند الأصوليين / ٢٠٠-٢٣٩ .

(٤) ينظر كتاب سيبويه / ٤٠/١ ، وشرح المفصل / ٢/٨ ، والأشباه والنظائر / ٨/٣ .

سمي الحرف حرفا ؛ لأنه يأتي في أول الكلام وآخره في غالب الأمر ؛ فصار كالحرف والحد له^(١) ، أي الطرف الذي يحده عن غيره.
وقيل : لأنه طرف لما معناه فيه^(٢).

وقيل : لأنه طرف في الكلام وفضلة ، والحرف في اللغة هو الطرف ، فهو طرف في المعنى ؛ لأنه لا يكون عمدة ، وإن كان متوسطا في موقعه من الجملة.
وقيل : لأنه يأتي على وجه واحد ، والحرف في اللغة هو الوجه الواحد ؛ لأن الأصل في الحرف أن يوضع لمعنى واحد ، وإن قال بعضهم بالاتساع في استعماله.
وقيل : لأن الاسم قد يدل في حالة واحدة على معنيين مثل أن يكون فاعلا ومفعولا في وقت واحد ، كقولك : رأيت ضارب زيد ، ف(ضارب زيد) ، في هذه الحالة فاعل ومفعول ، والفعل أيضا يدل على معنيين الحدث والزمان ، أما الحرف فإنه يدل في حالة واحدة على معنى واحد^(٣).

أنواع الحروف

تقسم الحروف على قسمين :

١. حروف غير مختصة : وهي التي لا تختص بما تدخل عليه ، فلا تعمل ، مثل :

بل وهل وهمزة الاستفهام.

٢. حروف مختصة : وهي إما :

أ - أن تنزل من الكلمة منزلة الجزء منها ، فلا تعمل ، مثل (الألف واللام للتعريف ، والسين للاستقبال).

ب- أن لا تنزل من كلمة منزلة الجزء منها ، فتعمل^(٤) ، وتقسم الحروف العاملة على قسمين :

- القسم الأول : يعمل عملا واحدا فهو :

إما ناصب فقط ، كنواصب الفعل المضارع والّا في الاستثناء ، وواو مع عند من يراها عاملين.

ولما جار فقط ، وهو حروف الجر .

(١) ينظر سر صناعة الإعراب / ١٧/١ .

(٢) نشأة دراسة حروف المعاني / ١٦ .

(٣) ينظر الجنى الداني / ٨٨ .

(٤) ينظر منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك / ٢٣٤

ولما جازم فقط ، وهو حروف الجزم .

وليس في الكلام حرف يعمل الرفع فقط خلافا للفراء.(١).

- القسم الثاني : يعمل عملين وهو إن وأخواتها، وما الحجازية وأخواتها، وزاد بعض المتأخرين قسما آخر يجر ويرفع ، قال : وهو (لعل) خاصة على لغة بني عقيل(٢).

والذي يهمننا من هذا كله هو حروف الجر موضوع البحث .

تسمية حروف الجر

عرفت حروف الجر بأسماء أخرى مختلفة ف قيل: إنها سميت بـ: حروف الخفض ؛

لأنها تخفض الأسماء بعدها أي تجرها(٣).

و"حروف الصفات ، لأنها تقع صفات لما قبلها من النكرات "(٤).

و"حروف الإضافة ، لأنها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها "(٥).

لكن التسمية الأكثر شيوعا لها هي (حروف الجر) وقيل أنها سميت بهذا الاسم: إما "لأنها تجر معاني الأفعال إلى الأسماء أي توصلها إليها"(٦). أو "لأنها تعمل الجر فيكون المراد بالجر الإعراب المخصوص كما في قولهم حروف النصب وحروف الجزم"(٧). والراجح هو الأخير؛ لأن " معنى الجر هو جر الفك الأسفل إلى أسفل، إذ من المعلوم أن تسمية الحركات الضمة والفتحة والكسرة، وتسمية حالاتها الإعرابية من رفع ونصب وجر إنما هو قائم على أوصاف حركات الفم"(٨).

حروف الجر بين الاتفاق والاختلاف :

(١) وذلك في قوله : أن (لولا) ترفع الاسم الذي يليها في نحو (لولا زيد لأكرمتك) ومذهب البصريين أن لولا بعدها مرفوع بالابتداء/

ينظر الجني الداني / ٩٢ ومبحث (لولا) ، والفراء هو : يحيى بن زياد بن عبدالله بن مروان الديلمي ، أبو زكريا المعروف بالفراء ، كان

أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي أخذ عنه وعن يونس (ت٢٠٧هـ) / ينظر إنباه الرواة / ١٧-١٤/٤ ، وبغية الوعاة / ٣٣٣/٢ .

(٢) ينظر الجني الداني / ٩٢ .

(٣) ينظر شرح المفصل / ٧/٨ ، والأشباه والنظائر ١٨٤/٣ .

(٤) ينظر شرح المفصل ٧/٨ .

(٥) ينظر شرح المفصل ٧/٨ .

(٦) حاشية الصبان على شرح الأشموني / ٢٠٣/٢ .

(٧) حاشية الصبان / ٢٠٣/٢ .

(٨) معاني النحو / ٥/٣ .

تقسم حروف الجر على حروف جر متفق عليها ، وحروف مختلف فيها، فحروف
الجر المتفق عليها هي :

الباء^(١) ، وتاء القسم^(٢) ، وفي^(٣) ، واللام الجارة^(٤) ، ومن^(٥) ، و واو القسم^(٦).

أما حروف الجر المختلف فيها فهي :

همزة الاستفهام^(٧)، والهمزة المقطوعة^(٨) ، وإلى^(٩) ، وأيمن ولغاتها^(١٠) ، وبل^(١١) ،
وبله^(١٢) ، وحاشا^(١٣) ، وحتى^(١٤) ، وخلا^(١٥) ، ورب^(١٦) ، وعدا^(١٧) ، وعلى^(١٨) ،
وعن^(١٩) ، والفاء^(٢٠) ، والكاف^(٢١) ، وكى^(٢٢) ، ولعل^(٢٣) ، ولولا^(٢٤) ، ومتى^(٢٥) ،
ومذ^(٢٦) ، ومع^(٢٧) ،

(١) ينظر الجنى الداني / ١٠٢ .

(٢) ينظر الجنى الداني / ١١٧ .

(٣) ينظر الجنى الداني / ٢٦٦ .

(٤) ينظر الجنى الداني / ١٤٣ .

(٥) ينظر الجنى الداني / ٣١٤ .

(٦) ينظر الجنى الداني / ١٨٥ .

(٧) ينظر الجنى الداني / ٩٩ .

(٨) ينظر منهج السالك / ٢٣٣ .

(٩) ينظر الجنى الداني / ٣٧٣، ٢٦١ .

(١٠) ينظر الجنى الداني / ٣٢٤، ١٧٢، ٤٩٥ - ٤٩٧ .

(١١) ينظر الجنى الداني / ٢٥٤ - ٢٥٥ .

(١٢) ينظر الجنى الداني / مبحث بله .

(١٣) ينظر الجنى الداني / مبحث حاشا .

(١٤) ينظر الجنى الداني / ٤٩٨ .

(١٥) ينظر الجنى الداني / مبحث خلا .

(١٦) ينظر الجنى الداني / ٤١٧ .

(١٧) ينظر الجنى الداني / ٤٣٣ .

(١٨) ينظر الجنى الداني / ٤٤١ - ٤٤٤ .

(١٩) ينظر الجنى الداني / ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٢٠) ينظر الجنى الداني / ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢١) ينظر الجنى الداني / ١٣٢ - ١٤٠ .

(٢٢) ينظر الجنى الداني / مبحث كي .

(٢٣) ينظر الجنى الداني / مبحث لعل .

(٢٤) ينظر الجنى الداني / ٥٤٤ - ٥٤٧ .

(٢٥) ينظر الجنى الداني / ٤٦٨ .

(٢٦) ينظر الجنى الداني / ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٢٧) ينظر الجنى الداني / ٣١١ .

(١) ينظر الجنى الداني / ٣١٢ .

ومع^(١) ، ومنذ^(٢) ، وها التنبيه^(٣) ، وواو رب^(٤) .

حروف الجر من حيث استعمالها :

أما من حيث استعمالها فتقسم على ثلاثة أقسام :

الأول : ما استعملته العرب حرفا وغير حرف فأشرك في لفظه الأسماء والأفعال ، وهذا يقسم على :

١ . ما استعملته العرب حرفا واسما وهي :

إلى^(٥) ، وأيمن ولغاتها^(٦) ، وبله^(٧) ، ورب^(٨) ، وعن^(٩) ، والكاف^(١٠) ، ومتى^(١١) ، ومنذ^(١٢) ، ومع^(١٣) ، ومع^(١٤) ، ومنذ^(١٥) ، وها^(١٦) .

٢ . ما استعملته العرب حرفا وفعلا وهما :

خلا^(١٧) ، وعدا^(١٨)

٣ . ما استعملته العرب حرفا واسما وفعلا وهما :

حاشا^(١٩) ، وعلى^(٢٠) .

(٢) ينظر الجنى الداني / مبحث منذ .

(٣) ينظر الجنى الداني / ٣٤٤ .

(٤) ينظر الجنى الداني / ١٨٥-١٨٦ .

(٥) ينظر الجنى الداني / ٣٧٣، ٢٦١ .

(٦) ينظر الجنى الداني / ١٧٢ ، ٣٢٤ ، مبحث أيمن ، ومنهج السالك / ٢٣٣ .

(٧) ينظر الجنى الداني / مبحث بله .

(٨) ينظر الجنى الداني / ٤١٧ .

(٩) ينظر الجنى الداني / ٢٦٠-٢٦١ .

(١٠) ينظر الجنى الداني / مبحث الكاف .

(١١) ينظر الجنى الداني / مبحث متى .

(١٢) ينظر الجنى الداني / مبحث مذ .

(١٣) ينظر الجنى الداني / ٣١١ .

(١٤) الجنى الداني / ٣١٢ .

(١٥) ينظر الجنى الداني / مبحث منذ .

(١٦) ينظر الجنى الداني / مبحث ها .

(١٧) ينظر الجنى الداني / ٤١٤-٤١٥ .

(١٨) ينظر الجنى الداني / مبحث عدا .

(١٩) ينظر الجنى الداني / مبحث حاشا .

(٢٠) ينظر الجنى الداني / ٤٤١-٤٤٤ .

الثاني : ما استعملته العرب حرفا فقط ، ولم يشترك في لفظه الأسماء أو الأفعال
وهذا يقسم على قسمين أيضا :

أحدهما: ما الزم عمل الجر ، وهو كل من :
الباء^(١) ، وفي^(٢) ، ومن^(٣) .

الآخر : غير ملازم لعمل الجر ، وهو كل من :
همزة الاستفهام^(٤) ، والهمزة المقطوعة^(٥) ، ويل^(٦) ، والتاء^(٧) وحتى^(٨) ، والفاء^(٩) ،
وكي^(١٠) ، واللام^(١١) ، ولعل^(١٢) ، ولولا^(١٣) ، والواو^(١٤) .

معاني حروف الجر :

اختلف النحويون واللغويون والأصوليون في معاني حروف الجر^(١٥). ففي الوقت
الذي نجد فيه أحدهم يثبت لأحد الحروف معنى واحدا نجد آخر يثبت للحرف نفسه
أكثر من معنى .

فالحرف (في) مثلا أثبت له سببويه معنى واحدا هو الوعاء الذي أراد به الظرفية
، إذ يقول : " وأما (في) فهي للوعاء ، تقول (هو في الجراب) ،

(١) ينظر الجنى الداني / ١٠٢ .

(٢) ينظر الجنى الداني / ٢٦٦ .

(٣) ينظر الجنى الداني / ٣١٤ .

(٤) ينظر الجنى الداني / ٩٩ ، ومنهج السالك / ٢٣٣ .

(٥) ينظر منهج السالك / ٢٣٣ .

(٦) ينظر الجنى الداني / مبحث بل .

(٧) ينظر الجنى الداني / ١١٧ .

(٨) ينظر الجنى الداني / ٤٩٨ .

(٩) ينظر الجنى الداني / مبحث الفاء .

(١٠) ينظر الجنى الداني / مبحث كي .

(١١) ينظر الجنى الداني / ١٤٣ .

(١٢) ينظر الجنى الداني / مبحث لعل .

(١٣) ينظر الجنى الداني / مبحث لولا .

(١٤) ينظر الجنى الداني / مبحث الواو .

(١٥) ينظر المخصص / ١٤ / ٦٩ - ٦٤ ؛ والإحكام في أصول الأحكام / الآمدي / ١ / ٨٥ - ٨٧ ، والإحكام في أصول الأحكام / ابن

و(في الكيس)، و (هو في بطن أمه)، وكذلك (هو في الغل)؛ لأنه جعله إذ أدخله فيه كالوعاء له " (١) ، وجعل الاتساع في استعمال هذا الحرف راجعا إلى هذا المعنى بقوله : " وإن اتسعت في الكلام فهي على هذا ، وإنما تكون كالمثل يجاء به يقارب الشيء وليس مثله " (٢) .

في حين أثبت لها المبرد معنيين :
الأول : هو الوعاء وذلك بقوله : " ومن هذه الحروف (في) ومعناها : ما استوعاه الوعاء نحو قولك : الناس في مكان كذا ، وفلان في الدار ، فأما قولهم : فيه عيبان فمشتق من ذا ؛ لأنه جعله كالوعاء للعييب " (٣) .

أما المعنى الثاني: فهو (على) ومثل لذلك بقوله - تعالى - ﴿وَأَصْلَ بَّكُمْ فِي جُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] فجعلها بمعنى (على) . وكذلك قوله - عز وجل - ﴿لَهُمْ سُلَاطِمٌ يَنْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨] فقال : أي يستمعون عليه واستشهد بقول الشاعر (٤):
هم صلبوا العبد في جذع نخلة
فلا عطست شيبان إلا بأجدعا (٥)
في حين نجد أن الهروي (٦) قد أحصى لها ستة معانٍ هي:
(على ، ومع ، وبعد ، ومن ، وإلى ، والباء) (٧) .

وأحصى لها ابن هشام (٨) عشرة معانٍ هي :
(الظرفية ، والمصاحبة ، والتعليل ، والاستعلاء ، ومرادفة الباء ، ومرادفة إلى ، ومرادفة من ، والمقايضة ، والتعويض ، والتوكيد) (٩) .

(١) الكتاب ٣٤٨/٤

(٢) الكتاب ٣٤٨/٤

(٣) المقتضب ٤٥/١ - ٤٦ ، وينظر المقتضب ١٣٩/٤

(٤) ينظر الخصائص ٣١٣/٢ ، منسوب إلى امرأة من العرب ، والأمالي الشجرية ٢٦٧/٢ ، منسوب فيه إلى سويد بن أبي كاهل .

(٥) ينظر المقتضب ٣١٩/٢ .

(٦) الهروي : علي بن محمد أبو الحسن الهروي ، عالم في النحو والأدب واللغة ، صنف كتاباً ضخماً في النحو ، وله مختصر في النحو سماه

(المرشد) (ت ٤١٥هـ) / ينظر إنباه الرواة ٣١١/٢ ، وبغية الوعاة ٢٠٥/٢ .

(٧) ينظر الأزهية ٢٧٧ - ٢٨٢ .

(٨) ابن هشام : أبو محمد جمال الدين الجنبلي عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري قال عنه ابن خلدون :

ما زلنا ونحن بالمغرب نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له ابن هشام أخى من سيويه (ت ٧٦١ هـ) / ينظر بغية الوعاة ٢/٢

٦٨ - ٧٠ .

(٩) ينظر مغني اللبيب عن كتب الأعراب ١/ ٢٢٣ - ٢٢٦

وكما اختلفت معاني الحروف بين العلماء اختلفت أيضا عند العالم الواحد نفسه بين أن يثبت لأحد الحروف معنى واحدا ، ويثبت لآخر أكثر من معنى ، فإذا كان سيبويه - كما قلنا - قد أثبت للحرف (في) معنى واحدا نجد أنه أثبت لحرف آخر مثل (من) أربعة معانٍ هي:

(الابتداء، والتبعيض، والتوكيد، والغاية) ^(١).

فأدى هذا الاختلاف في فهم معاني الحروف إلى الاختلاف في توجيه النصوص وبيان معانيها ودلالاتها ؛ ومن ثم الاختلاف في القول بنبابة حروف الجر بعضها عن بعض، أو بتضمين العوامل معاني عوامل أخرى^(٢)، أو إيجاد تأويل والبحث عن أسرار الحرف في السياق بإثبات معنى واحد للحرف من دون القول بالنبابة أو التضمين .

(١) ينظر الكتاب ٤/ ٣٤٧ .

(٢) ينظر الجني الداني ١٠٨ - ١٠٩ ، ومغني اللبيب / ١ / ١٥٠ - ١٥١ ، وحاشية شرح التصريح على التوضيح / ٢ / ٤ -

الفصل الاول

قلنا إن الاختلاف في معاني الحروف أدى إلى القول بنباية حروف الجر بعضها عن بعض ، وهو ما سنحاول كشف ملامحه في هذا الفصل .

النباية (لغة) :

هي أحد المصادر الثلاثة للفعل الثلاثي (ناب) ، جاء في لسان العرب :
" وناب عني فلان ينوب نوبا ومنابا ، أي: قام مقامي ، وناب عني في هذا الأمر نباية ، إذا قام مقامك "(١)

النباية في الاصطلاح النحوي :

هي إسقاط أحد عناصر التركيب الجملي الذي يستدل عليه من الأصل المفترض لهذا التركيب المستعمل الذي تقتضيه قواعد التركيب في العربية، ولحلل عنصر آخر محله في الاستعمال ، فيأخذ عنه كثيرا من خصائصه لا كلها، لأنه ليس إياه(٢).

ويشمل هذا التعريف نباية الأفعال ونباية الأسماء، ونباية الحروف ، والذي يهمنا هو النوع الثالث ، وهو نباية الحروف وتحديدًا النباية في حروف الجر ، إذ يكاد مصطلح النباية يختص بهذا النوع الأخير الذي نتحدث عنه ، فحديث النحويين عن نباية الحروف بعضها عن بعض يكاد يكون مقصورا على حروف الجر ، فنجدهم خصوها ببحوث مستقلة في موضوعات وفصول وأبواب ، وفي كتب أحيانا؛ لبروز هذه الظاهرة فيها ؛ ولتعدد هذه الحروف وكثرة استعمالاتها في سياقات مختلفة متعددة ومتنوعة ، على الرغم من أن المتصفح لكتب النحو واللغة يقف على أمثلة لحروف أخرى قيل بتعدد معانيها ، مثال ذلك :

الحرف (أو) الذي ذكر له النحويون معاني متعددة وأوصلوها إلى ثلاثة عشر معنى(٣) . وعلى هذا يكون المقصود بالنباية في حروف الجر : هو إسقاط حرف

(١) لسان العرب /١٤/ ٣١٨ .

(٢) ينظر ظاهرة النباية في العربية / عبدالله صالح عمر / ١٤ .

(٣) مثال ذلك : قيل أن (أو) تكون بمعنى (واو النسق) كقوله - تَعَالَى عَلَيْنَا اَنُفِصَّكُمْ اَن تَاْكُلُوْا مِنْ بُلْيُوتِكُمْ اَوْ بُلْيُوتِ اَبَائِكُمْ ﴿النور: ٦١﴾ ، فكأنه قال : وبيوت آبائكم ، وقد تكون بمعنى (ولا) كما في قوله - تعالى - : ﴿لَا تَطْعَمْنَهُمْ اِثْمًا اَوْ كُفُورًا﴾ [الدهر: ٢٤] فكأنه قال : اثمًا ولا كفورا ، وتكون بمعنى (بل) كقوله - تعالى - ﴿وَاَرْسَلْنَاهُ اِلَى مِائَةِ اَلْفٍ اَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] معناه : بل يزيدون / ينظر : الأزهية / ١١٥-١٣٠ ، ومعنى اللبيب / ١-٨٧-٩٥ ، وظاهرة النباية في العربية / ٢٨٩ .

الجر من التركيب الجملي الذي يستدل عليه من الأصل المفترض لهذا التركيب المستعمل الذي تقتضيه قواعد التركيب في العربية ، ولحلل حرف جر آخر محله في الاستعمال ، فيأخذ عنه كثيرا من خصائصه لا كلها ؛ لأنه ليس إياه .

المواضع التي لحيء فيها إلى القول بالنيابة :

اختلفت المواضع التي لحيء فيها إلى القول بالنيابة ، ولعل أبرز تلك المواضع

هي:

١ . حينما يتعدى الفعل بحرف ليس من شأنه أن يتعدى به ، مثال ذلك قوله - تعالى - : ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] إذ قيل إن (إلى) هنا بمعنى (مع)^(١).

٢ . حينما يكون حرف الجر قد تعدى إلى ما ليس من شأنه أن يتعدى إليه كأن لا يكون هنالك فعل، أو أن يكون هنالك فعل يتعدى بهذا الحرف ولكن ليس مما يتعدى الى المجرور به^(٢). مثال الأول : قول عنتره^(٣):

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوأم

فقيل : (في سرحة) بمعنى (على سرحة) ؛ " وذلك لأن السرحة لا تنشق فتستودع الثياب ولا غيرها ، وهي بحالها سرحة"^(٤).

ومثال الثاني : قوله - تعالى - : ﴿وَلَأَصْلَحَ بَّكُمْ فِي جُنُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]^(٥).

فسبب القول بالنيابة - عند من يرى أن هنالك نيابة في هذين المثالين - هو : أن مدخول الحرف (في) لا يصلح للظرفية ، فلو قلنا في غير القرآن : لأصلبنهم في معتقلاتهم . لما كان هنالك داع إلى التأويل في الحرف^(٦)، وكذلك الحال في قول عنتره ، فلو قلنا : (ثيابه في الغرفة) ، لما قيل : أن (في) هنا بمعنى (على).

الألفاظ والعبارات الدالة على مصطلح النيابة :

(١) ينظر منهج السالك / ٢٤٣ .

(٢) ينظر من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم / محمد أمين الخضري / ١٦ .

(٣) ينظر ديوان عنتره / ٢١٢ .

(٤) الخصائص / ٣١٢/٢ .

(٥) ينظر الجنى الداني / ٢٦٦ .

(٦) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٨-١٩ .

استعمل القائلون بالنيابة ألفاظا وعبارات مختلفة للتعبير عن نيابة حروف الجر بعضها عن بعض ، ومن هذه الألفاظ والعبارات :

١. (قد يقع الحرف كذا موقع الحرف كذا) :

ف نجد أن سيبويه مثلا حين تكلم على الحرف (عن) قال : "وقد تقع (من) موقعها أيضا ، تقول : (أطعمه من جوع) ، و (كساه من عري) ، و (سقاه من العيمة)"^(١).

٢. (العرب تجعل الحرف كذا موضع الحرف كذا) :

إذ قال الفراء في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَأَخَذُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﴾ [هود : ٢٣] :
" معناه تخشعوا لربهم وإلى ربهم ، وربما جعلت العرب (إلى) في موضع (اللام)"^(٢).
٣. (يصلح الحرف كذا مكان الحرف كذا) :

قال الفراء في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾ [النور : ٦١] : " و (في) تصلح مكان (على) ههنا ، كما تقول : ليس على صلة الرحم ، وإن كانت قاطعة إثم وليس فيها إثم ، لا تبالي أيهما قلت"^(٣).
٤. (كأن الحرف كذا الحرف كذا) :

قال الفراء في قوله - تعالى - : ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ ﴾ [نوح : ٤] :
" فكأن (من) : (عن) ، كما تقول : اشتكيت من ماء شربته ، وعن ماء شربته"^(٤).
٥. (قوله كذا معناه كذا) :

قال الفراء في تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَوَعَىٰ جُذُوبُهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٩١] : " فلجنبه وعلى جنبه سواء"^(٥). وقال في تفسير قوله - عز وجل - :
﴿ وَبَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غُظَّةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [القصص : ١٥] : "والمعنى في غفلة، أدخلت فيه (على) ولو لم تكن كان صوابا"^(١) ، وكذلك في قوله - تعالى - : ﴿ يَرْزُقْكُمْ فِيهِ ﴾ [الشورى : ١١] قال : "معنى (فيه) : أي (به)"^(٢).

(١) الكتاب ٣٤٩/٤ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٩/٢ .

(٣) المصدر نفسه ٢٦١/٢ .

(٤) المصدر نفسه ١٨٧/٣ .

(٥) المصدر نفسه ٢٥٠/١ .

٦. (تعاقب حروف الجر) :

يقول الفراء في تفسير قوله - تعالى - : ﴿كَتَبْنَا عَلَى النَّاسِ﴾ [المطففين : ٢]: "يريد اکتالوا من الناس ، وهما تعتقبان : (على) و (من) في هذا الموضع" (٣). كما قال ابن السراج بعد أن بين المواضع التي يجوز أن تقع فيها نيابة بعض حروف الجر عن بعضها الآخر ، قال : "فهذا حقيقة تعاقب حروف الخفض" (٤).

٧. (مجاز الحروف أو الأدوات) :

عبر أبو عبيدة (٥) عن النيابة بـ(مجاز الأدوات) ، ومثل لذلك بقوله - تعالى - ﴿وَلَا صَلَاحٌ لَّكُمْ فِي جُوعِ النَّحْلِ﴾ [طه : ٧١] ، فقال : معناه على جذوع ، ويقول - تعالى - : ﴿ذَا كَتَبْنَا عَلَى النَّاسِ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [المطففين : ٢] قال : معناه (من الناس) (٦) .

وقال ابن هشام : " على أن البصريين ومن تابعهم يرون في الأماكن التي ادعيت فيها النيابة أن الحرف باق على معناه ، وأن العامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف ؛ لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف" (٧). وعبر عنه اخرون كما سنبين بالاتساع (٨)

(١) معاني القرآن للفراء / ٢ / ٣٠٣ .

(٢) المصدر نفسه / ٣ / ٢٢٠ .

(٣) المصدر نفسه / ٣ / ٢٤٦ .

(٤) الأصول / ١ / ٤١٤ - ٤١٥

(٥) أبو عبيدة : معمر بن المثنى اللغوي البصري ، وهو أول من صف غريب الحديث ، وكان أعلم من الأصمعي وأبي زيد الأنصاري بالأنساب والأيام ، من مؤلفاته مجاز القرآن والأمثال في غريب الحديث ، (ت ٢١٠ هـ) / ينظر بغية الوعاة / ٢ / ٢٩٤ - ٢٩٦ .

(٦) ينظر مجاز القرآن / أبو عبيدة / ١ / ١٤٠ .

(٧) مغني اللبيب / ٢ / ٨٦١ .

(٨) ينظر البحث ص ١٩ .

(١) الأخفش : سعيد بن مسعدة كان من أحفظ من أخذ عن سيبويه ، وكان من أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل ، وضع كتاب معاني القرآن (ت ٢١٥ هـ) / ينظر إنباه الرواة / ٢ / ٣٦ - ٤٠ ، وبغية الوعاة / ١ / ٥٩٠ - ٥٩١ .

٨. (الحرف كذا في معنى الحرف كذا) :

يقول الأخفش^(١) : "الباء في معنى (على) في قوله مررت به ومررت عليه ، وفي كتاب الله - عز وجل - ﴿مَنْ إِنْ تَأْمَنُ بِدِينَارٍ﴾ [آل عمران : ٧٥] يقول : على دينار ، وكما كانت (في) في معنى (على) نحو ﴿ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١] يقول على جذوع النخل"^(٢).

٩. (دخول بعض الصفات مكان بعض):

وهي التسمية التي أطلقها ابن قتيبة^(٣) في كتابه (تأويل مشكل القرآن) على الباب الذي تناول فيه موضوع النيابة^(٤)، كما أطلق ابن سيده^(٥) التسمية نفسها على الفصل الذي تناول فيه الموضوع نفسه في كتابه المخصص^(٦) .

١٠. (دخول الإضافة بعضها على بعض) :

فنجذ المبرد مثلا يقول : " كما تدخل الإضافة بعضها على بعض " ويستشهد لذلك بالأمثلة الدالة على معنى النيابة^(٧).

١١. (إبدال حروف الخفض بعضها من بعض) :

يقول المبرد " وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع "^(٨) .

١٢. (الاتساع في الحروف) :

(٢) معاني القرآن / الأخفش / ٢ / ٩ .

(٣) ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم الدينوري النحوي اللغوي الكاتب ، كان رأسا في العربية واللغة والخبار وأيام الناس ، عالما بالنحو وغريب القرآن والشعر والفقه ، (ت ٢٧٦ هـ) / ينظر إنباه الرواة / ١٤٣-١٤٧ وبغية الوعاة / ٦٣-٦٤ .

(٤) ينظر تأويل مشكل القرآن / ٥٦٧ .

(٥) ابن سيده : على بن أحمد بن سيده اللغوي النحوي الأندلسي ، أبو الحسن الضرير ، كان حافظا ، ولم يكن في زمانه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بها . متوفرا على علوم الحكمة ، (ت ٤٥٨ هـ) / ينظر إنباه الرواة / ٢ / ٢٢٥-٢٢٧ ، وبغية الوعاة / ١٤٣ .

(٦) ينظر المخصص / ١٤ / ٦٤ .

(٧) ينظر المقتضب / ٣١٩/٢ .

(٨) الكامل / المبرد / ٣ / ٩٧ ، وينظر المقتضب / ٢ / ٣١٩ .

وهو التعبير الذي استعمله ابن السراج للدلالة على معنى النيابة ، إذ قال في حديثه عن حروف الجر : " واعلم أن العرب تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض" (١). وتابعه من المحدثين د.فاضل السامرائي بقوله عن حروف الجر : " وقد تقترب المعاني من بعضها أو يتوسع في استعمال المعنى ، فيستعمل بعضها في معنى بعض أو قريب منه " (٢).

١٣ . (استعمال حروف الجر بعضها مكان بعض) :

وهي التسمية التي أطلقها ابن جني (٣) على الباب الذي عقده في كتابه (الخصائص) ، تناول فيه موضوع النيابة (٤).

١٤ . (دخول حروف الخفض بعضها مكان بعض) :

وهي التسمية التي أطلقها الهروي على الباب الذي تناول فيه موضوع النيابة في كتابه (الأزھية في علم الحروف) (٥).

١٥ . (قيام بعض حروف الجر مقام بعض) :

وهي التسمية التي أطلقها ابن الشجري (٦) ، في أماليه على الفصل الذي تناول فيه موضوع النيابة (٧) ، كما عبر الرضي الاسترأبادي عن المعنى نفسه بعبارة : (إقامة بعض حروف الجر مقام بعض) في شرحه الكافية (٨).

١٦ . (التضمن في حروف الجر) :

قال أبو حيان في تفسيره (البحر المحيط) عن نيابة حرف جر عن حرف آخر :
"وهذا ليس بجيد ، لأنه تضمن في الحروف" (١).

(١) الأصول / ١ / ٤١٤ .

(٢) معاني النحو / ٨ / ٣ .

(٣) ابن جني : هو أبو الفتح عثمان بن جني ، كان من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والصرف ، وعلمه بالصرف أقوى وأكمل من علمه بالنحو ، من مؤلفاته : (الخصائص) و(سر صناعة الإعراب) في النحو ، (ت ٣٩٢ هـ) / ينظر إنباه الرواة / ٢ / ١٣٢ .

(٤) ينظر الخصائص / ٢ / ٣٠٦ .

(٥) ينظر الأزھية / ٢٧٧ .

(٦) ابن الشجري: أبو السعادات ، هبة الله بن علي بن محمد بن علي بن عبدالله ، أوحّد زمانه في العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها من مؤلفاته (الأمالي) و (كتاب الحماسة) (ت ٥٤٢ هـ) / ينظر إنباه الرواة / ٣ / ٣٥٦-٣٥٧ وبغية الوعاة / ٢ / ٣٢٤ .

(٧) ينظر الأمالي الشجرية / ٢ / ٢٦٧ .

(٨) ينظر شرح الكافية / ٢ / ٣٢١ .

وقال الباحث خليل إسماعيل العاني: " اتضح لنا مما تقدم أن من الممكن أن نطلق على استعمال حرف مكان حرف (تضمينا)"^(٢)، وجعل عبد الفتاح أحمد الحموز من أنواع التضمين : (تضمين الحروف معاني أخرى) وأراد به النيابة^(٣)، كما عبر د.إبراهيم السامرائي عن النيابة بالتضمين بقوله : " فأول مجال للتضمين هو حروف المعاني أو حروف الصفات"^(٤).

١٧. (موافقة الحرف كذا للحرف كذا) :

مثال ذلك ما أورده المرادي^(٥) في كتابه (الجنى الداني) من موافقة (إلى) لمعنى(اللام) في قوله - تعالى - : ﴿ وَالْأُمُّ إِدْكَ ﴾ [النمل: ٣٣] ^(٦)، وكذلك الحال عند ابن هشام حينما جعل من معاني (على) موافقة (الباء) في قوله - تعالى - : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾ [الأعراف: ١٠٥] ^(٧).
١٨. (مرادفة الحرف كذا للحرف كذا) :

مثال ذلك حينما أورد ابن هشام في معاني الحرف (عن) مرادفة (من) ، وجعل من أمثلة ذلك قوله - تعالى - : ﴿ هُوَ الَّذِي يُقِلُّ الثَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [الشورى : ٢٥] ^(٨).

١٩. (التعاور في حروف الجر) :

يقول د.فاضل السامرائي عن هذا الموضوع : "ولكن قد يقترب معنيان أو أكثر من معاني الحروف فتتعاور الحروف على هذا المعنى"^(٩).

(١) تفسير البحر المحيط / ٤ / ٤٠٩ .

(٢) التضمين بين حروف الجر في القرآن الكريم / ٢٧ .

(٣) ينظر التأويل النحوي في القرآن الكريم / ١٢٥٦/٢ .

(٤) النحو العربي نقد وبناء / ١٦٢ .

(٥) المرادي : الحسن بن قاسم بن علي المرادي المعروف بابن أم قاسم ، اتقن العربية والقراءات ، له شرح التسهيل وشرح المفصل (ت

٥١٧هـ) / ينظر بغية الوعاة / ١ / ٥١٧ .

(٦) ينظر الجنى الداني / ٣٧٤ .

(٧) ينظر مغني اللبيب / ١ / ١٩٢ .

(٨) ينظر مغني اللبيب / ١ / ١٩٨ .

(٩) معاني النحو / ٧/٣ ، وينظر معاني النحو / ٩/٣ .

كما أطلق الباحث محمد فاضل اسم (تعاور الحروف) على الموضوع الذي تناول فيه دراسة بعض الآيات التي قيل إن الحرف فيها بمعنى حرف آخر ومنها حروف الجر^(٢).

٢٠. (التقارض) :

يقول د. أحمد محمد عبد الله : " في بعض الأحيان قد يفيد الحرف معنى من المعاني ليس أصلاً في إفادته ، وإفادة الحرف معنى يختص به حرف آخر يعد عند بعض العلماء من باب التقارض بينهما ، فكأن الحرف أقرضه هذا المعنى"^(٣).

٢١. (التأوب) :

إذ نجد مثلاً أن د. محمد حسن عواد أطلق على كتابه الذي بحث فيه موضوع النيابة اسم (التأوب في حروف الجر في لغة القرآن)^(٤).

النيابة من الوجهة البلاغية :

بين بعض القائلين بالنيابة رأيهم فيها من الناحية البلاغية، مثل أبي عبيدة ، إذ رأى فيها نوعاً من أنواع المجاز يقع في الأدوات، وذلك بقوله : " ومن مجاز الأدوات اللواتي لهن معان في مواضع شتى فتجيء الأداة منهن في بعض تلك المواضع لبعض تلك المعاني، قال: ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَوْضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ﴾ [البقرة: ٢٦] فمعناه: فما دونها، وقال: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ تَحَاهَا﴾ [النازعات: ٣٠] ، فمعناه: مع ذلك، وقال: ﴿وَأَصْلَابَكُمْ فِي جُنُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، فمعناه: علجذوع النخل، وقال: ﴿إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾ [المطففين: ٢]، معناه من الناس، وقال ﴿وَهَٰذَا الْأَنْهَارُ تُجْرِي مِنْ تَحْتِ أَفْلا تَبْصُرُونَ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢]، معناه : بل أنا خير^(١) ، وتابعه في ذلك ابن السراج، ود. فاضل السامرائي إذ عوفاً نوعاً من أنواع الاتساع في الحروف"^(٢).

(٢) دراسة التشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل / ٩٧ .

(٣) مجلة الجامعة الإسلامية / ظاهرة التقارض في النحو العربي / ٢٥٦ .

(٤) التأوب في حروف الجر في لغة القرآن .

(١) مجاز القرآن / ١٤ / ١ .

(٢) ينظر الأصول / ١٤ / ١ ، ومعاني النحو / ٨ / ٣ .

(٣) يقول ابن هشام على سبيل المثال في كتابه مغني اللبيب / ١٥٠ / ١ - ١٥١ : " مذهب البصريين أن حروف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بقياس ، كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك ، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤولا تأويلا يقبله اللفظ ، كما قيل في

أراء العلماء بالنيابة :

نسب القول بالنيابة إلى الكوفيين^(٣)، في حين أننا لو تتبعنا أراء النحاة لوجدنا أن هذا القول غير دقيق ، فأحد قدماء النحويين البصريين وهو : (يونس بن حبيب)^(٤) : روي عنه أنه جعل : (من) بمعنى (الباء) في قوله - تعالى - ﴿ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى: ٤٥] ، وفي قوله - تعالى - : ﴿ يَخْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد: ١١]^(٥) ، و(على) بمعنى (الباء) في (ظفرت عليه) ، قال: أي به ، و(على) بمعنى(عن) ، فجعل (رضيت عليه) بمعنى عنه^(٦) . وجاء في لسان العرب : " زعم يونس أن العرب تقول : (نزلت في أبيك) ، يريدون : عليه ، قال : وربما تستعمل بمعنى (الباء) ، وقال زيد الخيل^(٧) : ويركب يوم الروع منا فوارس بصيرون في طعن الأباهر والكلبي^(٨) . (سيبويه) :

أما سيبويه فقد أثبت لكل حرف من حروف الجر معنى واحدا غير أنه أثبت إلى جانب اثنين منها معاني أخرى وذلك :
١ . حينما أثبت للحرف (من) إلى جانب معنى الابتداء ثلاثة معان أخرى هي : التبويض والتوكيد والغاية^(٩) .

﴿ وَلَا صَلَّيْتُمْ فِي جُلُوعِ النَّحْلِ ﴾ [طه: ٧١] أن (في) ليست بمعنى (على) ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء ، وإما على تضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف ، كما ضمن بعضهم (شرين) في قوله :
شرين بماء البحر

معنى (روين) ، و(أحسن) في ﴿ وَفَدَّ أَحْسَنَ بِي ﴾ [يوسف: ١٠٠] معنى (لطف) ، وإما على شذوذ إنابه كلمة عن أخرى ، وهذا الأخير هو مجمل الباب كله عند الكوفيين وبعض المتأخرين ولا يجعلون ذلك شاذاً ومذهبهم أقل تعسفا ، / ينظر أيضا الجنى الداني / ١٠٨ - ١٠٩ ، مغني اللبيب / ٨٦١/٢ ، وحاشية شرح التصريح / ٥٠٤/٢ - ٥٠٥/٢ .

(٤) يونس : هو يونس بن حبيب الضبي ، ابو عبد الرحمن ، ويعرف بالنحوي ، علامة بالأدب ، كان إمام نخاة البصرة في عصره ، أخذ عنه سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم ، (ت ١٨٢ هـ) / ينظر الأعلام / ٣٤٤/٩ .

(٥) ينظر معاني القرآن / الأخفش / ٤٧١/٢ ، البرهان في علوم القرآن / ٤٢٠/٤ .

(٦) ينظر معاني القرآن / الأخفش / ٤٦/١ .

(٧) ينظر لسان العرب / ٣٧٢/١٠ ، مغني اللبيب / ٢٢٤/١ ، وخزانة الأدب / ١٤٨/٤ وورد في الاقتضاب

في شرح أدب الكتاب ٢٤٢ برواية : وتركب يوم الروع فيها فوارس بصيرون في طعن الأباهر والكلبي .

(٨) لسان العرب / ٣٧٢/١٠ .

(٩) ينظر الكتاب / ٣٤٧/٤ .

٢. حينما أورد قول أبي عمرو^(٢) ، إذ قال : " سمعت أبا زيد^(٣) يقول : (رمىيت عن القوس) وناس يقولون : (رمىيت عليها) وأنشد من الرجز^(٤) :

أرمي عليها وهي فرع أجمع وهي ثلاث أذرع ولصبع^(٥)

٣. عندما جعل (من) تقع موقع (عن) خلال كلامه على الحرف (عن) ، إذ قال : "وقد تقع (من) موقعها أيضا تقول (أطعمه من جوع) ، (وكساه من عري) ، (وسقاه من العيمة)"^(٦).

إذ نفهم من كلامه - ولا سيما الموضعين الثاني والثالث معنى القول بالنيابة لديه ، فلم ينكر أن الحرف (عن) قد يقع موقعه الحرف (على) أو الحرف (من) من دون أن يبين الفرق الدقيق بين استعمال كل حرف منها .

(الفراء) :

أما الفراء فقوله بالنيابة ظاهر بين ، وذلك من خلال النصوص الكثيرة التي وجهها بإحلال حرف جر محل آخر^(٧) ، واعتقاده بأن المعنيين سواء ، بل إننا نجده في أحيان أخرى يجعل ثلاثة أحرف أو أربعة أحرف سواء في أداء المعنى الواحد، مثال ذلك :

عند كلامه على قوله - تعالى - : ﴿ وَضَاقَتْ عَظِيمُ الْأَرْضِ بِمَا رَحَّتْ ﴾ [التوبة: ٢٥]، قال : "والباء هاهنا بمنزلة (في) ، كما تقول : ضاقت عليكم الأرض

(٢) أبو عمرو : هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازني النحوي المقرئ ، كان أعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب والشعر ، (ت ١٥٤هـ) وقيل (١٥٩هـ) / ينظر بغية الوعاة / ٢/ ٢٣١-٢٣٢ .

(٣) أبو زيد : هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، كان إماما نحويا صاحب تصانيف لغوية وأدبية غلبت عليه النواذر واللغة والغريب (ت ٢١٥هـ) / ينظر إنباه الرواة / ٢/ ٣٠-٣٥ / وبغية الوعاة / ١/ ٥٨٢-٥٨٣ .

(٤) ورد البيت بلا نسبة في الخصائص / ٢/ ٣٠٧ ، ولسان العرب / ٥/ ٣٥ ، وخزانة الأدب / ١/ ١٠٤ .

(٥) الكتاب / ٤/ ٣٤٨ .

(٦) الكتاب / ٤/ ٣٤٩ .

(٧) ينظر البحث / ص ١٦-١٧ .

(١) معاني القرآن / الفراء / ١/ ٤٣٠ .

(٢) المصدر نفسه / ٢/ ٢٦٧ .

في رحبها وعلى رحبها" (١). وعند كلامه على قوله - تعالى - ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ﴾ [الفرقان: ٢٥] ، قال : " وعلى وعن والباء في هذا الموضع بمعنى واحد ؛ لأن العرب تقول : رميت عن القوس وبالقوس وعلى القوس يراد به معنى واحد" (٢). وفي موضع ثالث تحدث عن قوله - تعالى - : ﴿أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِمَّنْ خِلَافٍ﴾ [المائدة: ٣٣] ، قال : " ويصلح مكان (من) : (على) و (الباء) و (اللام)" (٣).

(المبرد) :

أما معنى النيابة عند المبرد فيتضح في عدة مواضع من ذلك :
أولاً : ما جاء في كتابه (الكامل) ؛ إذ صرح بأن حروف الخفض يبدل بعضها مكان بعض إذا تقارب الحرفان في معنى في بعض المواقع ، وبعد أن ذكر شواهد على ذلك من القرآن والشعر ، وصفه بقوله : (وهذا كثير جدا) (٤).

ثانياً : تصريحه في كتابه (المقتضب) بدخول الإضافة بعضها على بعض ، ومثل لذلك بقوله - تعالى - : ﴿يَحْضَرُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] ، قال : أي بأمر الله ، ويقول - تعالى - : ﴿وَأَصْلَابَكُمْ فِي جُنُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] ، قال : أي على ، ويقول - تعالى - : ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور: ٣٨] ، قال : أي يستمعون عليه ، كما استشهد بقول الشاعر (٥):

هم صلبوا العبدى في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا (٦).
وقول الآخر (١):

إذا رضيت علي بنو قشير لعمر الله أعجبنى رضاها
قال : أي عني (٢).

(٣) المصدر نفسه ٣٠٦/١.

(٤) ينظر الكامل ٩٧/٣-٩٨.

(٥) ينظر البحث / ص ١٢ / الهامش .

(٦) ينظر المقتضب ٣١٩/٢.

(١) البيت للقيصم العقيلي / ينظر الخصائص ٣١١/٢ ، الاقتضاب / ٢٤١ ، والإنصاف في مسائل الخلافي ٦٣٠/٢ .

(٢) ينظر المقتضب ٣١٩/٢.

ثالثا : حينما صرح بدخول (الباء) على (في) بعد أن مثل لذلك بقوله : (فلان في
الموضع وبالموضع)^(٣).

رابعا : حينما جعل (مذ) تقع بمعنى(في) عندما تخفض ما بعدها ومثل لذلك بقوله:
(أنت عندي مذ اليوم ، ومذ الليلة ، وأنا أراك مذ اليوم يا فتى) .
فقال : لأن المعنى في اليوم وفي الليلة^(٤).

(ابن السراج) :

حاول ابن السراج في كتابه الأصول أن يثبت لكل حرف من حروف الجر معنى
واحدا^(٥)، وذكر ما قيل من أن المعاني التي يخرج إليها الحرف ترجع إلى المعنى
الأول له^(٦)، غير أنه لم ينكر نيابة بعض حروف الجر عن بعضها الآخر إذا
تقاربت المعاني ، وجعل ذلك من باب التوسع عند العرب ، إذ قال في حديثه عن
حروف الجر : " واعلم أن العرب تتسع فيها فتقيم بعضها مقام بعض إذا تقاربت
المعاني ، فمن ذلك الباء ، تقول : فلان بمكة وفي مكة ، وإنما جازا معا ؛ لأنك إذا
قلت : فلان بموضع كذا ، فقد خبرت عن اتصاله والتصاقه بذلك الموضع ، وإذا
قلت في موضع كذا ، فقد خبرت بـ(في) عن احتوائه إياه ولحاظته به ، فإذا تقارب
الحرفان ، فإن هذا التقارب يصلح لمعاقبة ، وإذا تباين لم يجز ، ألا ترى أن رجلا لو
قال : مررت في زيد أو كتبت إلى القلم لم يكن هذا يلتبس به ، فهذا حقيقة تعاقب
حروف الخفض"^(٧).

كما أكد ضرورة تقارب معاني الحروف حتى تتناوب فيما بينها ، وذلك في موضع
آخر بقوله : "فلا يجوز أن تدخل (الباء) على (إلى) ولا (اللام) على (من) ولا (في)
على (إلى) ولا شيئا منها على الآخر"^(٨).

(ابن جني) :

(٣) ينظر المقتضب / ٣٣١/٢ .

(٤) ينظر المقتضب / ٣٠/٣ .

(٥) ينظر الأصول / ٤٠٩/١-٤١١ .

(٦) ينظر على سبيل المثال / الأصول / ٤١١/١، ٤٠٩، ٤١٢ .

(٧) الأصول / ٤١٤/١-٤١٥ .

(٨) الأصول / ٤١٥/١ .

خصص ابن جني - كما قلنا - باباً في القول بالنيابة في كتابه (الخصائص) ، سماه : (باب في استعمال الحروف بعضها مكان بعض) ^(٢) ، بين خلاله رأيه في النيابة في أنها تقع في مواضع دون أخرى ، بحسب الأحوال الداعية إليها والمسوغة لها ، وليس في كل موضع وعلى كل حال .

إذ عبر عن ذلك بقوله : " هذا باب يتلقاه الناس مغسولاً ساذجاً من الصنعة ، وما أبعد الصواب عنه وأوقفه دونه ، وذلك أنهم يقولون : إن (إلى) تكون بمعنى (مع) ، ويحتجون لذلك بقول الله سبحانه : ﴿ مِنْ أَصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [الصف: ١٤] ، أي : مع الله ، ويقولون : إن (في) تكون بمعنى (على) ويحتجون بقوله - عز اسمه - ﴿ وَلَأَصْلَبُكُمْ فِي جُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١] أي : عليها ، ويقولون : تكون (الباء) بمعنى (عن) و (على) ، ويحتجون بقولهم : رميت بالقوس أي عنها وعليها كقوله ^(٣) :

أرمي عليها وهي فرع أجمع
وقال طفيل ^(٤) :

رمت عن قسي الماسخي رجاله م بأحسن ما يبتاع من نبل يثرب ^(٥)
ثم يقول : " ولسنا ندفع أن يكون ذلك كما قالوا ، لكننا نقول : إنه يكون بمعناه في موضع دون موضع على حسب الأحوال الداعية إليه ، والمسوغة له ، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا ؛ ألا ترى أنك إن أخذت بظاهر هذا القول غفلاً هكذا ، لا مقيداً لزمك عليه أن تقول : سرت إلى زيد ، وأنت تريد : معه ، وأن تقول : زيد في الفرس ، وأنت تريد : عليه ، وزيد في عمر ، وأنت تريد : عليه في العداوة ، وأن تقول : رويت الحديث بزيد ، وأنت تريد : عنه ، ونحو ذلك مما يطول ويتفاحش ^(٦) .

(الزمخشري) :

ذكر الزمخشري في كتابه (المفصل) معاني حروف الجر ، فأثبت لكل حرف منها معنى واحداً ، وجعل ما يخرج إليها من معان أخرى راجعة إلى المعنى الأول ، مثال ذلك قوله : " فمن معناها ابتداء الغاية ، كقولك : سرت من البصرة إلى الكوفة ، وكونها مبعضة في نحو : أخذت من الدراهم ، ومبينة في نحو : فَاجْتَذِبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴾ [الحج: ٣٠] ، ومزيدة في نحو : ما جاءني من أحد راجع إلى

(٢) ينظر الخصائص / ٢ / ٣٠٦ .

(٣) ينظر البحث / ٢٣ / الهامش

(٤) ينظر ديوان طفيل / ١٣ ، والرواية فيه (رجالنا) .

(٥) الخصائص / ٢ / ٣٠٦-٣٠٧ .

(٦) لخصائص / ٢ / ٣٠٨ .

هذا "(١)". وأما ما أوهم خروج الحرف عن معناه ، فأوله بما يجعل الحرف باقيا على أصل معناه ، مثال ذلك قوله : " و(في) معناها الظرفية كقولك : زيد في أرضه ، والركض في الميدان ، ومنه نظر في الكتاب ، وسعى في الحاجة، وقولهم في قول الله - عز وجل - : ﴿ وَلَأَصْلَبُ بِّكُمْ فِي جُنُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١] أنها بمعنى (على) عمل على الظاهر ، والحقيقة أنها على أصلها لتمكن المصلوب في الجذع تمكّن الكائن في الظرف فيه"(٢)، مما نفهم من ذلك كله أنه لا يؤيد القول بنيابة حروف الجر بعضها عن بعض، غير أننا نجده في موضع آخر يقول : " وكي في قولهم (كيما) بمعنى(لمه)"(٣).

أما في تفسيره (الكشاف) فعلى الرغم من بحثه في دلالة الحروف في السياق ومحاولته كشف أسرارها في العديد من المواضع ورفضه القول بالنيابة ، مثال ذلك : في تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان: ٢٩]، إذ يقول : " وإن قلت يجري لأجل مسمى ويجري إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين ؟ قلت : كلا ، ولا يسلك هذه الطريقة إلا بليد الطبع ضيق العطن ، ولكن المعنيين : أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض ؛ لأن قولك : يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه وقولك : يجري لأجل مسمى ، تريد لإدراك أجل مسمى ، تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى ، ألا ترى أن جري الشمس مختص بآخر السنة ، وجري القمر مختص بآخر الشهر ، فكلا المعنيين غير ناب به موضعه"(١). في حين نجد أن هنالك مواضع أخرى خفي فيها سر إثارة الحرف المذكور على غيره في هذا الموضع ، وسبب استعماله في هذا المكان دون ذاك ، فبدا وكأن الحرفين - عنده - سواء في أداء المعنى ، مثال ذلك : في تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَإِنْ جَاهِلُ السَّلَامِ فَأَجْنَحْ لَهُ أَوْتَوْكُلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ [الأنفال: ٦١] .

(١) الفصل ٢٨٣/ .

(٢) الفصل ٢٨٤/ .

(٣) الفصل ٢٩١/ .

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ٢/٢٣٧.

إذ قال : " جنح له وإليه إذا مال " (٢) ، وفي تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ﴾ [يوسف: ١٠٠] ، قال : "يقال : أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه" (٣) ، وفي تفسيره لقوله - عز وجل - : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنَتِنَا وَبَيْنَكَ حَبَابٌ ﴾ [فصلت: ٥] ، قال : " فان قلت : هلا قيل: على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد ؟ قلت: هو على نمط واحد ؛ لأنه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة ، وعلى قلوبنا أكنة ، والدليل عليه قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً ﴾ [الكهف: ٥٧] ، ولو قيل: إنا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى ، وترى المطابع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة إلا في المعاني" (٤).

(ابن عصفور) :

أما ابن عصفور (٥) فعلى الرغم من أنه نفى نيابة حروف الجر بعضها عن بعض خلال شرحه (لجمل الزجاجي) ، مثال ذلك : عند كلامه على حرف (الباء) ، قال : " وزعم بعض النحويين أنها تكون للتبويض ، وبمعنى (عن) وذلك باطل" (٦) ، كما صرح في موضع آخر بعدم قبوله لمعنى النيابة بقوله : "وإذا جعل حرف بمعنى حرف آخر لم يكن لذلك مسوغ ؛ لأنهما لا يجتمعان في معنى واحد" (٧) ؛ لذا أول بعض الأمثلة التي قيل فيها بالنيابة بما يجعل الحرف باقيا على معناه ، مثال ذلك قوله : " وكذلك أيضا استدل على ذلك - [أي على أن (على) بمعنى (عن)] - بقوله (١) : أرمي عليها وهي فرع أجمع.

يريد: أرمي عنها ، ولا حجة فيه ؛ لأن السهم في وقت الرمي يعلو القوس ، فيتصور دخول (على) لذلك ، وقد يتصور دخول (عن) ؛ لأن السهم يتجاوز القوس

(٢) الكشف ١٦٦/٢ .

(٣) الكشف ٣٣٤/٢ .

(٤) الكشف ٤٤٢/٣ - ٤٤٣ .

(٥) ابن عصفور : علي بن مؤمن بن محمد بن علي ، أبو الحسن بن عصفور النحوي الحضرمي الإشبيلي ، حامل لواء العربية في زمانه بالأندلس ، صنف (المتع في التصريف) و(المقرب) وغيرهما ، (ت ٦٦٩هـ) / ينظر : بغية الوعاة ٢١٠/٢ .

(٦) شرح جمل الزجاجي / ٤٩٣/١ .

(٧) المصدر نفسه ٤٩٨/١ .

(١) ينظر البحث / ص ٢٣ / الهامش.

ويزول عنها ، كذلك ما جاء مما ظاهره أنَّ (على) فيه بمعنى (عن) يتأول حتى تبقى على معناها من الفوقية" (٢) . غير أنه لم يلتزم بذلك ، إذ نجده في موضع آخر قد أثبت لـ (الباء) معنى (في) بقوله عنها : "وغير زائدة تكون لمجرد الإلصاق والاختلاط والاستعانة والسبب والقسم وللحال وبمعنى (في) وللنقل" (٣) . كما جعل أيضا (مذ) بمعنى (في) إذا دخلت على الحال ، وبمعنى (من) الابتدائية إذا دخلت على الماضي (٤) .

(الرضي) :

على الرغم من محاولة الرضي إبقاء حرف الجر على معناه الأصلي ، إذ عبر عن ذلك بقوله : " والأولى إبقاء الحروف على معناها ما أمكن" (٥) . فجعل من الأولى مثلا أن يكون الحرف (في) بقوله - تعالى - : ﴿وَأَصْلَابَكُمْ فِي جُنُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] ، على معناه ، لا بمعنى (على) ؛ وذلك - برأيه - لتمكن المصلوب في الجذع تمكّن المظروف في الظرف ، وفي قوله - تعالى - : ﴿فَرْتَوْا إِلَيْهِمْ فِي أَفْهَامِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٩] ، جعل من الأولى أن يقال : هي بمعناها لا بمعنى (إلى) ؛ لأن المراد التمكن (٦) . غير أنه في الوقت نفسه لم ينكر وقوع النيابة ، فعبر عن ذلك بقوله : " وإقامة بعض حروف الجر مقام بعض غير عزيزة" (٧) ؛ لذا فقد وجه بعض الأمثلة على النيابة ، مثال ذلك : في قوله - تعالى - : ﴿مَنْ أَوَّلَ يَوْمٍ﴾ [التوبة: ١٠٨] ، وقوله - تعالى - : ﴿إِذَا نُوْدِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: من الآية ٩] ، جعل (من) في الآيتين بمعنى (في) (٨) .

(٢) شرح جمل الزجاجي / ١/ ٥١٠ .

(٣) المصدر نفسه / ١/ ٤٩٣ .

(٤) ينظر المصدر نفسه / ٢/ ٥٨ .

(٥) شرح الكافية / ٢/ ٣٤٢ .

(٦) ينظر شرح الكافية / ٢/ ٣٤٢ .

(٧) شرح الكافية / ٢/ ٣٢١ .

(٨) ينظر شرح الرضي / ٢/ ٣٢١ .

(٩) ينظر صحيح مسلم / ٤/ ٩٤ .

(١٠) ينظر شرح الرضي / ٢/ ٣٢٩ .

كما لم ينكر وقوع (اللام) بمعنى (إلى) في نحو : (سمع الله لمن حمده)^(٢) و ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ ﴾ [الأنعام: ٧٩] ، وبمعنى (على) نحو ﴿لَهُ لُجَبَيْنِ﴾ [الصافات: ١٠٣] و﴿يَخْزُونَ لِأَنَّكَ إِنْ سَجَدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]^(٣).

(أبو حيان الأندلسي) :

تكلم أبو حيان على حروف الجر في كتابيه (ارتشاف الضرب)^(٤) ، و (منهج السالك)^(٥). عرض فيهما أقوال العلماء في حروف الجر ؛ ومن ذلك قول بعضهم بنبابة حروف الجر بعضها عن بعض ، فبدا وكأنه لا يعترض على القول بالنبابة ، إذ لم يرد هذا الرأي أو يدحضه ، بل نجده في أحد المواضع يؤيدها بقوله عن حرف (الباء) : " أما الباء الظرفية فنحو زيد بالبصرة أي في البصرة ، واستعمالها ظرفية كثير"^(٦).

أما في تفسير (البحر المحيط) فقد أيد القول بالنبابة في أحد المواضع أيضا بقوله: " إذ حروف الجر قد يسد بعضها مسد البعض"^(٧) ، في حين ناقض هذين القولين بأقوال أخرى : حينما رأى أن النحويين لا حجة لهم في شيء من قولهم : إن حرف الجر يأتي بمعنى آخر^(٨)، فذهب إلى إبطال القول بالنبابة ، وعلق على ذلك بقوله : "وهذا ضعيف إذ نبابة الحرف عن الحرف لا يقول بها سيبويه والخليل"^(٩)، وفي

(٤) ينظر ارتشاف الضرب من لسان العرب / أبو حيان الأندلسي / ٤٢٦/٢-٤٧٥ .

(٥) ينظر منهج السالك / ٢٣١-٢٣٦ .

(٦) منهج السالك / ٢٤٦ .

(٧) البحر المحيط / ٨/ ٢١٥ .

(٨) ينظر البحر المحيط / ١/ ١٠٢ .

(١) البحر المحيط / ١/ ١٠٢ .

(٢) البحر المحيط / ٤/ ٤٠٩ .

(٣) ينظر مغني اللبيب / ١/ ١٥١ .

(٤) ينظر مغني اللبيب / ج.

(٥) مغني اللبيب / ٢/ ٨٦١ .

موضع آخر قال عن الموضوع نفسه : "وهذا ليس بجيد ؛ لأنه تضمنين في الحروف"^(٢).

(ابن هشام)

نسب ابن هشام القول بالنيابة إلى الكوفيين ، ووصف مذهبهم هذا بأنه أقل تعسفا^(٣)؛ لذا حين خصص جزءا كبيرا من كتابه (مغني اللبيب) وعرض خلاله معاني الحروف التي قيل أنها ترد فيها ، ومثل لذلك بالأمثلة ، بدا وكأنه لا ينكرها^(٤). كما أننا نجده في موضع آخر من الكتاب نفسه يبين رأيه بوضوح في القول بنيابة حروف الجر بعضها عن بعض ، إذ يرى أن تلك النيابة تتحقق في مواضع دون أخرى ، فوجد أن تصحيح القول بالنيابة يكون بإدخال الحرف (قد) على قولهم (ينوب) مما يؤدي إلى تعذر الاستدلال به في كل موضع ، فقال : " قولهم (ينوب) بعض حروف الجر عن بعض) وهذا أيضا مما يتداولونه ويستدلون به وتصحيحه بإدخال (قد) على قولهم (ينوب) وحينئذ فيتعذر استدلالهم به إذ كل موضع ادعوا فيه ذلك يقال لهم فيه : لا نسلم أن هذا مما وقعت فيه النيابة ، ولو صح قولهم لجاز أن يقال : مررت في زيد ، ودخلت من عمرو ، وكتبت إلى القلم على أن البصريين ومن تابعهم يرون في الأماكن التي ادعيت فيها النيابة أن الحرف باق على معناه ، وأن العامل ضمن معنى عامل يتعدى بذلك الحرف ؛ لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف"^(٥).

(د.فاضل السامرائي) :

أيد د.فاضل السامرائي ابن السراج وابن جني في أن النيابة تتحقق في موضع دون آخر ، بحسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له ، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا^(١)؛ لذا بين المواضع التي يمكن أن ترد فيها النيابة - برأيه - وهي :

(١) ينظر معاني النحو / ٩/٣ - ١٠ .

أولاً : عندما يقترب معنيان أو أكثر من معاني الحروف ، فتتعاور الحروف على هذا المعنى^(٢)، أو عند اقتراب المعاني من بعضها أو الاتساع في استعمال المعنى، فيستعمل بعضها في معنى بعض أو قريب منه ، مثل التوسع في معنى الإلصاق بالباء ، فيستعمل للظرفية ، فنقول : أقمت بالبلد وفي البلد ، ولكن يبقى - برأيه - لكل حرف معناه ، ولا يتمثلان تماماً^(٣).

ثانياً : عند اتساع المتكلم في كلامه الاعتيادي غير المعتمل أو المقصود ، فيوقع الحروف بعضها موقع بعض من دون قصد إلى معنى معين أو اختلاف ما فجعل ذلك كشأن المتكلمين العرب الأوائل ، فإن المتكلم غير المعتمل - برأيه - يوقع حرفاً موقع حرف آخر في معنى ما ، فيقول : ذهبت له واليه ، ومررت به وعليه من دون النظر إلى معنى معين ، وفرق بين التعبيرين مما أدى إلى استعمال الحرف بأكثر من معنى^(٤) .

ثالثاً : حينما يضطر الشاعر شعره إلى هذا الاستعمال من دونما حرج أو نظر إلى فرق بين استعمال حرف دون حرف آخر ؛ لأن هذا - برأيه - سائغ دائر في بيئته^(٥).

لكن د.فاضل السامرائي رفض القول بالنيابة في مواضع أخرى ؛ لأنه كما قلنا رفض النيابة المطلقة ، فذكر أنه :

أولاً : " في الكلام الفني قد يختار المتكلم حرفاً على حرف أو لفظاً على لفظ ؛ لأداء معنى معين أو لدلالة معينة ، وربما لم يستعمل الحرفين في معنى واحد ، كما يستعمله المتحدثون في أمورهم اليومية ، أو قد يكون المعنى الذي يستعمل في حرف مختلفاً عن مشابهه الذي يستعمل في حرف آخر ، فالظرفية التي تستعمل بالباء

(٢) ينظر معاني النحو / ٧/٣ .

(٣) ينظر معاني النحو / ٨/٣ .

(٤) ينظر معاني النحو / ٩-٨/٣ .

(٥) ينظر معاني النحو / ٩/٣ .

تختلف عن الظرفية التي تستعمل ب(في) والتعليل الذي يستعمل باللام يختلف عن التعليل الذي يستعمل بالباء وهكذا^(١).

ثانيا : قد يخص الحرف - برأيه - باستعمال معين أو بدلالة معينة مما استعملته اللغة كما هو الحال في الاستعمال القرآني ، إذ خص ألفاظا باستعمال معين ، فقد خص مثلا ، لفظ (العيون) بالعيون الجارية و (الأعين) بالباصرة أو بمعنى الرعاية، وقال عن هذا الاستعمال الفني أنه : " هو الذي يدفع اللغة إلى الأمام فيجعلها أكثر دقة وتخصصا وغناء ونماء لا الاستعمال العامي الساذج غير المخصص ولا الدقيق"^(٢).

ثم لخص رأيه بالنيابة بقوله : " إن الأصل ألا تنوب حروف الجر بعضها عن بعض بل بقاؤها على أصل معناها ما أمكن ، فإن لم يكن ذلك ففي الاتساع وعدم التكلف مندوحة"^(٣).

أغراض القول بالنيابة :

لجأ القائلون بالنيابة إلى القول بها ؛ لأنهم وجدوا فيها تحقيقا لأغراض عدة ، مثال ذلك :

١ . التوسع وعدم التكلف في استعمال الحرف ، طالما أمن اللبس^(٤).

٢ . الحل لإشكال التعدية بما يناسب صحة الأصل النحوي أو المعنى^(٥).

٣ . إمكانية الأخذ بها في حالة الضرورة الشعرية^(٦).

٤ . إن بعض الأحكام الفقهية استتبعت تبعا للقول بالنيابة^(٧).

مآخذ على القول بالنيابة :

يرى الرافضون للقول بالنيابة أن القول بها " يؤدي إلى إفساد المعاني ، والقضاء على الغرض من اللغة"^(١)، كما أنه يفضي إلى مشكلات لغوية لا حصر لها ،

(١) معاني النحو / ١٠/٣ .

(٢) ينظر معاني النحو / ١٠/٣ .

(٣) معاني النحو / ١١/٣ .

(٤) ينظر على سبيل المثال : الأصول / ٤١٤/١ ، ومعاني النحو / ١١/٣ .

(٥) ينظر البحث /ص

(٦) ينظر معاني النحو / ٩/٣ .

(٧) مثل جعل المرافق جزءاً يجب غسله عند الوضوء عند من قال بأن (إلى) بمعنى (مع) في قوله - تعالى - ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة: ٦] ، ينظر التبيان في إعراب القرآن /العكبري / ٤٢١/١ .

ولحداث اضطراب في البيان لا حد له^(٢)، إذ إن القول بنبابة حروف الجر بعضها عن بعض يؤدي إلى الخلط في معاني الأحرف فتضيع بذلك الدلالات الحقيقية المرادة من استعمال الحرف إذا ادعينا أنه بمعنى حرف آخر ، مما يغير معنى التركيب الذي ورد فيه .

(٢) ينظر التناوب في حروف الجر/١٣ .

الفصل الثاني

التضمين (لغة):

أحد مصادر الفعل الثلاثي (ضمن) يشاركه في ذلك المصدران (ضمنا وضمنا) . ضمن الشيء الشيء أودعه إياه كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر ، وضمنت الشيء ضمنا إذا كفلت به ، فأنا ضامن وضمين ، يقال : شراك مضمن إذا كان في كوز أو إناء وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمنته إياه ، والناقاة الضامن والمضمنان هي الحامل ، والمضامين: ما في بطون الحوامل من كل شيء كأنهن تضمنه والمضمن من الشعر ما ضمنته بيتا ، وقيل ما لم يتم معاني قوافيه إلا بالبيت الذي يليه^(١) .

التضمين (اصطلاحا)

للتضمين عند النحويين استعمالان :

أحدهما :- أريد به دلالة الاسم بالوضع على معنى حقه أن يدل عليه بالحرف وجعلوا من ذلك أسماء الشرط والاستفهام التي قيل إنها بنيت لتضمنها معنى الحرفين (إن) و (الهمزة) كما قيل أنها مبنية لشبهها الحرف شبيها معنويا ، فتضمن معنى الحرف هو أحد العلل الموجبة لبناء الأسماء مضافا إليه علتان أخريان^(٢) .

وحقيقة الأمر أن استعمال كلمة التضمين هنا لا يراد به إلا المعنى اللغوي إذ إن سبب بناء الأسماء هو كما قيل من أنه يعود إلى مشابهة الحرف للاسم بأحد أنواع الشبه الأربعة : (الوضعي ، أو المعنوي ، أو الاستعمالي ، أو الافتقاري) . فسبب بناء أسماء الشرط والاستفهام مثلا هو الشبه المعنوي^(٣) .

فيثبت لنا أن سبب البناء هو الشبه وليس لعله ما سموه بالتضمين وهو ما لا علاقة له بمصطلح التضمين الذي نبجته .

أما الآخر :- وهو ما يهمنا فقد اختلف النحويون في تحديد تعريف له سواء القدمات منهم أم المحدثون . إذ عبر ابن جني عنه بقوله:

(١) ينظر الصحاح ٦ / ٢١٥٥ - ٢١٥٦ ولسان العرب ٨ / ٨٩ - ٩٢ .

(٢) ينظر شرح المفصل ٣ / ٨٠ / وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع ١ / ١٦ / ، وحاشية الصبان ٥٢/٢ .

(٣) ينظر شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ١ / ٣٠ - ٣٤ .

" اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه ايذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر " (١) .

لكن تعريف ابن جني هذا يخص التضمين في الأفعال فحسب فهو لا يشمل جميع ما فهم من معنى التضمين عند العلماء :

إذ لم يجر هذا المعنى مثلا على اللفظ المشتق عندما يضمن معنى لفظ مشتق آخر، ولم يجر أيضا على المصدر، وما كان يتعدى بحرف جر خاص فتعدى بنفسه ، أو ما كان لازما فتضمن معنى المتعدي بنفسه (٢) ، وما كان متعديا بنفسه وضمن معنى آخر متعد بنفسه أيضا ، وما كان متعديا إلى مفعول واحد فتعدى إلى مفعولين أو العكس .

أما ابن هشام فقد عبر عن التضمين بقوله: " قد يشربون لفظا معنى لفظ آخر فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضمينا " (٣) .

لكن اشراب اللفظ معنى لفظ آخر يعطي فكرة أن اللفظ من الممكن أن يؤدي معنيين في السياق نفسه ، وحقيقة الأمر أن اللفظ الواحد لا يمكن أن يؤدي أكثر من معنى في السياق الواحد ، أما المعنى الثاني فهو مستفاد من السياق لا من اللفظ نفسه (٤) ؛ فهو على هذا لا يشمل أيضا جميع ما قال به العلماء من معانٍ مختلفة في التضمين .

أما المجمع العلمي بالقاهرة فقد حاول إيجاد تعريف للتضمين فعرفه بـ: " أن يؤدي فعل أو ما في معناه في التعبير مؤدى فعل آخر أو ما في معناه فيعطى حكمه في التعدي وال لزوم " (٥) ورأى أنه قياسي لا سماعي بشروط ثلاثة :

الأول : تحقق المناسبة بين الفعلين .

الثاني : وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس .

(١) الخصائص / ٢ / ٣٠٨ .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي / التضمين / الإسكندري / ١ / ١٨١ .

(٣) مغني اللبيب / ٢ / ٨٩٧ .

(٤) ينظر ظاهرة النيابة في العربية / ٢٦٦ .

(٥) النحو الواقي / ٢ / ٥٨٧ .

الثالث : ملاءمة التضمين للذوق البلاغي العربي^(١) .

غير أن ما جاء به المجمع من تحديد لمعنى التضمين أخذ عليه ما أخذ على تعريف ابن جني وابن هشام من عدم شمول هذا المعنى إذ إن " الشروط التي اشترطها هي شروط المجاز المنصوص عليها ، فضلا على إيهام شديد في الشرط الثالث وهو ملاءمة التضمين للذوق العربي ؛ لأن تحديد الذوق العربي الآن من المعضلات وملاءمة الذوق تبقى مسألة نسبية"^(٢) .

فكان إيجاد تعريف للتضمين يشمل جميع ما فهم منه^(٣) قد كون صعوبة بسبب الاختلاف في ذلك الفهم ؛ لذا نرى أن الجامع لما أريد من معنى التضمين عند من قال به لا يتجاوز كونه (احتواء اللفظ المذكور مع متعديه معنى لفظ آخر غير مذكور) .

لأن قولنا : (اللفظ المذكور مع متعديه) يشمل الفعل، والمصدر، والمشتق. وقولنا: (متعديه) يجعله يشمل المتعدي بنفسه والمتعدي بحرف الجر ، والمتعدي إلى مفعول واحد والمتعدي إلى مفعولين. وقولنا: (معنى لفظ آخر غير مذكور) يشمل الفعل، والمصدر، والمشتق، والحال، والمفعول .

المواضع التي لجيء فيها إلى القول بالتضمين :

اختلفت المواضع التي لجيء فيها إلى القول بالتضمين ولعل أبرز تلك المواضع هي:

١ - عدم ملاءمة تعدية الفعل إلى المعطوف من ناحية المعنى، مثال ذلك قول الشاعر^(٤) :

وزججن الحواجب والعيونا .

(١) ينظر النحو الوافي / ٢ / ٥٨٧ .

(٢) التناوب في حروف الجر / ٥٣ .

(٣) ينظر البحث / ص .

(٤) ينظر معاني القرآن للفراء / ١٢٣/٣ ، وتأويل مشكل القرآن / ١٢٣ ، ولسان العرب / ٦/ ٢٠ ، وورد في شعر الراعي النميري / ص: ١٥٠

بالرواية الآتية : وهزة نشوة من حي صدق يزججن الحواجب والعيونا

فالفعل (زجج) لا يجوز تعديده إلى العيون ، فقليل إنه ضمن معنى (حسن) ليصح تعديده إلى (الحواجب) وإلى (العيون)^(١).

٢- شيوع استعمال الفعل لازما ثم استعمل متعديا بنفسه أو بحرف جر ليس من شأنه أن يتعدى به ، مثال الأول : قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّالِقَ﴾ [البقرة: ٢٢٧] إذ قيل إن الفعل (عزموا) لا يجوز تعديده بنفسه فضمن معنى () تتوا^(٢) ، ومثال الثاني : في قوله تعالى: ﴿هَلْ تَقُنُونَنَا إِلَّا أَنْ أَمَّا بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩] ، إذ يتعدى الفعل (ينقم) بـ (على) فعدي بـ(من) فقليل إنه متضمن معنى (تكرهون)^(٣) .

٣- شيوع استعمال الفعل متعديا فاستعمل لازما ، أو تعدى إلى مفعولين وشأنه أن يتعدى إلى مفعول واحد ، فمثال الأول قوله تعالى ﴿أُنْعَتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦] ، إذ تعدى الفعل (أنعم) بـ(على) والأصل - عند القائلين بالتضمنين - أن يصل بنفسه ، فقليل أنه مضمن معنى (فضل)^(٤) .

ومثال الثاني قوله تعالى ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥] ، إذ أجاز القائلون بالتضمنين أن يكون (أجرا) مفعولا به على تضمين (فضل) معنى (أعطى)^(٥) .

٤- شيوع استعمال الفعل متعديا إلى مفعولين فتعدى إلى مفعول واحد ، مثل تضمين الفعل (جعل) معنى (خلق) في حالة تعديده إلى مفعول واحد مثل قوله تعالى ﴿مَا جَاءَ اللَّهَ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [الأحزاب: ٤] ، يقول الكفوي: " والجعل الذي له مفعول واحد فيه معنى التضمنين "^(٦) ، وقال : " كل شيء في القرآن (جعل) فهو بمعنى (خلق) "^(٧).

(١) ينظر مغني اللبيب / ١/ ٤٦٦-٤٦٧ .

(٢) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ١/ ١٨٠ ، وتفسير البحر المحيط / ٢ / ٢٩٤ .

(٣) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ١ / ٤٤٧ .

(٤) ينظر البحر المحيط / ١/ ٤٢ .

(٥) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ١ / ٣٨٣ - ٣٨٤ .

(٦) الكليات / ٢/ ٣٠٥ .

(٧) الكليات / ٢/ ١٣٥ .

٥- تضمين الفعل معنى ما يعلق ليصح التعليق :

من ذلك قوله تعالى ﴿الْوَا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ﴾ [البقرة: ٧٠] ، فالجملة الاستفهامية (ما هي) في موضع المفعول به ؛ لأن الفعل معلق عن العمل لأنه مضمن معنى ما يعلق^(١) .

٦- تضمين الفعل معنى القول لتصحيح كسر همزة (إن) :

من ذلك قراءة غير نافع من السبعة^(٢) ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ إِنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مُّنتَكَمٍ سَوْءًا بِجَهَنَّمَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، بكسر همزة (إن) على أن كتب مضمن معنى القول^(٣) .

٧- التضمين فيما يعمل عمل الفعل : مثل تضمين الصفة المشبهة والمصدر معنى ما يصح التعلق به :

مثل تضمين (حقيق) معنى (حريص) في قوله تعالى ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ١٠٥]^(٤) وتضمين المصدر معنى القول لتصحيح كسر همزة (إن) ومنه قراءة الحسن الأعرج الشاذة^(٥): ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الشُّرَكِيِّ﴾ [التوبة: ٣] ، بكسر همزة (إن) على تضمين (وأذان) معنى (القول) على مذهب الكوفيين أو على إضمار (القول) على مذهب البصريين^(٦) .

الألفاظ والعبارات الدالة على مصطلح التضمين :

استعمل القائلون بالتضمين ألفاظا وعبارات مختلفة للتعبير عن مصطلح التضمين ومن ذلك :

١. حمل الشيء على نقيضه .
٢. حمل الشيء على نظيره .

(١) ينظر التأويل النحوي في القرآن الكريم / ٢ / ١٢٥٣ .

(٢) ينظر معجم القراءات القرآنية / ٢ / ٢٧٢ .

(٣) ينظر التبيان في اعراب القرآن / ١ / ٥٠٠ ، والبحر المحيط / ٤ / ١٤٠ .

(٤) ينظر الكشف / ٢ / ١٠٠ .

(٥) معجم القراءات القرآنية / ٣ / ٧ .

(٦) ينظر البحر المحيط / ٥ / ٤٣٥ .

إذ قال الكسائي^(١) في توجيه قول الشاعر^(٢):

إذا رضيت علي بنو قشير
لعمر الله أعجبي رضاها
" لما كان (رضيت) ضد (سخطت) عدي (رضيت) بـ (على) حملاً للشيء على نقيضه
كما يحمل على نظيره"^(٣).

٣. الاتساع : وهو اللفظ الذي عبر به ابن جني عن معنى التضمين بقوله :
" واعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر
بآخر ، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذاناً بأن هذا
الفعل في معنى ذلك الآخر"^(٤).

٤. الحمل على المعنى :

يقول ابن جني : " ومنه - [أي ومن الحمل على المعنى] - باب من هذه اللغة ،
واسع لطيف ظريف ، وهو اتصال الفعل بحرف ليس مما يتعدى به ؛ لأنه في
معنى فعل يتعدى به"^(٥)

٥- حمل الشيء على شيء آخر :

جاء في الاقتضاب : " أن يحمل الشيء على شيء آخر هو في معناه"^(٦) ،
وأريد به التضمين .

٦- تداخل الألفاظ لتداخل المعاني :

جاء في الاقتضاب : " أن يحمل الشيء على شيء آخر هو في معناه فيتداخل
اللفظان كما تداخل المعنيان"^(٧) .

٧- إشراب اللفظ معنى لفظ آخر :

يقول ابن هشام : " قد يشربون لفظاً معني لفظاً فيعطونه حكمه ويسمى ذلك
تضميناً"^(٨) .

(١) الكسائي : علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي ، إمام النحويين في النحو واللغة ، وأحد القراء السبعة المشهورين ، من مؤلفاته (معاني
القران) والقراءات (و (الحروف) (ت ١٨٢ هـ) / ينظر إنباه الرواة ٢/٢٥٦ .

(٢) ينظر البحث / ص ٢٥ / الهامش

(٣) الخصائص / ٢/ ٣٠٨ .

(٤) الخصائص / ٢/ ٣٠٨ .

(٥) الخصائص / ٢/ ٤٣٥ .

(٦) الاقتضاب / ٢٦٤ .

(٧) الاقتضاب / ٢٦٤ .

(٨) مغني اللبيب / ٢ / ٨٩٧ .

٨- التجوز في الأفعال :

يقول ابن هشام : " على أن البصريين ومن تابعهم يرون في الأماكن التي ادعيت فيها النيابة أن الحرف باق على معناه ، وأن العامل ضمن معنى عامل آخر يتعدى بذلك الحرف ؛ لأن التجوز في الفعل أسهل منه في الحرف " (١)

التضمن من الوجهة البلاغية وقياسيته :

اختلف القول بالتضمن من الناحية البلاغية باختلاف معنى التضمن في الاصطلاح وقد بلغت أقوال النحويين والبيانين في هذه المسألة ثمانية أقوال استوفاهما جميعها الشيخ ياسين (٢) في حاشيته على التصريح (٣) وهذا ملخصها :

١- إن التضمن مجاز مرسل ؛ لأن اللفظ استعمل في غير معناه لعلاقة وقرينة ، مما يقتضي قياسية التضمن ؛ لأن المجاز قياسي .

٢- إن التضمن جمع بين الحقيقة والمجاز ، ولكن بتأويل أن الفعل المذكور في التركيب دل على معناه الحقيقي وعلى المعنى الملحوظ بطريق اللزوم بذكر القرينة ، والتضمن على هذا القول قياسي أيضا ؛ لأن دلالة المذكور على حقيقته لا تحتاج إلى قياس ودلالته على الملحوظ باللزوم مجاز والمجاز قياسي ، على أن بعض علماء الأصول يجيزون الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ واحد .

٣- إن الفعل المذكور - في التضمن - مستعمل في حقيقته ولم يشرب معنى غيره ، ولكن مع حذف قيد مأخوذ من الفعل الآخر المناسب بمعونة القرينة اللفظية ، وهذا القيد هو (حال) مأخوذة من الفعل الآخر المناسب ، ثم اختلف أصحاب هذا القول في تقدير المحذوف ، فتارة يجعلون المذكور أصلا في الكلام والمحذوف قيدا فيه على أنه حال كقوله تعالى : ﴿لَا تُكْبِرُوا اللَّهَ عَظَى مَا هَآكُمُ﴾ [البقرة: ١٨٥] أي حامدين ، وتارة يعكس فيجعل المحذوف أصلا والمذكور مفعولا

(١) مغني اللبيب / ٢ / ٨٦١ .

(٢) يس : هو يس بن زين الدين بن أبي بكر ابن عليم الحمصي الشهير بالعلمي ، له حواشي كثيرة منها حاشية على شرح التلخيص المختصر للسعد التفتازاني ، (ت ١٠٦١ هـ) / ينظر الأعلام / ٩ / ١٥٥ .

(٣) ينظر حاشية شرح التصريح / ٢ / ٥-٤ ، والنحو الوافي / ٢ / ٥٦٤-٥٨٤ ، ومجلة المجمع العلمي الملكي / التضمن / الإسكندري

١ / ١٨٧-١٨٩ وظاهرة النيابة في العربية / ٢٦٢-٢٦٤ .

كما في (أحمد إليك فلانا) أي أنهى حمده، أو حالا كما في ﴿يُؤْمِدُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] أي يعترفون به مؤمنين ؛ ولما كانت مناسبتة للمذكور بمعونة ذكر صلتة قرينة على اعتباره، جعل كأنه في ضمنه ، ومن ثمة كان جعله حالا وتبعاً للمذكور أولى من عكسه . وهذا القول الثالث هو قول البيانين ، وقد وصف التضمين على حد قولهم بأنه (تضمين بياني) ويعرف بأنه : " تقدير حال يناسبها المعمول بعدها ؛ لكونها تتعدى إليه على الوجه الذي وقع عليه ذلك المعمول ، ولا تتاسب العامل قبلها ، لكونه لا يتعدى إلى ذلك المعمول على الوجه المذكور " (١) .

والغالب على أقوال النحويين أن التضمين البياني غير النحوي في حين ذهب آخرون إلى أنهما شيء واحد (٢) .

والتضمين على هذا القول الثالث قياسي أيضا ؛ لأنه من باب حذف العامل لدليل والمحذوف لعل كالثابت فدلالته على المحذوف حقيقة وإن كان من باب مجاز الحذف ، فهو قياسي أيضا (٣) .

٤- إن اللفظ المذكور في التضمين مستعمل في معناه الحقيقي ولكنه مستتبع معنى آخر يناسبه من غير أن يستعمل هو فيه . ومن غير أن يستعمل له لفظ آخر ، فيكون الكلام من باب الحقيقة التي قصد منها معنى آخر يناسبها ويتبعها في الإرادة ، كما يدل تأكيد الخبر على إنكار المخاطب وعليه فلا مجاز ، ولا كناية ، ولا حذف ، والكلام مستعمل في معناه الحقيقي ، والتضمين على هذا النوع جائز غير ممنوع .

٥- إن المعنيين - في التضمين - مرادان على طريق الكناية ، فيراد المعنى الأصلي توصلاً إلى المعنى المقصود ولا حاجة إلى التقدير إلا لتصوير المعنى ، وضعف هذا القول بأن الكناية يصح معها إرادة المعنى الحقيقي وصرف النظر عن المعنى اللازم ، والأمر مختلف عن ذلك في التضمين ؛ لأن المعنيين مرادان فيه حتماً ، وأجيب عن ذلك بأجوبة غير شافية .

٦- إن المعنيين مرادان على طريق عموم المجاز وهو غير متسق التخريج كسابقه.

(١) حاشية الصبان / ٢ / ٩٥ .

(٢) ينظر حاشية الصبان / ٢ / ٩٥ .

(٣) ينظر حاشية شرح التصريح / ٥/٢ ، ومجلة المجمع العلمي الملكي / التضمين / الإسكندري / ١٨٨/١ ، وظاهرة النيابة في العربية / ٢٦٣ .

٧- إن التضمين مجاز عقلي في النسبة غير التامة أي في النسبة بين الفعل ومتعلقاته.

٨- إن التضمين نوع مستقل من أركان الكلام العربي ، وقسم رابع للحقيقة والمجاز والكناية واختاره بعضهم وعرض تخريجه .

أما القول التاسع ، وهو الذي أضافه الشيخ أحمد الإسكندري واستوحاه من تخريج النحويين الذي ذكرناه من قبل ، هو " طرد الباب على التجوز في الحرف ، فمن العلماء من يجري الاستعارة التبعية في لفظ(في) من قوله تعالى ﴿ وَلَأَصْلَبُ بِّكُمْ فِي جُنُوعِ النَّحْلِ ﴾ [طه:٧١] ومنهم من يعدل إلى التضمين في الفعل فيضمن (أصلب) معنى (أجعل وأضع وأثبت)^(١) .

أراء العلماء بالتضمين :

ذكر السيوطي^(٢) في كتابه (همع الهوامع) أن مصطلح التضمين ورد على لسان العلماء القدامى كأبي عبيدة والأصمعي^(٣) والمبرد . إذ يقول " فأن لم يحسن وضع (مع) موضع (الواو) تعين الإضمار وامتنع المفعول معه ، كقوله^(٤) : وزججن الحواجب والعيونا .

لأن (زججن) غير صالح للعمل في العيون . وموضع (الواو) غير صالح لـ (مع) فيقدر (وكحلن) ، وذهب جماعة منهم أبو عبيدة، والأصمعي، وأبو محمد اليزيدي^(٥) ، والمازني^(٦) ، والمبرد إلى جواز العطف على الأول بتضمين العامل معنى يتسلط به على المتعاطفين واختاره الجرمي^(٧) ، وقال : يجوز في العطف ما لا يجوز في الإفراد"^(٨) .

(١) مجلة المجمع العلمي الملكي / التضمين / الإسكندري / ١ / ١٨٧ .

(٢) السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضير ، جلال الدين السيوطي، إمام حافظ مؤرخ أديب ، له نحو ست مائة مصنف في التفسير وعلوم القرآن والتاريخ والنحو وغير ذلك (ت ٩١١ هـ) / ينظر الأعلام / ٧١-٧٣ .

(٣) الأصمعي : هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن أضع (أبو سعيد الأصمعي البصري)، أحد أئمة اللغة والغريب والأخبار والطح والنوادر (ت ٢١٥ هـ) وقيل (ت ٢١٦ هـ) / ينظر إنباه الرواة / ٨٠-٨٣ ، وبغية الوعاة / ٢ / ٨-٩ .

(٤) ينظر البحث / ص ٣٧ / الهامش .

(٥) أبو محمد اليزيدي : أبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي النحوي المقرئ اللغوي ، كان أحد القراء الفصحاء العالمين بلغة العرب والنحو ، صنف (مختصر في النحو) و (المقصور والمحدود) و (النوادر) (ت ٢٠٢ هـ) / ينظر بغية الوعاة / ٣٤٠/٢ .

(٦) المازني : أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية ، وقيل بكر بن محمد بن عدي بن حبيب ، وهو أستاذ (المبرد) من تصانيفه : (ما تلحن فيه العامة) و كتاب (العروض) ، (ت ٢٤٨ هـ) / ينظر إنباه الرواة / ٢٤٦-٢٤٧ .

(٧) الجرمي : صالح بن إسحاق ، أبو عمر الجرمي النحوي صاحب كتاب (المختصر في النحو) ، عالم باللغة حافظ لها ، كان جليلا في الحديث والأخبار والسيرة ، من كتبه (الأبنية) و (العروض) و (غريب سيبويه) (ت ٢٢٥ هـ) / ينظر إنباه الرواة / ٢ / ٨٠-٨٣ .

(٨) همع الهوامع / ١ / ٢٢٢ .

ويبدو أن الأشموني^(١) كان أدق تعبيراً إذ يقول في هذا الموطن : " فأن العطف ممتنع ؛ لانتفاء المشاركة ، والنصب على المعية ممتنع ؛ لانتفاء فائدة الإعلام بها ، فأول العامل المذكور بعامل يصح انصبابه عليهما ، فأول (زجن) بـ (زين) كما ذهب إليه الجرمي ، والمازني ، وأبو عبيدة ، والأصمعي ، واليزيدي^(٢) .

فالمبرد - مثلاً - لم يستعمل في كتابه (المقتضب) هذا المصطلح لهذا المعنى ، ولكن عبر عن ذلك المعنى في موضوع (المفعول معه) ، إذ أجاز في حالة اختلاط مذكورين أن يجري على أحدهما ما هو للآخر إذا كان يمثل معناه ؛ لأن المتكلم - برأيه - يبين به ما في الآخر وإن كان لفظه مخالفاً ، ومثل لذلك بقول الشاعر^(٣) :

شراب ألبان وتمر وإقط .

فقال : " فالتمر والإقط ، لا يقال فيهما شرباً ولكن أدخلهما مع ما يشرب فجرى اللفظ واحداً . والمعنى أن ذلك يصير إلى بطونهم ومثله :

يأليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحاً^(٤)

لأن معنى المتقلد (حامل) ، فلما خلط بينهما جرى عليهما لفظ واحد^(٥) .

فيبدو أن السيوطي ترجم ما قالوه (إنه تأويل) بالتضمين ، ولقد جرى مجمع اللغة العربية بالقاهرة على ما نص عليه السيوطي وقطع بهذا الحكم (بأن هذه التسمية قديمة عند البصريين)^(٦) .

(١) الأشموني : علي بن محمد بن عيسى ، أبو الحسن نور الدين الأشموني ، نحوي من فقهاء الشافعية ، صنف شرح ألفية ابن مالك في النحو وغيرها (ت ٩٢٩ هـ) / ينظر الأعلام/ ٥/ ١٦٣ .

(٢) منهج السالك / ٢٢٦ .

(٣) ينظر الخصائص ٢/ ٤٣١ ، والإنصاف ٢/ ٦١٣ ، ولسان العرب ٦/ ٢٠ ، وورد في خزنة الأدب ١/ ٥٠٠ ، بالرواية الآتية : شَرَّبُ ألبان وتمر وإقط .

(٤) ينظر الخصائص ٢/ ٤٣١ ، ولسان العرب ٦/ ٢٠ ، وخزنة الأدب ١/ ٣٣٠ ، في حين روى الشطر الأول منه بروايات أخرى هي :

أ . (ولقيت زوجك في الوغى) / ينظر معاني القرآن/ الفراء ٣/ ١٢٣ .

ب . (ورأيت زوجك في الوغى) / ينظر المصدر نفسه ١/ ٤٧٣ .

ج . (يأليت بعلك قد غدا) / ينظر الإنصاف ٢/ ٦١٢ .

(٥) المقتضب / ٥٠/ ٢ .

(٦) ينظر مجلة المجمع العلمي الملكي / التضمين/ الإسكندري / والتضمين في ضوء الدراسة النحوية / ٥٥ .

(الفراء)

ورد ما يفهم منه معنى التضمين عند الفراء في عدة مواضع ، مثال ذلك :

١- حينما قال في قوله تعالى ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢]. أن معناه " ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم " (١) .

ولكن يبدو أنه تفسير معنى أكثر مما هو تفسير إعراب ، وذلك ما يظهر من خلال النظر إلى النص من أوله ، إذ جاء عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٥٢] ، قوله : " المفسرون يقولون : من أنصاري إلى الله ، وهو وجه حسن ، وإنما يجوز أن تجعل (إلى) موضع (مع) إذا ضمنت الشيء إلى الشيء مما لم يكن معه كقول العرب : إن الذود إلى الذود إبل أي إذا ضمنت الذود إلى الذود صارت إبلا ، فإذا كان الشيء مع الشيء لم تصلح مكان (مع) (إلى) ، ألا ترى أنك تقول : قدم فلان ومعه مال كثير ، ولا تقول في هذا الموضع : قدم فلان واليه مال كثير ، وكذلك تقول : قدم فلان إلى أهله ، ولا تقول مع أهله ، ومنه قوله : ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] معناه : ولا تضيفوا أموالهم إلى أموالكم " (٢) .

٢- عند كلامه على قوله تعالى ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]. قال : " وقوله عز وجل (يشرب بها) و (يشربها) سواء في المعنى ، وكأن يشرب بها : يروى بها وينتفع " (٣) .

٣- حينما جعل (شركاءكم) في قوله تعالى ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾ [يونس: ٧١] ، منصوبا بفعل صلح القاؤه ؛ لأن معناه يشاكل الفعل الظاهر ؛ لأن المعنى المراد : أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم . وكذلك في قول الشاعر (٤) :

ولقيت زوجك في الوغى متقلدا سيفاً ورمحاً

(١) ينظر معاني القرآن / الفراء / ١ / ٢١٨ .

(٢) المصدر نفسه / ١ / ٢١٨ .

(٣) المصدر نفسه / ٣ / ٢١٥ .

(٤) ينظر البحث / ص ٤٤ / الهامش .

إذ نصب (الرمح) - برأيه - بفعل الحمل الذي صلح حذفه ؛ لأنهما سلاح يعرف ذا بدا ، وفعل هذا مع فعل هذا^(١) .

وكذلك الأمر في قول الشاعر^(٢) :

علفتها تبنا وماء باردا حتى شئت همالة عيناها
إذ قال فيه : " والماء لا يعتلف ، وإنما يشرب ، فجعله تابعا للتين " ^(٣) .

(ابن جني)

أيد ابن جني من قال بالتضمين ، إذ قال في ذلك : " اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر ، وكان أحدهما يتعدى بحرف والآخر بآخر ، فإن العرب قد تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر ؛ فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه " ^(٤) .

واستشهد لذلك بالأمثلة منها بقوله تعالى ﴿حِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيِّمِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] ، إذ قال : " وأنت لا تقول : رفثت إلى المرأة ، وإنما تقول رفثت بها أو معها ، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء ، وكنت تعدي أفضيت بـ (إلى) كقولك : أفضيت إلى المرأة جئت بـ (إلى) مع الرفث إيذانا وإشعارا أنه بمعناه " ^(٥) ، كما مثل لذلك أيضا بقول الفرزدق^(٦) :

كيف تراني قالبا مجني أضرب أمري ظهره للبطن

قد قتل الله زيادا عني

فقال : " لما كان معنى قد قتله : قد صرفه ، عداه بـ (عن) " ^(٧) .

كما أظهر أيضا إعجابه بالتضمين بقوله :

(١) ينظر معاني القرآن/الفراء / ١ / ٤٧٣ ، ٣ / ١٢٣ .

(٢) نسبه الفراء في معاني القرآن / ١٢٤/٣ لبعض بني دبر ، وورد بلا نسبة في الإنصاف ٦١٣/٢ ، ولسان العرب ٢٠/٦ ، وورد في خزنة الأدب ٤٩٩/١ بالرواية الآتية . لما حططت الرجل عنها ولدا علفتها تبنا وماء بارداً

(٣) ينظر معاني القرآن / الفراء / ٣ / ١٢٤ .

(٤) الخصائص / ٢ / ٣٠٨ .

(٥) الخصائص / ٢ / ٣٠٨ .

(٦) ينظر الاقتضاب / ٢٤٣ ، في حين ورد في شرح ديوان الفرزدق / ٢ / ٨٨١ ، ومغني اللبيب / ٨٩٩/٢ ، بالرواية الآتية :

كيف تراني قالبا مجني قد قتل الله زيادا عني

(٧) الخصائص / ٢ / ٣١٠ .

" ووجدت في اللغة من هذا الفن شيئاً كثيراً لا يكاد يحاط به ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتاباً ضخماً ، وقد عرفت طريقه فإذا مر بك شيء منه فتقبله وأنس به ، فإنه فصل من العربية لطيف حسن يدعو إلى الأنس بها، والفقاهة فيها، وفيه أيضاً موضع يشهد على من أنكر أن يكون في اللغة لفظان بمعنى واحد "(١). وضرب مثلاً لذلك بقوله : " ألا ترى أنه لما كان رفت بالمرأة في معنى أفضى إليها جاز أن يتبع الرفت الحرف الذي بابه الإفضاء وهو (إلى)" (٢) .

(الزمخشري)

ظهر مصطلح (التضمن) عند (الزمخشري) في تفسيره (الكشاف) إذ لجأ فيه كثيراً إلى التضمن خلال تفسيره للآيات القرآنية ؛ وذلك - كما قلنا - لأنه يرى أن لحرف الجر معنى واحداً مما حدا به إلى اللجوء إلى التضمن الذي يجد أن الغرض منه (إعطاء مجموع معنيين) وذلك عنده (أقوى من إعطاء معنى فذ) (٣) غير أن نوع التضمن الذي نسب إليه القول به هو تضمن الحذف الذي يقوم على تضمن الفعل معنى حال مأخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية (٤) .

في حين أن حقيقة الأمر تختلف عن ذلك ، إذ نجد أن التضمن الذي ورد في تفسير (الكشاف) يقوم على تضمن الفعل المذكور (أو ما هو بمعناه) معنى فعل آخر (أو ما هو معناه) محذوف يدل عليه ما هو من متعلقاته ، بمعنى أن التضمن عنده يدل على معنى المذكور والمحذوف معا وذلك واضح في الكثير من النصوص ، مثال ذلك :

١ - عند تفسيره لقوله تعالى ﴿لِتَكْبُرُوا لِلَّهِ عَظَىٰ مَا هَٰذَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥] قال : " وإنما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمناً معنى الحمد كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم "(٥) فجعل سبب تعدي فعل التكبير بحرف

(١) الخصائص / ٢ / ٣١٠ .

(٢) الخصائص / ٢ / ٣١٠ .

(٣) ينظر الكشاف / ٢ / ٤٨٠ .

(٤) ينظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق / التضمن / صلاح الدين الزعبلوي / المجلد ٥٥ / ١٢ / ص ٦٢ .

(٥) الكشاف / ١ / ٣٣٧ .

- الاستعلاء هو تضمنه لمعنى الحمد ، فقال (لكونه) يريد به (الفعل) ، وقوله (كأنه قيل) أراد به تفسير معنى النص لا تفسير إعراب .
- ٢- عند تفسيره لقوله تعالى **أَهْلَ لَكُمْ ذِيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ** [البقرة: ١٨٧] إذ قال : " فإن قلت لم عدي (الرفث) ب (إلى) ؟ قلت : لتضمنه معنى الإفضاء"^(١) فجعل سبب تعدي الرفث ب (إلى) هو تضمنه معنى الإفضاء من دون القول بوجود حال محذوفة .
- ٣- في تفسيره لقوله تعالى **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ** [النساء: ٢]. قال : " ولا تتفقوها معها ، وحقيقتها ولا تضموها إليها في الإنفاق ، حتى لا تفرقوا بين أموالكم وأموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم تسوية بينه وبين الحلال"^(٢). فتفسيره للمعنى هو الواضح من كلامه .
- ٤- في تفسيره لقوله تعالى **وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُ** [الكهف: ٢٨] قال : " يقال (عداه) : إذا جاوزه ، ومنه قولهم عداه طوره ، وجاعني القوم عدا زيدا ، وإنما عدي ب (عن) لتضمن (عدا) معنى (نبا وعلا) في قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه، إذا اقتحمته ولم تعلق به ، فإن قلت : أي غرض في هذا التضمنين ، وهلا قيل ، ولا تعدهم عيناك، أو لا تعل عيناك عنهم؟ قلت : الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ ، ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك (ولا تقحمهم عيناك متجاوزتين)^(٣) فجعل الفعل (عدا) متضمنا معنى الفعلين (عدا ونبا) وفسر ذلك بأن المعنى سيكون: (ولا تقحمهم عيناك متجاوزتين) .

(ابن عصفور)

حاول ابن عصفور في عدة مواضع أن يجعل الحرف الموضوع على معناه ؛ لذا لجأ إلى التأويل في المواضع التي يبدو أن الحرف فيها جاء لمعنى آخر ، مثال ذلك قوله: " وزعمت طائفة من النحويين أن (على) تكون بمعنى (الباء) واستدل على

(١) الكشف ١/ ٣٣٧.

(٢) الكشف ١ / ٤٩٥ .

(٣) الكشف ٢ / ٤٨٠ .

ذلك بقولهم : اركب على اسم الله أي باسم الله ؛ فتكون للاستعانة ولا حجة لهم في ذلك ؛ لأن (على) يحتتمل أن تكون متعلقة بمحذوف ويكون المجرور في موضع الحال كأنه قال : اركب متكلا على اسم الله ^(١) .

غير أنه لم يلتزم بذلك في كل المواضع ، فلجأ إلى التضمين في مواضع أخرى إذ نجده وهو يتكلم مثلا عن الحرف (على) يقول : " وزعم بعض النحويين أنها تكون أيضا بمعنى (في) واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ ﴾ [البقرة: ١٠٢] ، المعنى : في ملك سليمان ؛ لأن (يتلو) بمعنى (يقول) ، فكأنه قال : ما تقول الشياطين في ملك سليمان ، وهذا لا حجة فيه لأنه يمكن أن تجعل (تتلو) في معنى تتقول ؛ لأن ما تلتته باطل فهو (تقول) ، و (تقول) تصل ب (على) ، قال الله تعالى ﴿ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴾ [الحاقة: ٤٤] ، فكأنه قال : ما تتقول الشياطين على ملك سليمان ^(٢) . كما صرح في أحد المواضع برأيه في التضمين بقوله :

" إن التصرف في الأفعال أولى منه في الحروف ، وأيضا فإنك إذا حكمت للفعل بحكم فعل آخر كان لذلك مسوغ وهو كون الفعلين بمعنى واحد ، وإذا جعل حرف بمعنى حرف آخر لم يكن لذلك مسوغ لأنهما لا يجتمعان في معنى واحد ^(٣) .

(الرضي)

جعل الرضي - كما قلنا - " الأولى إبقاء الحروف على معناها ما أمكن ^(٤) . غير أنه عبر عن رأيه بالتضمين بوضوح بقوله : " واعلم أنه إذا أمكن في كل حرف يتوهم خروجه عن أصله وكونه بمعنى كلمة أخرى أو زيادته أن يبقى على أصل معناه الموضوع هو له ويضمن فعله المعدى به معنى من المعاني يستقيم به الكلام فهو الأولى بل الواجب ، فلا تقول أن (على) بمعنى (من) في قوله تعالى ﴿ الْإِنِّينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ ﴾ [المطففين: ٢] ، بل يضمن (اكتالوا) معنى تحكموا في

(١) شرح جمل الزجاجي لابن عصفور / ١ / ٥١٠ - ٥١١ .

(٢) المصدر نفسه / ١ / ٥١١ .

(٣) المصدر نفسه / ١ / ٤٩٧ - ٤٩٨ .

(٤) شرح الكافية / ٢ / ٣٤٢ .

الاكتيال وتسלטوا^(١). كما خرج غير ذلك من الأمثلة على التضمين ، مثال ذلك حينما ضمن الفعل (يخالفون) في قوله تعالى : ﴿ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ [النور: ٦٣] ، معنى (يتجاوزون)^(٢) .

وجعل (رضيت) في قول الشاعر^(٣) :
إذا رضيت علي بنو قشير .

محمولا في التعدي على سخطت ، كما حمل (بعث منه) على اشتريت ، وقربت منه على انفصلت منه^(٤) ، وجعل منه قول الشاعر^(٥) :
رعته أشهراً وحلا عليها .

قال : " أي على مذاقها ، كأنه ملك مذاقها وتسלט عليه فهي تميل إليه وتتبعه"^(٦) .

(أبو حيان الأندلسي):

لم يصرح أبو حيان في كتابيه : (ارتشاف الضرب) و(منهج السالك) برأيه في التضمين ، بل اكتفى بعرض أقوال العلماء بالتضمين خلال كلامه عن حروف الجر^(٧) ، أما في تفسيره المسمى بـ(البحر المحيط) فعلى الرغم من عرضه أيضا آراء غيره من العلماء بالتضمين ، غير أننا نجد في أحد المواضع يرجح للتضمين خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَا بِضَهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [البقرة: ٧٦] ، إذ يقول : " و(إلى) قيل بمعنى (مع) ، والأجود أن يضمن (خلا) معنى فعل يعدى بـ(إلى)، أي: انطوى إلى بعض أو استكان أو ما أشبهه، لأن تضمين الأفعال أولى من تضمين الحروف"^(٨) .

(١) شرح الكافية / ٢ / ٣٤٥ .

(٢) ينظر شرح الكافية / ٢ / ٣٤٢ .

(٣) ينظر البحث / ص ٢٥ / الهامش .

(٤) ينظر شرح الكافية / ٢ / ٣٤٢ .

(٥) البيت للراعي النميري وورد في شعره ص ٦٧ بالرواية الآتية

رعته أشهراً وحلا عليها فسار الي فيها واستغارا ، وورد في الاقتضاب / ٢٤٢ برواية (فطار) .

(٦) شرح الكافية / ٢ / ٣٤٢ .

(٧) ينظر ارتشاف الضرب / ٢ / ٤٢٨ ، ٤٤٣ / ٢ ، ومنهج السالك / ٢٤٨ ، ٢٥٠ .

(٨) ينظر البحر المحيط / ١ / ٣٩٦ .

(ابن هشام)

أما التضمين عند (ابن هشام) فمعناه يتضح عنده في عدة مواضع من كتابه مغني اللبيب ، مثال ذلك :

١- حينما جعل الفعل المتعدي يضمن معنى فعل قاصر ، نحو قوله تعالى : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] ، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ [النور: ٦٣] ، ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ [النساء: ٨٣] ، ﴿وَأَصْلَحَ لِي فِي نُرَيْتِي﴾ [الأحقاف: ١٥] ، ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَّا إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْطَى﴾ [الصفافات: ٨] ، وقولهم: (سمع الله لمن حمده) ^(١) وقول الشاعر ^(٢) : ----- يجرح في عراقبها نصلي .

فإنها - برأيه - تضمنت معنى (ولا تب) ، و (يخرجون) ، و (تحدثوا) ، و (بارك) ، و (لا يصغون) ، و (استجاب) ، و (يعث أو يفسد) ^(٣) .

٢- حينما جعل الفعل القاصر مضمنا معنى المتعدي ، مثال ذلك : حينما جعل سبب تعدي الفعلين (رحب) و (طلع) إلى المفعول لتضمنهما معنى (وسع) و (بلغ) ، وفي قولهم : فرقت زيدا ، و ﴿سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٣٠] ، لتضمنهما معنى (خاف) و (امتهن أو أهلك) ^(٤) .

٣- جعله التضمين يختص عن غيره من المعديات بأنه قد ينقل الفعل إلى أكثر من درجة ؛ لذا - برأيه - عدي (ألوت) بقصر الهمزة بمعنى (قصرت) إلى مفعولين بعدما كان قاصرا ، وذلك في قولهم (لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا) لما ضمن معنى (لا أمنعك) ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَأْلُوَكُمْ خِبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨] ، وعدي (أخبر، وخبر، وحدث، وأنبأ، ونبا) إلى ثلاثة لما تضمنت معنى (أعلم وأرى) بعدما كانت متعدية إلى واحد بنفسها وإلى آخر بالجار ، نحو ﴿أُنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ [البقرة: ٣٣] ، ﴿تَبَدُّوْنِي بِعِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ^(٥) .

(١) ينظر صحيح مسلم ٩٤/٤ .

(٢) البيت لذي الرمة وهو في ديوانه ص ٥٧٥ كالأتي: وإن تعتذر عن ذي ضرورها إلى الضيف يجرح في عراقبها نصبي

(٣) ينظر مغني اللبيب / ٢ / ٦٧٦ .

(٤) ينظر مغني اللبيب / ٢ / ٦٨٠ .

(٥) ينظر مغني اللبيب / ٢ / ٦٨٠ - ٦٨١ .

٤- تضمينه (أماته) في قوله تعالى ﴿لَهُ مِائَةُ عَامٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] معنى (ألْبَثَ) وتبينه بعد ذلك أن فائدة التضمنين هي " أن يدل بكلمة واحدة على معنى كلمتين " (١) .

٥- تصريحه في موضع آخر بقوله : " قد يشربون لفظا معنى لفظ فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضمينا ، وفائدته أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين " واستشهاده لذلك بأمثلة كثيرة (٢) .

ومما أخذ على ابن هشام تناقضه في معنى التضمنين ففي الوقت الذي يجعل فيه فائدة التضمنين أن تؤدي كلمة مؤدى كلمتين ؛ مما يفهم منه أنه يريد بالتضمنين الجمع بين المعنيين (معنى اللفظ المذكور والمحذوف معا) كما بين ذلك من خلال الأمثلة سألقة الذكر، نجده في موضع آخر أنه يريد بالتضمنين: أن معنى اللفظ المحذوف فيه هو المراد دون المذكور ، مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَفْعُلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ [آل عمران: ١١٥] ، إذ قال (أي فلن تحرموا ثوابه)، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَخْشَوْا عُقَّةَ النِّكَاحِ﴾ [البقرة: ٢٣٥] ، قال : (أي تتوا) (٣) .

(د . فاضل السامرائي)

أيد د . فاضل السامرائي القول بالتضمنين وجعل المواضع التي قيل فيها بالنيابة يرجع أكثرها إلى التضمنين، ورأى فيه غرض بلاغي لطيف هو الجمع بين معنيين بأقصر أسلوب ، وأن العدول إلى طريقة ما في التعبير بأقصر طرق ظاهرة من ظواهر العربية ، وأنه قياسي كما جاء في قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة (٤) .

أغراض القول بالتضمنين :

(١) ينظر معني اللبيب / ٢ / ٦٨٧ .

(٢) ينظر معني اللبيب / ٢ / ٨٩٧ - ٨٩٩ .

(٣) ينظر معني اللبيب / ٢ / ٨٩٨ ، وحاشية شرح التصريح / ٢ / ٤ .

(٤) ينظر معاني النحو / ٣ / ١٢ - ١٥ .

وجد القائلون بالتضمنين أن القول به يحقق عدة أغراض :

١- الحل لإشكال التعدية بما يناسب صحة الأصل النحوي أو المعنى^(١) .

٢- الإيجاز والاختصار : من خلال إفادة معنيين في سياق واحد عن طريق الحذف^(٢) .

٣- الاتساع والتجوز : وذلك من خلال نقل الكلمة من حكم كان لها إلى حكم ليس بحقيقة فيها^(٣) .

٤- إنه يسد حاجة متطلبات العصر إليه ؛ إذ تستدعي - برأيهم - أن تسعف العربية بمادة ضخمة حتى تساير الحياة الحاضرة ومتطلباتها المعقدة الكثيرة ، وهذا ما قالوا أنهم وجدوه في قرارات المجمع العلمي بالقاهرة الذي أراد من القول بقياسية التضمنين أن يستخدم استخداما فنيا (Technique) في الحياة العامة وما جد فيها من ضروب العلم التجريبي والنظري^(٤) .

٥- إن بعض الأحكام الفقهية استتبعت تبعا للقول بالتضمنين^(٥) .

مآخذ على القول بالتضمنين :

يرى الرافضون للقول بالتضمنين أن إباحته تجر إلى الفوضى والفساد والخطأ في اللغة^(٦) ؛ كما أنه يضيع المعنى الحقيقي المراد من هذا التركيب حينما يقال إن هذا اللفظ مضمن لمعنى آخر وإن اللفظين مرادان معا ، أو إن اللفظ المحذوف مراد دون المذكور .

(١) ينظر البحث /ص ٣٧-٣٩ .

(٢) ينظر النحو الوافي /٢/ ٥٨٧، وظاهرة النيابة في العربية/٧١ .

(٣) ينظر ظاهرة النيابة في العربية / ٦٤ .

(٤) ينظر النحو العربي نقد وبناء / ١٧٠ .

(٥) ينظر التضمنين في ضوء الدراسة النحوية / ٣٣ .

(٦) ينظر النحو الوافي / ٢ / ٥٩٠ - ٥٩١ .

الفصل الثالث

بيننا خلال الفصلين السابقين النيابة وما قيل فيها والتضمين وما قيل فيه، نتناول خلال هذا الفصل الشواهد من النصوص القرآنية التي قيل إن النيابة قد وقعت فيها أو التضمين .

الحرف (إلى)

❖ قال - تعالى - ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤] قيل (إلى) بمعنى (الباء) في قوله - تعالى - (إلى شياطينهم)^(١) . تعدى الفعل (خلا) في هذه الآية بالحرف (إلى) ليعطي دلالة تختلف عن المعنى الذي يتحقق فيما لو تعدى بـ (الباء) .
فقولنا خلا فلان بفلان معناه : أوقع خلوته به " أما خلا إليه فمعناه انتهى إليه في خلوة"^(٢) .

فتكشف الآية عن دخائل نفوس المنافقين وغاياتهم وانصراف قصدهم إلى لقاء إخوانهم من الشياطين في مواضع هي مآبهم ومرجعهم ، بما يدل على أنهم خرجوا لأجله وهو وجهتهم الحقيقية ، فدل الحرف (إلى) على أنه هدفهم الذي توجهوا إليه ، في حين عبر القرآن في جانب المؤمنين بقوله (وإذا لقوا الذين آمنوا) فهو لقاء لم يقصد إليه وإنما هو لقاء فرضه الطريق ودفعته المصادفة، وذلك يتناغم مع رغبتهم الكامنة في نفوسهم التي دل عليها تعبيرهم بالجملة الاسمية وتأكيدها بـ(إن) في قوله (إِنَّا مَعَكُمْ) ، في حين فضحهم تعبيرهم في دعواهم الإيمان فجاءوا بالجملة الفعلية خالية من التأكيد مما يدل على أن نفوسهم لم تطاوعهم لقوله كما طاوعتهم في خطابهم لإخوانهم^(٣) .

❖ قال - تعالى - : ﴿حَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] قيل ضمن (الرفث) معنى (الإفشاء) في قوله - تعالى - (الرفث إلى نسائكم)^(٤) . والحقيقة أن الرفث والإفشاء معنيان من معاني الجماع الواردة في القرآن الكريم ، إذ إن القرآن الكريم استعمل سبع عشرة مادة لغوية كناية في التعبير عن معنى الجماع بين الزوجين ، واستعمل كل واحدة منها في الموضع المناسب لها بما فيها من إحياءات معينة ودلالات تتسجم مع السياق^(٥) .

(١) ينظر البحر المحيط / ١ / ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) المفردات في غريب القرآن / ١ / ٢٢٦ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٨٤ .

(٤) ينظر الخصائص / ٢ / ٣٠٨ .

(٥) ينظر الكشف / ١ / ٣٣٨ ، والكناية في القرآن الكريم / ٧٤ .

لفظة (الرفث) في هذه الآية كانت هي المقصودة وتعيدها بـ(إلى) هو المطلوب، أما الفعل (أفضى) فكان هو المقصود أيضا في الموضع الذي ورد فيه في القرآن الكريم ولكل من اللفظين دلالاته ومعناه في السياق الذي ورد فيه. ولتوضيح ذلك نقول :

إن الرفث ورد في سياق عبادة الصيام ، وكانت اللفظة المناسبة في التعبير عن معناها في هذا السياق لأن الرفث " هو كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه"^(١) ، " والرفث والرفوث : الفحش والجماع وكلام النساء في الجماع"^(٢).

فاللفظ الكنائي في حقيقته دال على معنى القبح لا نجده في لفظ كنائي جنسي آخر كالإفشاء، أو الغشيان، أو المباشرة، أو غير ذلك مما جاء في القرآن كله من كنايات جنسية ؛ وذلك لأن معنى القبح في كناية الرفث مقصود في سياقه ، وقد علل الزمخشري استعمال هذه الكناية في سياقها بالاستهجان وذلك لما وجد منهم قبل الإباحة كما سماه اختيانا لأنفسهم^(٣). هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن هذا الأمر إذا كان من مفطرات الصائم في أثناء النهار فإنه مباح ليلا؛ وبذلك تكون هذه الكناية موحية بما يصاحب المكنى عنه من قول يلزمه وشعور يرتفع بالفعل الجنسي إلى المستوى الإنساني^(٤).

واستعمل القرآن حرف الجر (إلى) فجعل نساءهم غاية ينتهي إليها الفعل (رفث) وسبب ذلك كما بين بعدها ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ [البقرة: ١٧٨].

فجعل كلا منهما سترا لصاحبه يستره عن القبيح والمحرم .
أما الفعل (أفضى) فقد ورد في سورة النساء بقوله - تعالى - ﴿ وَإِنْ أَرَأَيْتُمْ اسْتَزِيلَ زَوْجَ مَكَانِ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَهْرًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَ بِهِ إِنْ كُنْتُمْ مَوَظِنًا وَمَا مِيقَاتُ أَخْوَاضِهِمْ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَظِيظًا ﴾ [النساء: ٢٠-٢١].

(١) المفردات /١/ ٢٩٠ .

(٢) ينظر لسان العرب /٥/ ٢٦٣ .

(٣) ينظر الكشف /١/ ٣٣٨ ، والكناية في القرآن الكريم /٧٧/ .

(٤) ينظر الكناية في القرآن الكريم /٨٢/ .

فنلاحظ أن في الكناية (أفضى) إحياء واتساع في المعنى الذي يتناسق مع سياق الآية ، فالفضاء هو المكان الواسع ، ومنه أفضى بيد إلى كذا ، وأفضى إلى امرأته وهو اتساع مادي ومعنوي ملحوظ في العلاقة الزوجية يهدف سياق الآية إظهاره والتذكير به في موضعه ؛ لأن السياق سياق طلاق ورغبة عن الزوجة ، إذ إن الفعل (أفضى) مطلق في دلالاته لم يقيد مفعول محدد ، أي لا يقف مدلوله عند حدود الجماع بل هو يشمل العواطف، والمشاعر، والأسرار، والهموم، والتجاوب في كل الصور. فالكناية على إطلاقها توحى بكثير من الصور لتلك الحياة المشتركة بين الزوجين آناء الليل وأطراف النهار فيتضاءل إلى جوار هذه المعاني ذلك المعنى المادي فيخجل الزوج أن يطلب بعض ما دفع وهو يستعرض في خياله وفي وجدانه ذلك الحشد من الصور والذكريات والمشاعر الماضية في لحظة الفراق^(١).

وفي لفظة (أفضى) معان أخرى توحى بها إذ فيها إحياء التحول من حالة إلى أخرى أفاد القرآن تذكير الزوجين بها وهو التحول والانتقال من فردية الزوج - الرجل والمرأة - بالإفضاء - إلى فضاء الأسرة الرحيب ، أي التحول بالإفضاء من عالم الفرد المغلق على ذاته إلى عالم التواصل الأسري الذي هو فضاء إنساني يتجاوز فردية الإنسان ويسمو به حيث الطمأنينة والسكن والاستقرار، وفيه يفضي الزوج ما بداخله إلى زوجه ، فيلامس أحدهما الآخر إلى حد التوحد من أجل خلق كيان واحد جديد^(٢).

فمن كل ما تقدم يتبين لنا أن (الرفث) في الآية لا يتضمن معنى (الإفضاء) فلكل منهما دلالاته في تعديه وفي سياقه الذي جاء فيه.

❁ قال - تعالى - ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ بَيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]

قيل إن الفعل (ترى) في قوله - تعالى - (أَلَمْ تَرَ) مضمن معنى النظر^(٣)

(١) ينظر الكناية في القرآن الكريم / ٨٢ .

(٢) ينظر المصدر نفسه / ٨٢-٨٣ .

(٣) ينظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج / ٢/ ٦٢٠ .

اتفق المفسرون على أن تركيب (ألم تر إلى كذا) إذا جاء فعل الرؤية فيه متعديا إلى ما ليس من شأن السامع أن يكون قد رآه ، كان كلاما مقصودا منه التحريض على علم ما عدي إليه فعل الرؤية ، فالاستفهام فيه غير حقيقي وإنما هو مجازي كنائي^(١) وكأنه يقول للمخاطب : ألم ينتهي علمك إلى كذا ؟

فلو تأملنا السياق في جميع الآيات التي ورد فيها تركيب (ألم تر إلى كذا) لوجدنا أن المفعول الذي تعدى إليه فعل الرؤية بـ (إلى) أمرا غريبا حث المخاطب على التأمل والتفكير لما أعلم به وأخبر من تلك الحقائق العجيبة ليعتبر بها ويتعظ . ففعل الرؤية هنا غير مضمن لفعل النظر ؛ لأن النظر " تقليب العين حيال مكان المرئي طلبا لرؤيته "^(٢) ؛ لذا نجد أنه ورد في القرآن في مواضع أخرى ، كان المقصود منه مجرد المشاهدة بالعين فحسب مثل قوله - تعالى - : ﴿ قَالَ رَبِّ ارْزُقْنِي أَفْطَرُ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، وقوله - تعالى - : ﴿ فَأَنْظُرْ إِلَى طَعْمِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ [البقرة: ٢٥٩]^(٣) .

❁ قال - تعالى - : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٢]

قيل (إلى) بمعنى (مع) في قوله - تعالى - (إلى الله)^(٤)

قوله - تعالى - (من أنصاري إلى الله) المحكي عن النبي عيسى (عليه السلام) ومعناه من جندي متوجها إلى نصرته الله ؟ وإضافة (أنصاري) خلاف إضافة (أنصار الله) في جواب الحواريين ؛ لأن معنى من أنصاري : من الأنصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرته الله ، ومعنى نحن أنصار الله : نحن الذين ينصرون الله ، وكأنه (عليه السلام) طلب منهم أن ينصروه الله - تعالى - ؛ لا لغرض آخر

(١) ينظر تفسير التحرير والتنوير / ٤٥٤/٢ .

(٢) الفروق في اللغة / ٦٧ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٤٠ - ١٤٢ .

(٤) ينظر الجنى الداني / ٣٧٤ .

(٥) ينظر معجم القراءات القرآنية / ١٤١/٧ .

مدمجا نصر الله - تعالى - في نصرة رسوله ، والدليل على ذلك قراءة من قرأ^(٥) من أنصار الله^(٦)؛

لذا فإن (إلى) في هذه الآية هي للانتهاء وليست بمعنى (مع) التي تدل على المصاحبة.

❖ قال - تعالى - : ﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ [النساء: ٢]

قيل : (إلى) بمعنى (مع) في قوله - تعالى - (إلى أموالكم) ، وقيل ضمن (تأكلوا) معنى (تضموا)^(١) .

الأكل : هنا مستعار للانتفاع المانع من انتفاع الغير ، وهو الملك التام ؛ لأن الأكل هو أقوى أحوال الاختصاص بالشيء ؛ لأنه يحزره في داخل جسمه ولا مطمع في إرجاعه^(٢) ، وقوله (إلى أموالكم) دلالة على امتلاك الأوصياء للأموال، فالنهي إذن لعدم تفريقهم بين أموالهم وأموال اليتامى قلة مبالاة بما لا يحل لهم ؛ تسوية بينه وبين الحلال^(٣)، وتكثيرا لأموالهم وذلك أدخل في النهي، لما فيه من التشنيع عليهم إذ يأكلون أموال اليتامى وحقوقهم وهم أغنياء^(٤) .

فبدلا من أن نقول إن الفعل (تأكلوا) يتضمن معنى (تضموا) من أجل تسويغ التعدية ب (إلى) ، فتضيق بذلك دلالة الفعل المذكور في الآية والمعنى المراد من تعديه بهذا الحرف ، وبدلا من جعل (إلى) بمعنى (مع) ، فالأفضل جعل الجار والمجرور متعلقا بحال محذوفة تقديره (منتهية) وسبب الحذف هو أن المحذوف مفهوم من السياق واستعمل الحرف (إلى) ؛ للدلالة على النهي عن أكل أموال اليتامى منتهية إلى أموال الأوصياء وكأنها جزء منها ، وهذا المعنى لا يتحقق باستعمال كلمة المصاحبة ؛ إذ لو كانت الآية (ولا تأكلوا أموالهم مع أموالكم) ؛ لفهم منه النهي عن الجمع بين الأموال

(٦) ينظر الكشف / ٤ / ١٠١ ، وروح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني / ٣ / ٧٥ ، ومن أسرار
الجر / ٢٧٩-٢٨٠ .

(١) ينظر البحر المحيط / ١ / ١٠٢ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير / ٤ / ١٤ .

(٣) ينظر الكشف / ١ / ٤٩٥ .

(٤) ينظر التحرير والتنوير / ٤ / ١٤ .

المأكولة (أموال اليتامى وأموال الأوصياء) ؛ مما يجيز بذلك أكل أموال اليتامى معزولة عن مال الأوصياء ، وهو معنى مختلف كثيرا عن المعنى المراد من الآية.

﴿ قال - تعالى - : ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ [المائدة: ٦]

قيل إن (إلى) بمعنى (مع) في قوله - تعالى - (إلى المرافق)^(١) .

لما قال - عز وجل - (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم) تناول اليد جميعها كما تناول الوجه جميعه ، واليد اسم للجارحة من رأس الأنامل إلى الإبط ، فلما قال (إلى المرافق) صار إسقاطا إلى المرافق^(٢) ، فإما أن يدخل ما بعد (إلى) في حكم ما قبلها أو لا يدخل ، وفي ذلك خلاف^(٣) ، لكن (إلى) في كلتا الحالتين للانتهاء ، في حين أننا لو قلنا إن (إلى) بمعنى (مع) فحينئذ نكون قد أسقطنا (المرافق) من أجزاء اليد المذكورة قبلها ثم أدخلناها في حكم الغسل مع اليد بعد ذلك، وكأنها ليست جزءا منها أول الأمر ثم ألحقت بها ، وهو مالا فائدة منه ، ويترفع عنه نظم القرآن الكريم .

﴿ قال - تعالى - : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأنعام: ١٢] .

قيل (إلى) في قوله - تعالى - (إلى يوم القيامة) بمعنى (في)^(٤) .

تعدى فعل الجمع هنا بـ (إلى) للدلالة على انتهائهم إلى ما ينتظرهم من الحساب والجزاء، فورد قوله - تعالى - : (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) بعد قوله - عز وجل - (كتب على نفسه الرحمة) ؛ إشارة إلى أن تأخير الله العذاب وعدم تعجيل العقوبة إلى هذا اليوم هو من رحمة الله - تعالى - حتى يتيح الفرصة لمراجعة النفس والعودة إلى الله، قال - تعالى - : ﴿ وَرَبُّكَ الْغُورُ نُورٌ الرَّحْمَةُ لَوِيٌّ وَآخِذُهُمْ بِمَا كَذَبُوا لَعَجَلْ لَهُمْ مِ الْعَذَابِ لِيْلَهُمْ مَّ مَّوْعِدٌ لَّنْ يَجِئُوا مِنْ نُوزِهِ مَّوْئِلًا ﴾ [الكهف : ٥٨]^(٥).

(١) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ١ / ٤٢١ .

(٢) ينظر شرح المفصل / ٨ / ١٥ .

(٣) ينظر الجنى الداني / ٣٧٣ .

(٤) ينظر الجنى الداني / ٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٥) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٧٤ - ٢٧٥ .

❖ قال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [التوبة: ٣٨].

قيل ضمن الفعل (اناقلتم) معنى ملتم في قوله - تعالى - (اناقلتم إلى الأرض)^(١).

التناقل : تكلف الثقل ، أي إظهار أنه ثقیل لا يستطيع النهوض ، والثقل حالة في الجسم تقتضي شدة تطلبه للنزول إلى الأسفل وعسر انتقاله وهو يستعمل هنا في البطء مجازا مرسلًا ، وفيه تعريض بأن بطأهم ليس عن عجز ، ولكنه عن تعلق بالإقامة في بلادهم وأموالهم ، وعدي التناقل بـ (إلى) ؛ لأنه تناقل يطلب فاعله الوصول إلى الأرض للعود والسكون بها ، فالآية تمثل حال الكارهين للغزو والمتطلبين للعدو عن الجهاد كسلا وجبنا ورغبة في الحياة بحال من يستهزئ للخروج فيقابل ذلك بالتباطؤ في القيام ثم الميل إلى الأرض ليلتصق بها ويقعد فيها ، فقوله (إلى الأرض) ؛ لأن تباطؤهم وتطلبهم للعدو كان أعظم بواعثه رغبتهم البقاء في حوائطهم وثمارهم وأموالهم وديارهم^(٢)؛ لذا فإن الفعل (اناقلتم) كان هو المراد وتعديه بـ(إلى) هو المطلوب من أجل تصوير حالة أولئك المتقاعسين عن الجهاد في سبيل الله ، أما كوننا نفهم معنى الميلان نحو الأرض فهذا لا يعني أن الفعل (اناقلتم) أدى معنيين في سياق واحد ، إنما هو معنى مفهوم من السياق ، لا من الفعل نفسه .

❖ قال - تعالى - : ﴿ إِنِّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالُونَ ﴾ [هود: ٢٣] .

قيل إن (إلى) في قوله - تعالى - (وأخبتوا إلى ربهم) بمعنى (اللام)^(٣)

يدل الفعل (أخبت) على معنى التواضع والخشوع والخضوع^(٤) .

وحينما يعدى هذا الفعل بـ (إلى) فإنه يدل على الاطمئنان لما يوصل بـ(إلى) وهذا يعني أن الفاعل وجد راحته في الركون إليه ، وسبب تعدي هذا الفعل بـ (إلى) في هذه الآية، أن هذه الآية جاءت بعد وعيد الله - تعالى - للصادقين عن سبيل الله الذين يبغونها

(١) ينظر الكشف / ٢ / ١٨٩ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير / ١٠ / ٩٥ - ٩٦ .

(٣) ينظر معاني القرآن/ الفراء / ٩/٢ .

(٤) ينظر لسان العرب / ٩/٤ .

عوجا إذ قال - تعالى - ﴿الَّذِينَ يَصُوتُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْنَهُنَّ مَا عَوجًا وَهُمْ بِآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [هود: ١٩] . فلما نعى القرآن على هؤلاء الصادين جاء في مقابلتهم بامتداح المؤمنين الذين استقامت وجهتهم إلى الله - تعالى - ، فلم يستطع الصادون عن سبيل الله أن يحولهم عن وجهتهم واستواء قصدهم إلى ربهم ، أو يحولوا بينهم وبين الوصول إليه والإيواء إلى كنفه ، وذلك ما يعبر عنه حرف الانتهاء ، في حين نجد أن هذا الفعل (أختب) قد تعدى في موضع آخر في القرآن بحرف (اللام) وذلك في سورة الحج ، وسبب ذلك أن آية الحج قد جاءت إثر الحديث عن الفتنة التي يلقي الشيطان بها في نفوس الضعفاء ، إذ قال - تعالى - : ﴿لِيَجْلِيَ مَا يَفْقِي الشَّيْطَانُ قَدْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج : ٥٣] ، ففي مقابل مرضى القلوب فريق آخر من الذين أوتوا العلم يرى ما أنزل الله هو الحق فتخضع له قلوبهم وتخضع لأمره وتتناقد لحكمه فعبر ذلك بقوله ﴿ذُخِبَتْ لَهُمْ وَبَقِيَ هُمْ﴾ [الحج : ٥٤] واللام دالة فيه على إسلام قلوبهم لربهم واختصاصه بالخضوع له وحده^(١) .

❁ قال - تعالى - : ﴿وَلَا قَوْمٍ اسْتَغْنَوْا رَبُّكُمْ ثُمَّ تَوُوءُوا إِلَيْهِ يَرْسِلِ السَّمَاءُ عَلَيْكُمْ مِرَارًا وَوَنُكْمٌ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]

قيل (إلى) بمعنى (مع) في قوله - تعالى - (إلى قوتكم)^(٢) .
الفرق بين قوله - تعالى - (إلى قوتكم) وبين قولنا (مع قوتكم) هو الفرق بين أن يكون الشيء معك وأن يكون الشيء جزءا منك ، وذلك أن قوله - تعالى - : (يزدكم قوة إلى قوتكم) معناه يزدكم قوة تنتهي إلى قوتكم وتتضم إليها كما ينضم المدد من الجند إلى جيشه فيصبح جزءا منه، يتكاثر الجيش به ويقوى ، وفي ذلك ما يوحى بأن قوتهم في ذاتها ينميها الله - تعالى - ويبسط فيها طولا وعرضا ، حسبما يقتضي فضله وكرمه ؛ وهذا ما ليس في كلمة المصاحبة^(٣) ، فقوله - تعالى - (

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٢) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ١ / ٤٢١ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٨٠ - ٢٨١ .

إلى قوتكم (متعلقة ب (حال) محذوفة تقديره (منتهية) حذف الحال لأنه مفهوم من السياق.

أما لو استعملت كلمة المصاحبة لدلت على استصحاب قوتكم لقوة ثانية ليست جزءا منها وإنما تكون معها وهو غير المعنى للمراد.

❖ قال - تعالى - : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ يَتِّكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]

قيل ضمن الفعل (تهوي) معنى (تميل) في قوله - تعالى - (تهوي إليهم)^(١).

جاء في لسان العرب " هوى يهوى هوى بالفتح - إذا هبط ، وهوى يهوى هوى - بالضم - إذا صعد ، وقيل العكس ، وهوى يهوى هوى إذا أسرع في السير"^(٢) وكل هذه المعاني صالحة لأن تراد في الآية ويحققها حرف الانتهاء ، فدعاء سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم إما أن يراد به الهبوط إليهم ؛ لأنه أسكن ذريته في واد ، " والوادي: هو كل منفرج بين الجبال والاكمام"^(٣) ، والمتجه إلى هذا الوادي إنما يهبط من الجبال والتلال التي تحيط بمكة إليه ، فيكون المراد بالهبوط المعنى الحقيقي له .

وقد يراد به المعنى المجازي الدال على السرعة ، فأطلق الهبوط على الإسراع في المشي ، كقول امرئ القيس :
كجلمود صخر حطه السيل من عل^(٤).

فالإسراع هنا كناية عن الشوق والمحبة إلى هذا المكان ، وعدي ب (إلى) ليشير معه إلى جعل بيت الله الحرام غاية يقصد إليها الملبون وتنتهي آمالهم عندها ؛ لأن الملبى لدعوة سيدنا إبراهيم (عليه السلام) تحركه دوافع الشوق ويستحثه شرف المقصد؛ ليضرب أكباد الإبل ويسرع في ذلك بهدف الوصول إليه . أو قد يكون المراد ب (تهوي) الإسراع ، ويكون هو المعنى الحقيقي للفعل . أما على معنى الصعود فيمكن أن يراد به هنا إلماحا إلى شرف هذا المكان وسمو المقصد ، و(إلى)

(١) ينظر البرهان / ٤/ ٢٣٤ .

(٢) لسان العرب / ١٥/ ١٦٧-١٦٨ .

(٣) المحخص / ١٠/ ١٠١ .

(٤) ينظر ديوانه امرئ القيس / ص ١٩ ، والشطر الأول منه هو : مَكْرٍ مَفْرٍ مَقْبِلٍ مَدْبِرٍ مَعَا .

تلمح إلى ارتفاع نفوس الحبيج وعلوها بعلو الهدف والغاية التي يسعى إليها ، وقد عدي هذا الفعل بـ (إلى) دالا على معنى الصعود في قول الشماخ^(٥) :

على طريق كظهر الأيم مطرد يهوي إلى قنة في منهل عالي^(٦)
والمراد بقوله (اجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم) : اجعل أناسا يهون إليهم ، وأقم لفظ الأفئدة ، لإرادة أن يكون سيرهم عن شوق ومحبة حتى كأن المسرع والمرتفع بذلك هو القلب قبل الجسد^(١) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفُوتُونِي فِي أُمِّي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أُمُراً حَتَّى تَشْهَبُونِ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل: ٣٢-٣٣].

قيل (إلى) في قوله - تعالى - (والأمر إليك) بمعنى (اللام)^(٢) .
قوله - تعالى - : ﴿ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ ﴾ حكاية عن الملأ الذين استشارتهم الملكة بلقيس بشأن الكتاب الذي ألقى إليها ، إذ بين هؤلاء الملأ رأيهم بقوله : (نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ) فبينوا قدرتهم ؛ فمن يملك هذه القوة وذلك البأس لا ينبغي له أن يلقي يد السلم إلى أحد ويقبل التهديد ، ثم ردوا الحكم في ذلك الأمر إليها ، فقولهم : (والأمر إليك) أرادوا به إرجاع القرار والحكم النهائي إلى صاحبة الحكم ، وهو على غرار قوله - تعالى - : ﴿ وَمَا خَلَقْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [الشورى : ١٠] ؛ لأن ما يختلف فيه الخلق يجب أن يرجعوا فيه إلى ربهم ويردوا حكمه إليه ، وذلك يختلف في غايته ومرماه عن قوله - تعالى - ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [يوسف: ٤٠] إذ تشعر اللام باختصاصه - تعالى - وحده بالأمر والحكم ، ومثل ذلك لا يستشار فيه ولا يطلب فيه رأي من أحد ، ولو أن الأمر كذلك مع بلقيس لأسلموا لها الأمر من دون معارضتهم المهذبة ولكان ردهم عليها هو الأمر لك ؛ إذ إن من يكون الأمر خالصا له وحده؛ لا ينازع فيه^(٣) .

(٥) ينظر ديوان الشماخ / ٤٦٠ .

(٦) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٧٣-٢٧٤ .

(١) ينظر التحرير والتنوير / ١٢ / ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٢) ينظر الجنى الداني / ٣٧٤ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٦٨ - ٢٦٩ .

❖ قال - تعالى - : ﴿ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى ﴾ [النازعات: ١٨]
 قيل إن (إلى) في قوله - تعالى - (إلى أن تزكى) بمعنى (في)^(٤)
 قوله - تعالى - (هل لك) تركيب جرى مجرى المثل ، فلا يغير هذا التركيب ؛
 لأنه قصد به الإيجاز ، يقال : هل لك إلى كذا ؟ وهل لك في كذا ؟ وهو كلام قصد
 منه العرض ، كقول الرجل لضييفه : هل لك أن تنزل ؟
 ف(لك) خبر مبتدأ محذوف تقديره : هل لك رغبة في كذا ؟ فحذف (رغبة) ،
 واكتفى بدلالة الحرف (في) عليه ، وقالوا : هل لك إلى كذا ؟ على تقدير : هل لك
 ميل أو رغبة إلى كذا ؟ فحذف (ميل أو رغبة) لدلالة (إلى) عليه^(١) .
 فالرغبة حين تتعدى بـ (إلى) فإنها تدل على توجه الراغب إلى المرغوب والسعي
 إليه وترك ما هو فيه متجها إليه قاصدا نحوه غير معرج على سواه ، وهو ما يقصد
 إليه النظم هنا دالا على طلب سيدنا موسى (عليه السلام) من فرعون ترك دنيا الكفر
 والاتجاه إلى الله - تعالى - ، كما يدل عليه قوله بعد ذلك ﴿ وَأَهْبِكَ إِلَى رَبِّكَ
 فَتَخْشَى ﴾ [النازعات: ١٩] ؛ ولا سيما أن المقام هنا مقام دعوة^(٢) ، فلا يناسب ذلك
 أن تحل (في) محل (إلى) ؛ لأن فرعون وهو على حال الكفر ليس له الرغبة
 الكبيرة والشديدة في الله حتى يعبر عن ذلك بحرف الظرفية الذي يدل على انغماس
 رغبته في أن يزكى .

حرف (الباء)

❖ قال - تعالى - : ﴿ إِذْ تَوْأَمُ النَّيْنِ اتَّبَعُوا مِنْ الدِّينِ انَّبَعُوا وَرَأُوا الْغَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
 الْأَسْبَابُ ﴾ [البقرة: ١٦٦]

قيل إن (الباء) في قوله - تعالى - (بهم) بمعنى (عن)^(٣)
 الباء في (بهم) للإصاق أي تقطعت الأسباب ملتصقة بهم ، أي فسقطوا ، إذ
 شبه حالهم - عند خيبة أملهم حين لم يجدوا النعيم الذي تعبوا لأجله مدة حياتهم

(٤) ينظر البرهان ٢٣٤/٤ .

(١) ينظر التحرير والتنوير / ٣٠ / ٦٨ .

(٢) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٨٨ .

(٣) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ١ / ١٣٧ .

ووجدوا عوضه العذاب - بحال المرتقي إلى النخلة ليجني الثمر الذي كد لأجله طول السنة فتقطع به السبب - وهو الحبل - عند ارتقائه فسقط هالكا ، فعلموا حينئذ أن لا نجاة لهم فحالهم كحال الساقط من علو لا ترجى له سلامة ، وهذا المعنى هو محل التشبيه ؛ لأن الحبل لو تقطع غير ملاصق للمرتقي به لما كان في ذلك ضرر ؛ إذ يمسك بالنخلة ويتطلب سببا آخر ينزل به ؛ ولذلك لم يقل وتقطعت عنهم الأسباب^(١) ، ولو قيل قطعتم الأسباب لدل على بقاء هذه الأسباب قوية ، وأن المتبوعين لم يلحق بهم سوء ، وأن التابعين وحدهم هم الذين نزل بهم العذاب ، وهذا غير ما قصد إليه النظم من أنهم حين اتخذوا من دون الله أندادا تعلقوا بحبال واهية وأسباب ضعيفة لم تلبث أن تقطعت بهم حينما حاولوا التعلق بها ظانين أنها تغني عنهم من الله شيئا ، فإذا التابع والمتبوع في نار جهنم وإذا القوة لله جميعا^(٢).

❁ قال - تعالى - : ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِيهِ مِنْ صِيلِمٍ أَوْ صَفْقَةٍ أَوْ نَزْكَ ﴾ [البقرة: ١٩٦]

قيل إن الباء بمعنى (في) في قوله - تعالى - (به)^(٣) .

الباء في قوله - تعالى - (به) للإلصاق ؛ لأن المقصود بـ (الأذى) هو الجراحة والقمل ، وكلاهما يلاصقان الرأس وقد يحوجان إلى الحلق^(٤) .

ولو استعمل حرف الظرفية لتغيرت الدلالة ؛ لأن الأذى إذا كان في الرأس فيشمل ذلك كل مرض أو أذى داخل الرأس بل وحتى الصداع ، وهذا النوع من الأذى - وهو الثاني - لا يستوجب الحلق فلا تقصده الآية ، والدليل على ذلك ما جاء في صحيح البخاري : عن كعب بن عجرة قال : " حملت إلى النبي (ﷺ) والقمل يتناثر على وجهي ، فقال : ما كنت أرى الجهد قد بلغ بك هذا ، أما تجد شاة ؟ قلت : لا ، قال : صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع من الطعام واحلق رأسك ، فنزلت هذه الآية في خاصة ، وهي لكم عامة"^(٥).

(١) ينظر التحرير والتنوير / ٢ / ٩٦ - ٩٧ .

(٢) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٧٧ .

(٣) ينظر البحر المحيط / ٢ / ١٢٨ .

(٤) ينظر الكشاف / ١ / ٣٤٤ - ٣٤٥ .

(٥) ينظر صحيح البخاري / ٣٠ / ١٧ .

❖ قال - تعالى - : ﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٦]

قيل إن (الباء) في قوله - تعالى - (بيدك) بمعنى (في)^(٦)

الباء في قوله - تعالى - (بيدك) للإلصاق ، فجاءت لتشير إلى الفيض والعطاء لا إلى الحرمان والإمساك ، فلو حل حرف الظرفية محلها لدل على إحاطة اليد بالخير واحتوائها له ، ولأشار بذلك إلى المنع والإمساك ، وهو عكس ما أوجت به الباء ، والذي استدعى حرف الإلصاق هنا هو الذي استدعاه في قوله - تعالى - : ﴿ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ نُورُ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد: ٢٩] فدل قوله - تعالى - (والله ذو الفضل العظيم) على تدفق فضله وعطائه^(١).

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ [آل

عمران: ٧٥]

قيل الباء في قوله - تعالى - (بقنطار) بمعنى (على)^(٢) .

(الباء) في (بقنطار) للإلصاق ، فمعنى إئتمنه بكذا : ألصق الأمانة به. فقد وردت الباء هنا في موضع يخشى فيه على الأمانة من ذات المؤتمن ، وقربه من الأمانة والتصاقه بها ، وتمكنه من حيازتها لنفسه ، وهو الذي يكشف عن نزاهته أو خيانتته ؛ لذا امتدح الله - تعالى - فريقا من أهل الكتاب لم تغرهم كثرة المال الذي بين أيديهم بالسطو عليه ومنعه صاحبه ، في حين ذم فريقا آخر لم تمنعهم قلة ما إئتمنوا به من حيازته لأنفسهم ، والامتناع عن رده إلى صاحبه ، فاستعملت الباء لتدل على إلصاق المؤتمن بالأمانة وملابسته لها ليمتاز الأمين من الخائن ، أما قوله - تعالى - : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴾ [يوسف: ١١] فحرف الاستعلاء هنا يرمز إلى الإشراف والمراقبة والحفاظ على من إئتمنوا عليه ، كما يرمز إلى قوتهم ورجاحة عقولهم بحكم أنهم أكبر منه سنا ، فجاءت في سياق يخشى فيه على المؤتمن من عدوان خارجي يتطلب إشراف المؤتمن وحفاظه عليه واستعلاءه بقوته وفكره دفاعا عنه ؛ لذا جاء جواب الأب لهؤلاء الذين أدلوا بقدرتهم وحسن إشرافهم بعد أن أضاعوا يوسف (عليه السلام) وجاءوا يطلبون من الأب إرسال شقيقه معهم إلى

(٦) ينظر الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين / ٣٩٦ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٩٢ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٢ / ٧٩٧ .

مصر، وفي طياته اتهام لهم بالتفريط والتقصير، وأنهم ليسوا أهلاً للحفاظ عليه إذ قال: ﴿ هَلْ أَمُوكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمُتْكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [يوسف: ٦٤] (٣) .

❖ قال - تعالى - : ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ لَّفَرِيقًا يَلُوبُونَ أُلُوسًا مِّنْ بَالِكَأَبِ﴾ [آل عمران: ٧٨]

قيل إن الباء بمعنى (في) في قوله - تعالى - (بالكتاب) (١) .

اللي - في الأصل : الإراغة ، أي إدارة الجسم غير المتصلب إلى غير الصوب الذي هو ممتد إليه ، فمن ذلك لي الحبل ولي عنان الفرس لإدارته إلى غير صوب سيره ومنه لي العنق ، واللي في هذه الآية يحتمل أن يكون حقيقة بمعنى تحريف اللسان عن لفظ حرف من حروف الهجاء إلى لفظ حرف آخر يقاربه لتعطي الكلمة في أذن السامع جرس كلمة أخرى ، كما في قولهم في السلام على النبي (ﷺ) : السَّامَ عليكم ، أي الموت. وهذا اللي يشابه الإشمام والاختلاس، وقد تتغير الكلمات بالترقيق والتفخيم وباختلاف صفات الحروف . والظاهر أن الكتاب هو التوراة فلعلم كانوا إذا قرؤوا بعض التوراة بالعربية نطقوا بحروف من كلماتها بين بين ليوهموا المسلمين بمعنى غير المعنى المراد ، أو لعلمهم كانوا يقرؤون ما ليس في التوراة بالكيفيات التي كانوا يقرؤون بها التوراة ليخيلوا للسامعين أنهم يقرؤون التوراة .

ويحتمل أن يكون اللي هنا مجازاً عن صرف المعنى إلى معنى آخر كقولهم لوى الحجة أي ألقى بها على غير وجهها ، وهو تحريف الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة والأقيسة الفاسدة والموضوعات الكاذبة وينسبون ذلك إلى الله - تعالى - ، وأياً ما كان فإن هذا اللي يقصدون منه التمويه على المسلمين لغرض ما يهدفون إليه (٢) .

فالباء على هذه المعاني كلها للإلصاق ، أفادت خلال السياق معنى الملابس وهو ما لا يحققه حرف الظرفية الذي يدل على المبالغة في القيام بالفعل وهو غير المراد من الآية .

❖ قال - تعالى - : ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَرٍّ وَلْتُمْ أُنْدَاةً﴾ [آل عمران: ١٢٣]

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٨٠ - ١٨١ .

(١) ينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم / ١ / ج ٢ / ص ١٣ .

(٢) ينظر الكشف / ١ / ٤٣٩ ، والبحر المحيظ / ٢ / ٨٠١ - ٨٠٢ ، والتحرير والتنوير / ٣ / ١٣٦ - ١٣٨ .

قيل إن الباء بمعنى (في) في قوله - تعالى - (ببدر)^(٣) .

(الباء) التي تدخل على المكان تدل على وقوع الحدث به من دون قصد إلى احتواء المكان له ، وتمكنه فيه بل مجرد الاقتران به ، والإلتصاق بأي جزء من أجزائه ، فاستعملت (الباء) في هذه الآية ؛ لأن بدر لم تكن حصنا يحتمي به المسلمون ولا صياصي يعتصمون فيها ، وإنما هي أرض مكشوفة وساحة قتال ومكان للكر والفر ، وظهور المسلمين على عدوهم في هذا المكان ليس راجعا إلى طبيعة خاصة فيه ، وإنما هو لفضل الله وعونه ، ولو جاءت (في) لأشعرت بأن للمكان طبيعة خاصة حماهم الله فيها من عدوهم ، وذلك يتنافى مع الغرض الذي يهدف إليه السياق من إرجاع الفضل في النصر إلى الله وحده ، كما يدل عليه نسبة فعل النصر إلى الله - تعالى - ، والجملة الحالية (وأنتم أذلة)^(١) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلٍ تَحْزَنُوا وَاعْطَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٣]

قيل إن قوله - تعالى - (غما بغم) بمعنى (غما على غم)^(٢) .

أثابكم : قيل سمي الغم ثوبا على معنى أنه قائم في هذه النازلة مقام الثواب الذي كاد يحصل لولا الفرار ، وقوله - تعالى - (غما بغم) بمعنى غما ملتصقا بغم فالغم الأول : هو ما أصابهم من الهزيمة والقتل ، والثاني: إشراف خالد بخيل المشركين عليهم ، وقيل الغم الأول سببه فرارهم الأول والثاني سببه فرارهم حين سمعوا أن النبي (ﷺ) قتل ، وقيل عكس هذا الترتيب ، وقيل الأول ما فاتهم من الغنيمة والفتح والثاني إشراف أبي سفيان عليهم^(٣) .

وعلى هذا الرأي فإن الباء تشير إلى أن الغم الثاني كان ملاصقا للغم الأول موصولا به زيادة في ابتلاء الله - تعالى - لهم على ما خالفوا فيه رسولهم ، وجزاء

(٣) ينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم / ١ ق / ج ٢ / ص ١٤ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٩٠ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٣ / ١٢٣ .

(٣) ينظر البحر المحيط / ٣ / ١٢٢ .

على ما ألهمهم الدنيا بغنائمها عن واجب الطاعة لنبيهم ، إذ إن توالي الغم وإعاقبه لغم سبق أشد على المبتلى من تفريقه^(٤) .

وقيل إن معنى الآية : جازاكم غما بسبب الغم الذي أدخلتموه على الرسول (ﷺ) وسائر المؤمنين بفشلكم وتنازعكم وعصيانكم ، ويجوز أن يكون الضمير في أثابكم للرسول (ﷺ) أي فأساكم في الاغتمام ، وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم ؛ فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتمتموه لأجله^(١) . وعلى جميع هذه التأويلات فإن الباء للإلصاق أدت معنى لا تؤديه (على) لو حلت محلها.

❖ قال - تعالى - : ﴿ هَمْدٌ يَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَا الرَّسُولِ لَوْ تَسْوَى بِهِمُ الْأَرْضُ ﴾ [النساء: ٤٢].

قيل إن الباء في قوله - تعالى - (بهم) بمعنى (على)^(٢) .

الباء في هذه الآية للإلصاق ، فالآية هنا تصور حال الكافرين يوم القيامة حينما يرون أهوالها وينكشف لهم سوء العذاب فيها ، مما يجعلهم يتمنون أن يكونوا ترابا يتداخل مع تراب الأرض ويختلط به ؛ حتى لا يكون لهم أثر يذل عليهم ، وهو ما ينسجم تماما مع ما صرح به في آية أخرى بقوله - تعالى - : ﴿ هُمْ يَنْظُرُ الْمَوْتِ مَا قَنَّتْ يَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴾ [النبا: ٤٠].

في حين لو استعمل حرف الاستعلاء ، فإن المعنى حينئذ سيدل على كون الأرض صارت قبورا لهم حسب ، وهو دون الباء مبالغة في تصوير ما أصابهم من الحسرة والفرع من العذاب ورغبتهم في دفعه عنهم^(٣) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَأَمْسُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلُكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ [المائدة: ٦]

قيل الباء للتبويض في قوله - تعالى - (برؤوسكم)^(٤) .

اختلفت الآراء حول الباء المتصلة بـ (رؤوسكم) ، فقيل إنها للاستعانة ، ولكن الفعل (مسح) يتعدى إلى المزال عنه بنفسه وإلى المزيل بـ (الباء) مما يجعل الرؤوس هي

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٨٦ .

(١) البحر المحيط / ٣ / ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٣ / ٣٥٨ .

(٣) ينظر روح المعاني / ٥ / ٣٤ ، ومن أسرار حروف الجر / ١٨٧ .

(٤) ينظر الحقي الداني / ١٠٧ .

المزيلة على تقدير: (امسحوا الماء برؤوسكم أو امسحوا أيديكم برؤوسكم) ؛ لذا قيل بقلب معمولي مسح . وهذا الرأي يستبعد ؛ لأنه يتطلب الحذف والقلب^(٥) .

وقيل الباء للتبويض وقيل هي للإصاق^(١) . لكن ذهب الآمدي إلى أن دلالة الباء على التبويض لا تنافي دلالتها على الإصاق موضحاً بأن من قال : أنه بحكم وضع اللغة ظاهر في مسح جميع الرأس، والباء في اللغة للإصاق وقد دخلت على المسح وقرنته بالرأس ، واسم الرأس حقيقة في كله لا بعضه ؛ ولهذا لا يقال لبعض الرأس رأس ، فكان ذلك مقتضياً لمسح جميعه لغة ، لكن هذا الرأي وإن كان هو الحق - برأي الآمدي - بالنظر إلى أصل وضع اللغة ، فإنه يرى أيضاً أن عرف استعمال أهل اللغة الطارئ على الوضع الأصلي حاكم عليه ، والعرف من أهل اللغة في اطراد الاعتياد جار باقتضاء إصاق المسح بالرأس فقط مع قطع النظر عن الكل والبعض؛ ولهذا فإنه إذا قال القائل لغيره (امسح يدك بالمنديل) لا يفهم منه أحد من أهل اللغة أنه أوجب عليه إصاق يده بجميع المنديل ، بل بالمنديل إن شاء ب كله وإن شاء ببعضه^(٢) .

فالتبويض المفهوم ليس حقيقة وإنما هو مجاز مرسل من باب إطلاق الكل وإرادة الجزء. فالباء على معناها في الدلالة على الإصاق وأما التبويض فهو مفهوم من السياق أما سر العدول إلى تعدية الفعل بالباء مغايراً بينه وبين تعدية فعل الغسل بنفسه ؛ فذلك لأن المسح لا بد فيه من إصاق اليد بالمسح ومباشرته بخلاف الغسل الذي يتحقق بصب الماء على العضو ولو لم يباشره العضو الغاسل، وأوضح دليل على ذلك أن الوجه واليدين عدي إليهما فعل الغسل بنفسه في الوضوء، وعدي إليهما فعل المسح بالباء في التيمم لما كان من الممسوحات ، قال - تعالى - ﴿: فَتَمَسَحُوا بِأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦] فالباء إذن جيء بها للدلالة على مباشرة المسح باليد للرأس وإصاقها به؛ وليس التبويض من معانيها^(٣) .

(٥) ينظر معني اللبيب / ١ / ١٤٣ .

(١) ينظر الجنى الداني / ١٠٧ .

(٢) الإحكام للآمدي / ٣ / ١٧ - ١٨ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٩٦ .

(٤) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ١ / ٢٠٥ .

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ﴾ [الأنعام: ٦٠]

قيل إن الباء بمعنى (في) في قوله - تعالى - (بالليل)^(١).
الباء في هذه الآية للإلصاق ، لتوحي باقتران الحدث بهذا الزمان من دون الاهتمام والتخصيص لوقت من أوقاته .

فقد قصد منه الدلالة على وقوع الوفاة بأي جزء من أجزاء الليل ، وليس تخصيص أعماقه ووسطه كما يوحي به حرف الظرفية، وذلك إيماء إلى استغراق الزمن كله. ومثل ذلك العلم بما كسبت أيدي الناس بالنهار كل النهار لا تخصيص لوقت هو أدخل فيه وأكثر تمكنا؛ لذا حينما أراد القرآن الكشف عن نفاذ علمه - تعالى - وإحاطته بالخفي من أسرار خلقه عدل إلى حرف الظرفية في قوله - تعالى - :
﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣].

إذ إن العلم الذي يدرك الساكن في أعماق الليل حيث يكون الظلام على أشده، والعالم أشبه بالموتى يلفهم السكون من كل جانب ، ويدرك المتحرك في وسط النهار، حيث تشتد حركة الناس لا يعجزه أن يدرك الساكن والمتحرك في أطرافهما وحواشيهما ، ولذلك ذيله بقوله ﴿ وَهُوَ الْمِعْ طِيمُ ﴾ [الأنعام: ١٣] ؛ لذا جاءت آيات القرآن مؤثرة حرف الإلصاق والاقتران في كل ما قصد به استغراق الزمن كله ووقوع الحدث في أي جزء من أجزائه دون القصد إلى أعماقه، أو الدلالة على التمكن فيه ، وهو الذي دأب المفسرون على تفسيره بحرف الظرفية، ومثله قوله - تعالى - : ﴿لِيَذِبَ نَقْدُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٢٧٤] وقوله - تعالى - : ﴿وَالْمَسْكُونِينَ فِي الْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٧] وقوله - عز وجل - ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ اللَّهِ وَالْإِبْرَارِ﴾ [آل عمران: ٤١]^(١).

❖ قال - تعالى - : ﴿وَلَهُنَّ خَزَائِنُ مَوْازِينُ هُ فَاُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩]

قيل إن الفعل (يظلمون) مضمن معنى (يكذبون)^(٢).

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٨٨-١٩٠ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٤ / ٣٤٩ .

قوله - تعالى - (بما كانوا) ، أي بكونهم ظلّموا بآياتنا في الدنيا ، فصيغة المضارع في قوله (يُظلمون) لحكاية حالهم في تجدد الظلم فيما مضى ، كقوله - تعالى - : ﴿وَاللّٰهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّیَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فُسُقَّاهُ﴾ [فاطر: ٩]. والظلم ضد العدل : أي يظلمون الآيات فلا ينصفونها حقها من الصدق^(١).

والباء في قوله (بآياتنا) للإلصاق ، وذلك لغريب فعلهم وسوء تصرفهم الذي أدى بهم إلى تجاوز ظلمهم لأنفسهم بالكفر والإشراك إلى إلصاق الظلم بالآيات الدالة على وحدانية الله - تعالى - تلك الآيات التي أرسلها الله - تعالى - مع أنبيائه مضافة إلى الآيات العظيمة للكون والمحيط به من كل جانب الدالة على وحدانية الخالق وقدرته ، كما عبر عن ذلك في قوله - تعالى - في آية أخرى ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ، وَحَصَوْا بَنَاتِنَهُنَّ أَنْفُسَهُنَّ ظَلَمًا وَعُتُوا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٣-١٤].

كما دلّت (الباء) مع صيغة الفعل المضارع على كثرة ما أوقعوه من ظلم بالآيات واستمرارهم على ذلك حتى استحقوا عاقبتهم السيئة أن خفت موازينهم وخسروا أنفسهم يوم القيامة. فالمعنى المراد من الآية تحقق باستعمال الفعل (يظلم) وبتعديه بحرف الإلصاق ، فليس هنالك داع إلى تضمينه معنى فعل آخر وهو (يكذب) وهو ضد (يصدق) ، إذ اختار له الله - تعالى - مواضع أخرى من القرآن الكريم أريد به عدم التصديق أو عدم مطابقة الحقيقة^(٢).

❖ قال - تعالى - وَلَوْ طَآ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿ [الأعراف: ٨٠].

قيل إن (الباء) بمعنى (إلى) في قوله - تعالى - (ما سبقكم بها)^(٣) تعدى الفعل (سبق) في هذه الآية بالباء الدالة على الإلصاق إذ أوحى بأن قوم لوط (عليه السلام) قد تلبسوا بهذا الفعل الفاحش من دون أن يشاركهم فيه أحد من خلق الله

(١) ينظر التحرير والتنوير / ٢٣/٨ .

(٢) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / ٧٥٥-٧٥٩ .

(٣) ينظر الحروف العاملة / ٤٠٥ .

بما يدل على أنهم اقتترفوا هذا الإثم واخترعوا تلك الفاحشة بما لم يسبقوا به ، وذلك مستوى من التدني عافته نفوس البشرية على كثرة اقترافها للاثام.

في حين نجد أن الفعل نفسه قد تعدى بـ(إلى) في المواضع الدالة على التنافس والإسراع للوصول إلى غاية يتطلع إليها ، كما في قوله - تعالى - على لسان الكافرين إدلالا بقوتهم وقدرتهم على الوصول إلى ما يروونه خيرا من دون أن يسبقهم إليه أحد : قال - تعالى - : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَقُونَا إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف: ١١] (١).

❖ قال - تعالى - : ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

قيل (الباء) بمعنى (إلى) في قوله - تعالى - (بي) (٢).

الباء في قوله - تعالى - (بي) للإصاق ؛ لأن سيدنا يوسف (عليه السلام) قصد أن إحسان الله - تعالى - قد صاحبه في رحلة حياته كلها ، ولم يفارقه في لحظة من لحظاته ، ويؤيد ذلك تعديد يوسف (عليه السلام) لمواطن الإحسان الذي درج فيه بقوله: ﴿إِذْ أَخْرَجَني مِنَ السُّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبُؤْسِ مِنْ بَدَأَ أَنْ تَرَى الشَّيْطَانَ يَدِي وَهَنَ إِخْوَتِي﴾ [يوسف: ١٠٠].

فما بين السجن والمجيء بهم من البدو كثير مما ضم من إحسان الله - تعالى - مثل إنجائه من فتنة امرأة العزيز وتوليته ملك مصر، وإيواء أخيه إليه ، وغير ذلك مما لا يحصى (٣) . كما أن استعمال الباء يشعر بالإصاق الإحسان بمن يوجه إليه من غير إشعار بالفرق بينه وبين المحسن ، في حين تشعر (إلى) بمجرد إيصال وإنهاء الإحسان إلى المحسن إليه كما تدل أيضا على التباعد بين طرفين متباعدين يصل الإحسان من أحدهما إلى الآخر ؛ لذا تعدى فعل الإحسان بـ(إلى) بقوله - تعالى - حكاية عن قوم قارون حين نصحوه بقولهم : ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧]. للإلماح إلى بعد قارون عن ربه وأن إحسان الله - تعالى - إليه

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٠٠-٢٠٢ .

(٢) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ٧٤٦/٢ .

(٣) ينظر معاني النحو / ٢٥٣-٢٦ ، ومن أسرار حروف الجر / ١٩٩ .

ليس مصحوبا بمعية الله - تعالى - وحبه وإنما هو من قبيل الاستدراج لا من قبيل الإكرام^(٤).

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَهَمَّ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ ﴾ [الفرقان: ٢٥].

قيل إن الباء في قوله - تعالى - (بالغمام) بمعنى (عن)^(٥).

الباء في هذه الآية للإصاق ؛ لأن المعنى: أن السماء تتفتح بغمام يخرج منها^(١). وكأن الغمام كان أداة تشق السماء. فقولنا (انشق عن كذا) معناه تفتح عنه وانشق بكذا معناه أنه هو الشاق له^(٢)، فالآية تكشف عن هول يوم القيامة بما يجريه الله - تعالى - من تغيير صور الكون إدلالا على كمال قدرته ، فإذا السماء هذا الخلق العظيم الذي أخبر عنه بقوله: ﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]. يرسل عليها الغمام متدافعا غزيرا فيشققها ويفتحها ، تمهيدا لإزالة صورتها وتغيير خلقها تحقيقا لقوله - تعالى - : ﴿ هَمَّ تَبُلُّ الْأَرْضُ غُرُ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]^(٣). وقيل معنى الآية : يوم تشقق السماء ملاصقة لغمام يظهر حينئذ وليس في الآية ما يقتضي التشقق لنزول الملائكة ولا مقارنة الغمام للملائكة فدع الفهم يذهب في ترتيب ذلك كل مذهب ممكن^(٤).

❖ قال - تعالى - : ﴿لَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ [القمر: ٣٦].

قيل (الباء) في قوله - تعالى - (بالنذر) بمعنى (في)^(٥).

قال ابن الأنباري " في قولهم ماري فلان فلانا معناه : قد استخرج ما عنده من الكلام والحجة ، مأخوذ من قولهم مريت الناقة إذا مسحت ضرعها لتدر"^(٦)، فالمرء بحكم أصله المأخوذ منه يدل على الجدل المصحوب بالمداهنة والمصانعة لا على العنف والمغالبة^(٧).

فالباء هنا للإصاق ؛ لأن الآية تدل على استخفاف واستهزاء قوم لوط (عليه السلام) بنبيهم دلالة على عدم اكتراثهم والقاء بال لما أنذرهم به ، فلم تكن النذر محل جدال ونقاش بينهم ؛ إذ إن الجميع لهم رأي واحد فيها ؛ لأنهم تناقلوها بينهم تناقل المستهزيء بها

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٥) ينظر البحر المحيط / ٥٩٨/٦ .

(١) الكشف / ٨٩/٣ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٥٩٨/٦ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٠٥-٢٠٦ .

(٤) ينظر التحرير والتنوير / ٣٦/١٩ .

، الساخر منها ؛ لذلك لم يتعد فعل المراء بحرف الوعاء ولم يقل تماروا في النذر حتى لا يتبادر إلى الأذهان أنهم شغلوا أنفسهم بها وجعلوها محلا للجدل وتبادل الفكر فيها^(٨).

❖ قال - تعالى - : ﴿ السَّمَاءُ مَفْطَرٌ بِهِ ﴾ [المزمل: ١٨]

قيل إن (به) بمعنى (فيه) في قوله - تعالى - (منفطر به)^(١) .

الباء في هذه الآية للإلصاق ، فالمعنى أن السماء على عظمها وإحكامها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما ينفطر ، فما ظنك بغير ذلك من الخلائق^(٢)؟ وذلك تهويل ليوم القيامة وكشف عن شدته على الكافرين ، فما يشقق السماء ويصدعها ، ماذا هو صانع بالكافرين؟ وهم أضعف خلق الله وأهونهم عليه^(٣). في حين لو استعمل حرف الظرفية محل (الباء) لدل على وقت أو زمان حدوث الانفطار، وهو غير المعنى المراد من الآية.

❖ قال - تعالى - ﴿ يَتَّبِعُ يَشْرَبُ بِهِ ﴾ [الإنسان: ٦]

قيل إن الفعل (يشرب) ضمن معنى (يروى)^(٤) .

الباء في قوله - تعالى - (بها) للإلصاق ، ف قيل المراد بذلك إلصاق و خلط الماء بالخمير ، كما تقول شربت الماء بالعسل ، أو قد يكون المراد بـ (العين) المكان الذي ينبع منه الماء ، وليس المراد الماء نفسه ، نحو نزلت بعين ، فصارت مكانا يشرب به^(٥) .

فهي تدل بذلك على أن هذه العين هي مستراح لهؤلاء العباد ومكان يجدون فيه متعة النظر وسعادة النفس ، فامتزجت في هذا المكان لذة الشرب بمتعة الرؤية،

(٥) ينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم / ق ١ / ج ٢ / ص ١٢ .

(٦) لسان العرب / ٨٩ / ١٣ .

(٧) ينظر من أسرار حروف الجر / ٦٦ .

(٨) ينظر المصدر نفسه / ١٩٤ .

(١) ينظر البحر المحيط / ٥٠٩ / ٨ .

(٢) ينظر روح المعاني / ١٠٩ / ٢٩ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٠٦ .

(٤) ينظر الأزهية / ٢٩٤ .

(٥) ينظر الكشف / ٤ / ١٩٥ - ١٩٦ ، والبحر المحيط / ٨ / ٥٥٢ .

(٦) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٩٧ .

فجاءت الباء دالة على التصاقهم بالعين وقربهم منها ، يؤيده وصف القرآن للجنات بقوله (تجري من تحتها الأنهار) فليس جريان الأنهار تحت المؤمنين إلا إمتاعاً لأنظارهم وإسعاداً لأنفسهم ، وليس لمجرد الشرب دنت منهم الأنهار^(١) .

أو قد يدل حرف الإلصاق مع صيغة الفعل المضارع (يشرب) على كثرة إيقاع فعل الشرب بالعين ، فقوله - تعالى - (عينا يشرب بها) تختلف عن قولنا (عينا يشربها) ، لأن الأول يدل على إلصاق فعل الشرب بالعين مما يدل على كثرة تكرار وقوع الفعل بالمفعول، أما الثاني فيبين فكرة أن هذه العين سيشربها عباد الله، فتدل بذلك على أنها مكافأة لعباد الله فحسب ، ففعل الشرب إذا لم يغادر معناه كما أن حرف الإلصاق لم يغادر معناه أيضا .

الحرف (على)

❁ قال - تعالى - : ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قيل (على) في قوله - تعالى - (على حبه) بمعنى (مع)^(١).

(على) هنا لم تفارق دلالتها على الاستعلاء ، وهي أدل في مدح الأبرار من كلمة المصاحبة، إذ إن الآية ترسم صورة للأبرار المتقين الذين قرنوا صالح العمل بصالح الاعتقاد، وقد بدأت بوصفهم بالإذعان القلبي المتمثل في الإيمان بالله ورسله وما أنزل عليهم من كتب ، وما حمل إليهم من وحي السماء من الملائكة ، وما يتبع ذلك من تصديق بالحساب في يوم أعده الله - تعالى - لذلك ، وهذا ما لا يصح عمل إلا به ، ثم بدأت من الأعمال ببذل المال ، وهو الدليل العملي الأدل على صدق الإيمان ، لأن المال شقيق الروح ولا يغلب المال في نفس من يتعلقون به ويقعون أسرى حبه إلا حب أكبر منه ، فجاءت (على) مشعرة باستعلاء حب الله - تعالى - في نفوسهم على حب المال ، وتغلبهم على شهواتهم وقهرهم لأسباب الخوف من الفقر، وارتفاعهم فوق شح أنفسهم ﴿ وَمَنْ يَوْقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(١) ينظر مغنى اللبيب / ١ / ١٩٠ .

[الحشر: ٩] (٢). روي أن النبي (ﷺ) حينما سئل عن أفضل الصدقة قال : " أن تصدق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى " (٣).

❖ قال - تعالى - : ﴿وَلِتُكْبَرُوا لِلَّهِ عَظَى مَا هَآكُمُ﴾ [البقرة: ١٨٥] .

قيل : وإنما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد (٤) .

(على) في هذه الآية للاستعلاء المجازي ، فقد أراد الله - تعالى - من عباده الارتفاع إلى مستوى من شكر الله على نعمه بما يليق بجلال هذه النعم ، والحديث هنا عن نعمة التخفيف ورفع المشقة والحرص بتيسير العبادة ، إذ رخص للمريض والمسافر بالإفطار في رمضان رحمة بهما ، من دون أن يحرمهما فضل الصيام متى زال المانع منه ، وذلك فضل من الله عظيم يستوجب من عباده أن يقابلوه بالشكر ، ويعظموا الله تعظيما يجلل نعمته ويغطيها ، وهذا هو ما يشيعه حرف الاستعلاء على مدخوله ، ومن فضل الله أن جعل الحمد على النعمة أفضل منها (١)، فقال (ﷺ) فيما رواه ابن ماجة : " ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ " (٢) فالغرض من العدول إلى حرف الاستعلاء هو حث المؤمنين على المبالغة في تعظيم الله - تعالى - والإكثار من شكره ومداومة الثناء عليه بما يجلل توفيقه لهدايتهم (٣) ؛ لذا فإن فعل التكبير المعدى بحرف الاستعلاء كان هو المراد من الآية.

❖ قال - تعالى - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَلْتَصِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]

قيل (على) بمعنى (اللام) في قوله - تعالى - (على المؤمنين) (٤) .

(على) في قوله - تعالى - (أذلة على المؤمنين) للاستعلاء المجازي فلما كان الذل يحمل معنى قهر الدليل واستكانته - وهو ما لا يليق بالمسلم أن يتصف به

(٢) ينظر من أسرار حروف الجر / ٧٣ .

(٣) ينظر صحيح مسلم / ١٢٣/٧ ، ومن أسرار حروف الجر / ٧٣ .

(٤) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ١ / ١٦٣ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٨٩-٩٠ .

(٢) ينظر سنن ابن ماجة / ١/ ١٢٥٠ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٩٠ .

(٤) ينظر الحقي الداني / ٤٤٧ .

إلا أن يعطيه بنفسه لنفسه ، خضوعا لله وتقربا إليه ، أو عطا على إخوانه من المؤمنين - جاء بحرف الاستعلاء مشيرا إلى أنه ذل محمود يزيد قدر المؤمنين شرفا ، ويكسبه رفعة وسموا ، لأنه تذلل القوي الرفيع الشأن ، لمن هو دونه قدرا ومكانة ، لا ذل الضعيف المستكين المقهور ، ولو كان المذل له مؤمنا ، كيف والله - تعالى - يقول : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المنافقون: ٨] فلو تعدت أدلة باللام لأشعرت بالانقياد والاستسلام للمؤمنين ورفض ذلك مع الكافرين وليس ذلك ما قصد إليه النظم ، لأن الذلة التي يعنيها هي رحمة القوي بالضعيف ، وعطفه وحده عليه ، وهو ما لا يؤدي بغير حرف الاستعلاء^(٥) .

أما في قوله - تعالى - : ﴿ وَخُضُّ لَهَا مَا جَنَاحَ الثَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤] فإن المراد (كن كالمقهور لهما المنقاد لأوامرهما) ، وليس في الذل للأبوين ذم ، ولا في الخضوع لهما عيب ؛ لأن طاعتها من طاعة الله ، كما أنه ليس للاستعلاء عليهما مكان ، وهما منبع شرفه ومصدر رفعتة .

ثم أن هنالك غرضا آخر يهمس به سياق الآيات ، إذ سبق هذه الآية تحذير المؤمنين من موالاته الكافرين ، حتى لا تؤدي بهم إلى التبعية لهم ، وفقدان شخصيتهم فينتهي أمرهم إلى الذلة والخضوع لغيرهم ، ثم جاءت هذه الآية دعوة إلى موالاته المؤمنين ، وجاءت (على) إشعارا بأن موالاته المؤمن هي سبيل العزة والأنفة ، ولن تقود أبدا إلى الذل والعبودية كما هي مع الكافرين وهذا هو السياق : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا إِلَيْهِ دَوَائِلَ أُولَئِكَ بَعْضُ مِمَّنْ يَتَوَلَّوْا كُفْرًا فَهُمْ يَكْفُرُونَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَنِىَ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْؤُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢]^(١) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ فَإِنْ عَثَرَ عَلَى أَنَّهُ مَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَاخْرَأْ يَقُولُ مَا مِنْكَ مِنْ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَئِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٧] .

قيل (على) في قوله - تعالى - (عليهم) بمعنى (من)^(٢) .

(٥) ينظر من أسرار حروف الجر / ٨٤-٨٥ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٨٥ .

(٢) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ١ / ٤٦٩ .

الاستحقاق : كون الشيء حقيقاً بشيء آخر ، فيتعدى إلى المفعول بنفسه ، كقوله - تعالى - : ﴿سَدَقًا إِثْمًا﴾ وهو الشيء المستحق ، وإذا كان الاستحقاق عن نزاع يعدى الفعل إلى المحقوق بـ (على) الدالة على الاستعلاء بمعنى اللزوم له وإن كره ، وقرأ الجمهور (استحق عليهم)^(٣) بالبناء للمجهول ، فالفاعل المحذوف في قوله (استحق عليهم) ، هو مستحق ما ، وهو الذي انتفع بالشهادة واليمين فنال من تركة الموصي ما لا يكون له وغلب وارث الموصي بذلك - فالذين استحق عليهم هم أولياء الموصي الذين لهم ماله بوجه من وجوه الإرث فحرموا بعضه ، وقوله (عليهم) قائم مقام نائب فاعل (استحق) ، و (الأوليان) تشية (أولى) وهو الأجدر والأحق ، أي الأجدران بقبول قولهما ويجوز أن يكون خبراً عن (آخران) ، ف (آخران) لما وصف بجملة (يقومان مقامهما) ، صح الابتداء به ، أي فـشخصان آخران هما الأوليان بقبول قولهما من دون الشاهدين المتهمين ، وإنما عرف بـ (ال) لأنه معهود للمخاطب ؛ لأن السامع إذا سمع قوله (فإن عثر على أنهما استحقا إثما) ترقب أن يعرف من هو الأولى بقبول قوله في هذا الشأن ؛ فقليل آخران هما الأوليان بها .

ويجوز أن يكون (الأوليان) مبتدأ ، و (آخران يقومان) خبره ، وتقديم الخبر لتعجيل الفائدة ؛ لأن السامع يترقب الحكم بعد قوله : (فإن عثر على أنهما استحقا إثما) فإن ذلك العثر على كذب الشاهدين يسقط شهادتهما ويمنعها ، فكيف يكون القضاء في ذلك فعجل الجواب ، ويجوز أن يكون بدلاً من (آخران) ومن الضمير في (يقومان) أو خبر مبتدأ محذوف أي هما الأوليان .

وقرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم ويعقوب وخلف (الأولين)^(١) بتشديد الواو مفتوحة وبكسر اللام وسكون التحتية جمع (أول) الذي هو مجاز يعني المقدم والمبتدأ به فالذين استحق عليهم هم أولياء الموصي إذ استحق الموصى له الوصية من مال التركة الذي كان للأولياء ، أي الورثة لولا الوصية وهو مجرور نعت لـ (الذين استحق عليهم)^(٢) . وعلى جميع هذه المعاني فإن الحرف (على) لم يغادر معنى الاستعلاء إلى معنى الابتداء

(٣) ينظر معجم القراءات القرآنية/٢/٢٤٣ .

(١) ينظر معجم القراءات القرآنية/٢/٢٤٣ .

(٢) ينظر البحر المحيط /٤/٦١-٦٤ ، والتحرير والتنوير /٥/٢٥١-٢٥٢ .

❖ قال - تعالى - : ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ١٠٥]

قيل إن (على) بمعنى (الباء) في قوله - تعالى - (حقيق على)^(٣).
قرأ نافع الآية (عليّ أن لا أقول)^(٤) - بتشديد الياء ، فجعل (على) داخلة على ياء المتكلم ،
وحقيق من الفعل (حق) تفيد معنى جدير وخلق ، وهو صفة لرسول أو خبر بعد خبر ، أو (أن لا
أقول) فاعل بحقيق كأنه قيل : يحق عليّ كذا أو يجب أو (أن لا أقول) مبتدأ ، و (حقيق)
خبره ، وقيل : تم الكلام عند قوله (حقيق) و (على أن لا أقول) مبتدأ وخبر^(٥) .
وقرأ باقي السبعة (على) بجرها (أن لا أقول)^(١) أي حقيق على قول الحق ،
فتفيد بذلك معنى الحرص عليه أو بمعنى واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله
والقائم به ولا يرضى إلا بمثلي ناطقا به^(٢) .

وهذا الإغراق في وصف سيدنا موسى (ﷺ) لنفسه بالصدق يناسب المقام ولا
سيما بعد تكذيب فرعون له عندما قال له : إني رسول رب العالمين^(٣) وعلى هذه
المعاني كلها تكون (على) للاستعلاء المجازي فتعطي معنى الإلزام والوجوب .
وأما (على) في قوله - تعالى - (على الله) فهي أيضا على بابها في الدلالة
على الاستعلاء المجازي ، لما فيه من معنى التكذيب والتقول على الله ، فيكون
معنى الآية واجب عليّ ترك القول على الله إلا بالحق^(٤) .

❖ قال - تعالى - : ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]
قيل إن (على) في قوله - تعالى - (على الله) بمعنى (من)^(٥)

الدابة في اللغة : اسم لما يدب أي يمشي على الأرض غير الإنسان ، وقوله
(في الأرض) تأكيد لمعنى (دابة) في التنصيص على أن العموم مستعمل في

(٣) ينظر البحر المحيط / ٤٥١/٤ .

(٤) ينظر معجم القراءات القرآنية / ٣٨٥/٢ .

(٥) ينظر البحر المحيط / ٤٥١/٤ .

(١) ينظر معجم القراءات القرآنية / ٣٨٥/٢ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٤٥١/٤ .

(٣) ينظر الكشف / ١٠٠/٢ ، والبحر المحيط / ٤٥١-٤٥٢ .

(٤) ينظر لسان العرب / ٢٦١/٣ .

(٥) ينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم / ١/٢٠٠ ص ٢٠٠ .

حقيقته ، والاستثناء من عموم الأحوال التابع لعموم الذوات ، والمدلول عليه بذكر رزقها الذي هو من أحوالها .

وتقديم (على الله) قبل متعلقه وهو (رزقها) لإفادة القصر ، أي على الله لا على غيره ، وإفادة تركيب (على الله رزقها) معنى أن الله تكفل برزقها ولم يهمله ؛ لأن (على) تدل على اللزوم والمحقوقية ، ومن المعلوم أن الله - تعالى - لا يلزمه أحد شيئاً ، فما أفاد معنى اللزوم؛ فإنما هو التزامه بنفسه بمقتضى صفاته المقتضية ذلك كما أشار إليه قوله - تعالى - ﴿ وَعداً عطياً ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] و﴿ حقاً عطياً ﴾ [يونس: ١٠٣].

والاستثناء من عموم ما يسند إليه رزق الدواب في ظاهر ما يبدو للناس أنه رزق من أصحاب الدواب ومن يربونها ، أي رزقها على الله وحده لا على غيره ، فالمستثنى هو الكون على الله ، والمستثنى منه مطلق الكون مما يتخيل أنه رازق ، فحصر الرزق في الكون على الله مجاز عقلي في العرف باعتبار أن الله مسبب ذلك الرزق ومقدره^(١) .

فاستعمال الحرف (على) أكثر تأكيداً من استعمال الحرف (من) الذي يدل على ابتداء فعل الرزق من الله - تعالى - فحسب ، في حين أن (على) دلت على ابتداء الرزق وقصره عليه والتزامه به وحده .

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَيَتَعَبُوكَ بِالْإِسِيَّةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الرعد: ٦] قيل قوله - تعالى - (على ظلمهم) بمعنى (مع ظلمهم)^(٢) .

الاستعلاء في قوله - تعالى - (على ظلمهم) له دلالة خفية تتلشى مع القول بأن (على) بمعنى (مع) ؛ ذلك أن المغفرة لا تكون إلا عن ذنب ، فإذا قيل إن المعنى يغفر لهم مع ظلمهم أنفسهم باكتساب الذنوب ، فإن زيادة (على ظلمهم) حينئذ تشبه تكراراً لمعنى مفهوم مما قبله، وهو ما يفقد حرف الاستعلاء دلالاته على فيض الرحمة الإلهية وغلبتها على موجبات غضبه سبحانه دليلاً على سبق الرحمة ، والمآحا إلى لطف الله - تعالى - بعباده وغلبة الرجاء على الخوف ، فالاستعلاء هنا يجسد العلاقة بين الرحمة والغضب

(١) ينظر التحرير والتنوير / ١١ / ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٥ / ٤٧٠ .

والمغفرة والعقاب، ويغلب سوابق الرحمة على موجبات الانتقام ، ولولا قوله (على ظلمهم) لتساوت رحمة الله مع غضبه وعفوه ومؤاخذته ولهلك الإنسان حينئذ بعدل الله بعد أن يتوارى فضله ، لأن قوله - تعالى - (إن ربك لذو مغفرة) يقابله (إن ربك لشديد العقاب) . فأين سبق الرحمة وغلبة الرجاء ؟ إنه في قوله (على ظلمهم) بما يوحي به حرف الاستعلاء من تغلب المغفرة على الذنوب وقهر العفو للعقاب^(٣) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴾ [طه: ٤٧]

قيل (على) بمعنى (اللام) في قوله - تعالى - (والسلام على من اتبع الهدى)^(١). السلام : يراد به السلامة والإكرام ولا يراد بها التحية ، إذ ليس ثم معين يقصد بالتحية ، ولا يراد تحية فرعون لأنها إنما تكون في ابتداء المواجهة لا في أثناء الكلام ، وهذا كقول النبي (ﷺ) في كتابه إلى هرقل وغيره : (إسلم تسلم)^(٢) ، و (على) للاستعلاء المجازي الدال على التمكن والانغماس في السلام والغرض منه بيان الكثرة ؛ لأن ما علاك وجللك فقد أحاط بك ، كما أنها توحى أيضا بجعل السلام سياجا على الذي اتبع الهدى وحصنا يحميه من عذاب الله فهو في غطاء يحول دون وصول غضب الله إليه ، ويحجب عنه سخطه وعقابه^(٣) ، وهذا احتراس ومقدمة للإنذار الذي في قوله: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴾ [طه: ٤٨] ففعله وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى [طه: ٤٧] تعريض بأن يطلب فرعون الهدى الذي جاء به موسى (ﷺ)^(٤). فالحرف (على) إذن لم يغادر معنى الاستعلاء في هذه الآية إلى معنى الاختصاص.

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٧٤ - ٧٥ .

(١) ينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم / ١ / ج ٢ / ص ١٩٩ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير / ١٦ / ١٢٧ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٩٠ .

(٤) ينظر التحرير والتنوير / ١٦ / ١٢٧ .

(٥) ينظر البحر المحيط / ٦ / ٤٨٢ .

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَبِأَنِّهِمْ هُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون: ٥-٦]

قيل قوله - تعالى - (إلا على أزواجهم) بمعنى (إلا من أزواجهم)^(١) .

هذه الصفة التي ذكرتها الآية هي إحدى صفات المؤمنين المفلحين الذين امتدحهم الله - تعالى - بها ، فهم حافظون لفروجهم لا يرسلونها على أحد إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ، وفيه إيذان بأن قوتهم الشهوية داعية لهم إلى ما لا يخفى ، وأنهم حافظون لها من استيفاء مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة . وقوله - تعالى - (إلا على أزواجهم) في موضع نصب بحافظون على المعنى ؛ لأن المعنى صانوها إلا على فروج أزواجهم ، وقيل هو حال أي حفظوها في كل حال إلا هذه الحالة ، ويجوز أن تتعلق بفعل دل عليه (ملومين) أي إلا على أزواجهم لا يلامون ، فأفاد الحرف (على) في هذا السياق ثلاث معان :

١- حمل الحفظ على القصر عليهن ليكون المعنى حافظون لفروجهم على أزواجهم وما ملكت أيمانهم لا يتعداهن .

٢- غير حافظين إلا عليهن ، وهو تأكيد للمعنى الأول .

٣- إنهم لا يلامون على إرسالها على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم .

وهذا كله لا يتحقق فيما لو استعملت (من) محل (على)^(١) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [النور: ٥٨]

قيل إن (على) في قوله - تعالى - (على بعض) بمعنى (من)^(٢) .

في قوله - تعالى - : (طوافون عليكم بعضكم على بعض) نفي وقوع الجناح على المخاطبين بعد أن كان الكلام قبلها على استئذان الممالك والذين لم يبلغوا الحلم إذ قال - تعالى - ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تُنَاصِحُوا الَّذِينَ لَهُمُ الْحُلُمُ ﴾ [النور: ٥٨] .

(١) ينظر الكشف / ٣ / ٢٦ ، والتبيان في إعراب القرآن / ١ / ٩٥٠ .

(٢) ينظر إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج / ٢ / ٥٩١ .

فالأمر باستئذان هؤلاء يقتضي أمر أهل البيت بالاستئذان على الذين ملكت أيمانهم إذا دعاهم داع إلى الدخول عليهم في تلك الأوقات كما يرشد إليه السامع قوله: ﴿ثَلَاثُ عُرَاتٍ لَكُمْ﴾ ، وإنما لم يصرح بأمر المخاطبين بأن يستأذنوا على الذين ملكت أيمانهم لدور دخول السادة على عبيدهم أو على غلمانهم ، إذ الشأن أنهم إذا دعته حاجة إليهم أن ينادوهم ، فإذا دعت الحاجة فالحكم فيهم سواء ؛ وقد أشار إلى العلة قوله - تعالى - : ﴿طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٣) .

وقوله (طوافون عليكم) خبر مبتدأ محذوف تقديره (هم طوافون) يعود على (الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم) ، والكلام استئناف بياني ، أي إنما رفع الجناح عليهم وعليكم في الدخول من دون استئذان بعد تلك الأوقات الثلاثة لأنهم طوافون عليكم ، فلو وجب الاستئذان لكان ذلك حرجا عليهم وعليكم ، ففي الكلام اكتفاء تقديره : (وأنتم طوافون عليهم) دل عليه قوله (ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن) وقوله عقبه (بعضكم على بعض) .

و (بعضكم على بعض) جملة مستأنفة أيضا و (بعضكم) مبتدأ ، ويتعلق قوله (على بعض) بخبر محذوف تقديره (طواف على بعض) وحذف الخبر وبقي المتعلق به وهو كون خاص لدلالة (طوافون) عليه ، والتقدير : (بعضكم طواف على بعض)^(١) .

فالحرف (على) لم يغادر معناه في الاستعلاء ، دل على اطلاع بعضهم على أحوال بعضهم الآخر بحكم وجودهم في مكان واحد ، وأداء بعضهم لخدمة بعضهم الآخر ؛ مما رفع عنهم الحرج بعد تلك الأوقات الثلاثة رحمة من الله - تعالى - بهم ، وتوجيها لهم في كيفية التعامل مع بعضهم في مثل تلك الأحوال الخاصة.

❖ قال - تعالى - : ﴿وَبَخِّلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَلَاةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥]
 قيل (على) بمعنى (في) في قوله - تعالى - (على حين)^(٢) .

هذه الآية تصف دخول النبي موسى (عليه السلام) للمدينة ، ويتعلق قوله: (على حين غفلة) ب (دخل) ، و (على) للاستعلاء المجازي أي متمكنا من حين غفلة .

(٣) ينظر التحرير والتنوير / ١٨ / ٢٣٥ .

(١) ينظر التحرير والتنوير / ١٨ / ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٢) ينظر البرهان / ٤ / ٢٨٤ .

وحين الغفلة : هو الوقت الذي يغفل فيه أهل المدينة عما يجري فيها ، وهو وقت استراحة الناس وتفرقهم وخلو الطريق منهم . قيل كان ذلك في وقت القيلولة أو ما بين العشائين والمقصود من ذكر هذا الوقت الإشارة إلى أن قتله القبطي لم يشعر به أحد تمهيدا لقوله بعدها ﴿قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَهْشًا بِالْأُحْسِ﴾ [القصص: ١٩] ومقدمة لذكر خروجه من مصر (٣) .

وقوله - تعالى - : (على حين غفلة من أهلها) في موضع حال من المدينة ، ويجوز أن يكون في موضع الحال من الفاعل . وعدل عن استعمال الحرف (في) محل (على) ؛ لأن دخول المدينة في حين غفلة من أهلها ليس نصا في دخولها غافلا أهلها كما هو في وجه الحالية من المدينة ولا في دخوله مختلسا كما في وجه الحالية من الضمير ، فإن وقت الغفلة كوقت القائلة وما بين العشائين قد لا يغفل فيه (١) ، وقيل لأن قولنا: (دخل في حين غفلة من أهلها) معناه: دخل في حالة غرق أهلها في غفلة ، في حين أن قوله - تعالى - : (دخل المدينة على حين غفلة من أهلها) فليس معناه أنهم كانوا غارقين في تلك الغفلة بل انتهز فرصة غفلة أهل المدينة واستعلى عليها ودخل على أولها (٢) .

❖ قال - تعالى - : ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُوتُونَ عَنْهُمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْلَمُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨] .

قيل (على) في قوله - تعالى - (تمرون عليهم) بمعنى (الباء) (٣) .
تعدى الفعل (مر) في هذه الآية بـ (على) ليدل على مجاوزة المرور عليه بالسير دون تلبث ، وللاستعلاء في ذلك دلالة على أن المار شامخ بأنفه ، لا يلقي لما مر به بالا ولا يعيره اهتماما ، كما هو واضح أيضا في قوله - تعالى - : ﴿وَكَأَيُّنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُرَوْنَ عَنْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥] ؛ لذا جاء قوله - تعالى - عقب ذكر قصص الغابرين - ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُوتُونَ عَنْهُمْ مُصْبِحِينَ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْلَمُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٣٨] نعيًا على

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٠ / ٢٨ - ٢٩ .

(١) ينظر التبيان في إعراب القرآن ٢ / ١٠١٨ .

(٢) ينظر معاني النحو ٣ / ٩١ - ٩٢ .

(٣) ينظر الجنى الداني ١٠٦ .

المخاطبين وهم كفار قريش وتوبيخا لهم على عدم اكتراثهم بما حدث لأمم قبلهم ومنها قوم لوط (عليه السلام) ، كانت أشد منهم قوة وأكثر بأسا ، ولعدم اعتبارهم بما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم ، ولا سيما أن آثار هلاك قوم لوط (عليه السلام) موجودة في طريق تجارتهم المارة بالشام ، أما في قوله - تعالى - ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُجِرُوا كَانَ مِنْ الَّذِينَ أَمَدُوا وَيَضْحَكُونَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَضُوا إِلَيْهِمْ انْقَاضُ الْوَعْدِ فَأُجْرِمُهُمْ فَأُولَٰئِكَ الْمَطْغَفِينَ ۚ ﴾ [المطففين: ٢٩-٣١] ، فإن الباء هنا للإلصاق ومعناها أن هؤلاء المجرمين كانوا يتحرشون بالمؤمنين ويؤذونهم بالكلمة والحركة ، حينما كانوا يمرون بهم مرور احتكاك وقرب وملاصقة^(٤) ؛ فتعدي الفعل (مر) بحرف الاستعلاء يؤدي معنى غير المراد من تعديه بحرف الإلصاق .

❁ قال - تعالى - : ﴿ تَبٰرَكَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَلَا يَمُدُّهَا إِلَّا فِي سِتْرٍ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٌ وَمَنْ صَاحَبَكُمْ بِمِغْزٍ مِنْهُ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَدٍّ ۚ ﴾ [التكوير: ١٩-٢٤] .

قيل : (على) في قوله - تعالى - (على الغيب) بمعنى (الباء)^(١) المتأمل للسياق يجد فيه تأكيدا على صدق ما جاء به الرسول (ﷺ) مبلغا عن ربه ونفي مزاعم المشركين وادعائهم أن القرآن مفترى على الله ، وأنه قول شاعر أو كاهن مما يقطع الصلة بينه وبين وحي السماء ؛ لذا وصف جبريل (عليه السلام) وهو الواسطة بين الله ورسوله في نقل الموحى به - بصفات تؤكد مكانته وأمانته في إيصال ما أوحى الله - تعالى - إلى نبيه (ﷺ) ، ثم جاء وصف الرسول (ﷺ) . وهو الذي انتهى إليه الوحي . بصفات تؤكد صدقه فيما يبلغه عن ربه وأمانته فيما يؤديه عنه نفيا لتهمة الافتراء في الإتيان بالقرآن^(٢) وعلى قراءة (ضنين)^(٣) .

فإن (ضنين) مشتق من (ضن) إذا بخل ، فيجوز أن يكون معناه : وما صاحبكم ببخيل أي بما يوحى إليه ويخبر به من الأمور الغيبية طلبا للانتفاع بما يخبر به ، بخيل لا ينبئكم عنه لا بعوض تعطونه إياه ، وذلك كناية عن نفي أن يكون كاهنا أو عرافا يتلقى الأخبار عن الجن ، إذ كان المشركون يترددون على

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٨٣ - ١٨٤ .

(١) ينظر معاني القرآن للفراء / ٣/ ٢٤٢-٢٤٣ .

(٢) ينظر من أسرار حروف الجر / ٨٠-٨١ .

(٣) ينظر معجم القراءات القرآنية / ٨/ ٨٥-٨٦ .

الكهان ويزعمون أنهم يخبرونهم بالغيبيات ، قال - تعالى - ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمَدُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَتَكُونُونَ ﴾ [الحاقة: ٤١-٤٢] فأقام لهم الفرق بين حال الكهان وحال النبي (ﷺ) بالإشارة إلى أنه (ﷺ) لا يسألهم عوضا فيما يخبرهم به ، وأن الكاهن يأخذ على مما يخبرهم به ما يسمونه (حلوانا) ، فيكون هذا المعنى من قبيل قوله - تعالى - ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [الفرقان: ٥٧] ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [الأنعام: ٩٠] (٤).

أو قد يكون (ضنين) مجازا مرسلا في الكتمان بعلاقة اللزوم ؛ لأن الكتمان بخل بالأمر المعلوم للكاتم ، أي ما هو بكاتم الغيب أي بما يوحى إليه ؛ وذلك أنهم كانوا يقولون ﴿ أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدَّلْتَهُ ﴾ [يونس: ١٥] ، وقالوا : ﴿ وَلَنْ نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَأْتِنَا كَذَابًا قَوْوَهُ ﴾ [الإسراء: ٩٣] أي وما صاحبكم بكاتم شيئا من الغيب أي ما يخبركم به هو الحق من ربكم (١) .

أو قد تكون بمعنى أن الرسول (ﷺ) لا يفتر في تبليغ ما أمر به ، فالغيب هو المبخول عليه ، والمبخول به هو جهد الرسول (ﷺ) وطاقته ، وذلك ما نفى عنه، إيماء إلى أنه (ﷺ) ماض في دعوته لا يدخر وسعا ولا جهدا في تبليغ رسالته ، مما يدل على صدقه وأمانته (٢).

أما على قراءة (بطنين) (٣) فإن (ظنين) مشتق من (ظن) بمعنى (اتهم) والحرف (على) للاستعلاء المجازي أيضا ، وهي توحى هنا بمعنى التحامل والافتراء على الغيب أي وما هو بمتهم على الغيب وهو الوحي أن لا يكون كما بلغه (٤). فيكون معنى الآية أن ما بلغ به الرسول (ﷺ) هو ما أوحى به الله - تعالى - إليه لا ريب فيه، وقيل معناه : وما هو بضعيف القوة على التبليغ، من قولهم بئر ظنون إذا

(٤) ينظر البحر المحيط / ٦٠٦/٨ ، والتحرير والتنوير / ١٤٤/٣٠ .

(١) ينظر التحرير والتنوير / ١٤٤/٣٠ .

(٢) ينظر من أسرار حروف الجر / ٨١ .

(٣) ينظر معجم القراءات القرآنية / ٨٥-٨٦ .

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ٨١ .

كنت قليلة الماء^(٥). وعلى جميع هذه التفسيرات ، فإن الحرف (على) للاستعلاء ولم يغادر معناه.

❖ قال - تعالى - : ﴿وَلِيَّ اللَّطِيفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾
[المطففين: ١-٢]

قيل (على) بمعنى (من) في قوله - تعالى - (على الناس)^(٦) .

ويل دعاء للمطففين ، والتطفيف : البخس في الكيل والوزن ، والتطفيف : النزر الحقيقير ، والتفعيل فيه للتكثير ولا ينافي كونه من التطفيف بالمعنى المذكور ؛ لأن كثرة الفعل بكثرة وقوعه وهو بتكراره لا بكثرة متعلقه . ثم بين الله - تعالى - فعلهم الذي استحقوا عليه الذم والدعاء بالويل بقوله : (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) . أي أخذوا من الناس ما أخذوا بحكم الشراء ونحوه كيلا يأخذونه وافيًا وافرا ، واستعملت (على) للإشارة إلى أنه اكتيال مضر للناس على أن المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيًا من غير نقص ، بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه تيسر من وجوه الحيل، وكانوا يفعلونه بكبس المكيل ودعدة المكيال إلى غير ذلك .

وقيل استعملت (على) لاعتبار أن اكتيالهم لمالهم من الحق على الناس ، فيقال اكتلت عليه أي أخذت ما عليه كيلا ، واكتلت منه بمعنى استوفيت منه كيلا ، والمراد بالاستيفاء حينئذ ليس أخذ الحق وافيًا من غير نقص ، فلا يكون ذلك مدارا لزمهم والدعاء عليهم ، ولكن مدار الذم مجموع المتعاطفين ، والكلام كقولنا: فلان يأخذ حقه من الناس تاما ويعطيهم حقهم ناقصا ، وهو أشد من قولنا: فلانا يعطي ناقصا . ويجوز أن تكون (على) متعلقة بـ (يستوفون) ويكون تقديمها على الفعل لإفادة الخصوصية أي يستوفون على الناس خاصة ، وأما أنفسهم فيستوفون لها ، فالمراد بالاستيفاء المعدى بـ (على) هو استيفاء مضر ، فكأنه قيل إذا اكتالوا يضررون الناس خاصة ولا يضررون أنفسهم بل ينفعونها^(٧) .

(٥) ينظر البحر المحيط / ٦٠٦/٨ .

(٦) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ١ / ٤٦٩ .

(٧) ينظر روح المعاني / ٣٠ / ٦٨ - ٧٠ .

الحرف (عن)

❖ قال - تعالى - : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَلُوا بِحُرُوفٍ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ٤٦]

قيل إن (عن) بمعنى (بعد) في قوله - تعالى - (عن مواضعه)^(٢) غير أن الحرف (عن) على معناه في المجاوزة ؛ لأن (عن) لما جاوز الشيء إلى غيره ملاصقا زمنه لزمه ، بينما (بعد) الظرفية قد تكون لما تأخر زمنه بأزمنة كثيرة أو زمن واحد ، ففي الآية (يحرفون الكلم عن مواضعه) تضمنت إخبار الله - تعالى - لنبيه (ﷺ) بمرتكب من تقدم من كفار بني إسرائيل حين أخذ عليهم الميثاق ، فناسب حال الأولين ذكر ما تناولوه بأنفسهم وبأشروه من التحريف والتبديل ، فاستعمل الحرف (عن) ، في حين استعملت (بعد) في سورة المائدة في قوله - تعالى - : ﴿ يَحُرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَدِ مَوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة: ٤١] ؛ لأنها تضمنت إخبار عن حال اليهود في زمن النبي (ﷺ) الذين حرفوا التوراة بعد أن وضعها الله - تعالى - مواضعها وبعد أن عرفوها وعملوا بها زمانا^(١) .

وقيل لأن السياق الذي ورد فيه قوله - تعالى - : (يحرفون الكلم عن مواضعه) تطلب حرف المجاوزة ؛ لأنه أراد وصفهم بشدة التمرد والطغيان وإظهار العداوة واشترائهم الضلالة ونقض الميثاق ، والدليل على ذلك قوله - تعالى - ﴿ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ [النساء: ٤٦] وقوله - عز وجل - ﴿ فَبِمَا قَضَيْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [المائدة: ١٣] فكأنهم لم يتركوا الكلم من التحريف عما يراد بها ولم تستقر في مواضعها فيكون التحريف بعد استقرارها بل بادروا إلى تحريفها بأول وهلة ، وحيث وصفوا ببعض اللين وترددهم وتحكيمهم للرسول (ﷺ) في بعض الأمر جاء قوله - تعالى - (من بعد مواضعه) بدليل قوله - تعالى - : ﴿ يَقُولُونَ إِنْ عَلِمْنَا هَذَا فَخُذْهُ وَإِنْ لَمْ تَذَرَهُ فَاخْزُوا ﴾ [المائدة: ٤١] وقوله بعد هذه الآية ﴿ فَإِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾

(٢) ينظر مغني اللبيب / ١ / ١٩٧ .

(١) ينظر درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز / ٩١-٩٢ .

[المائدة: ٤٢] فكأنهم لم يبادروا بالتحريف بل عرض عليهم التحريف بعد استقرار
الكلم في مواضعها^(٢) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ ﴾

[التوبة: ١١٤]

قيل إن (عن) في قوله - تعالى - (عن موعدة) بمعنى (اللام)^(٣) .

هذه الآية جاءت بعد قوله - تعالى - عتابا لرسوله (ﷺ) : ﴿ مَا كُنْ لِلنَّبِيِّ وَاللَّيْنِ أَمْذُ وَأَنْ يَتَغَفَرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] وهو ما يثير سؤالا عن سبب صدور الدعاء من النبي (إبراهيم) (عليه السلام) لأبيه، وهو من المشركين ، فجاء الجواب بنفي أن يكون دعاء إبراهيم (عليه السلام) ناشئا عن عاطفته تجاه أبيه أو قضاء لحق القرابة ، وإنما صدر دعاؤه وفاء بما وعد به أباه ، و (عن) تشير فيه إلى أنه كان مدفوعا إلى هذا الدعاء مضطرا إليه ؛ ليتجاوز إثم الخلف ويتفادى الوصف بعدم الوفاء ، وليس في اللام ما في حرف المجاوزة من الإيحاء إلى هذا الغرض^(٤) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَةٍ تَنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ٥٣]

قيل (عن) في قوله - تعالى - (عن قولك) بمعنى (اللام)^(٥) .

(عن) في هذه الآية على بابها في الدلالة على معنى المجاوزة . فبتأمل هذه الآية نجد أن قوم هود (عليه السلام) أرادوا تبيين نبيهم من الإيمان به والإقلال من شأنه بإظهاره في صورة من ليس أهلا لاتباعه والصدور عن رأيه ، وخاصة في أمر يتعلق بعقيدتهم ودين آبائهم ، وكأنهم كانوا يريدون نفي أمرين لا أمرا واحدا ، الأول : أنهم لن يتركوا آلهتهم ولن يقبلوا فيها جدالا ، والثاني : أنهم لن يصدرُوا عن رأيه وقوله ، لأنه ليس بذي رأي فيهم وليس بمنزلة من يتبع وهو ما أكدوه بقولهم (وما نحن لك بمؤمنين) ؛ وذلك أبلغ من (اللام) في موضعها ؛ لأنه مع اللام يكون المنفي أمرا

(٢) ينظر البحر المحيط / ٣ / ٣٧٣ .

(٣) ينظر التناوب في حروف الجر / ١٠٦ .

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣١٧ .

(٥) ينظر مغني اللبيب / ١ / ١٩٧ .

واحدا معللا بقوله ، ويكون المعنى لن نترك ديننا من أجل قولك ، ومعناه أنهم على استعداد لترك دينهم لو جاءهم غيره ببينة أوضح وكان مقبولا لديهم ، وذلك ليس شأن المعاند المتمسك بدينه تمسكا أعمى لا يقبل فيه رأيا ولا يقنع بحجة^(٣) .

❖ قال - تعالى - : ﴿وَاصْبِرْ نَفْكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَاةِ وَالْعِيِّي يَرْيُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨]

قيل (تعد) مضمن معنى (تتصرف) في قوله - تعالى - : (ولا تعد عيناك عنهم)^(٤) .
أراد - تعالى - : اجلس مع عباد الله الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكرة وعشيا ، سواء كانوا فقراء أم أغنياء ، أقوياء أم ضعفاء .

إذ يقال إن هذه الآية نزلت حينما طلب أشراف قريش من النبي (ﷺ) أن يجلس معهم وحده ولا يجالس ضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وغيرهم وليفرد أولئك بمجلس على حدة ، فنهاه الله - تعالى - عن ذلك ، فقال - تعالى - : ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَاةِ وَالْعِيِّي﴾ [الأنعام: ٥٢] وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء ، فقال - تعالى - : ﴿وَاصْبِرْ نَفْكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَاةِ وَالْعِيِّي﴾^(١) ؛ فقوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] أفادت النهي عن ترك هؤلاء المؤمنين وصرف النظر والاهتمام إلى قوم سواهم ؛ حرصا منه (ﷺ) على كسب المشركين واستمالتهم بإظهار الود والإقبال عليهم على حساب المؤمنين الضعفاء. ولو قيل (ولا تعدهم عيناك) لدل على النهي عن إهمالهم والإقلال من شأنهم، في حين دل حرف المجاوزة على النهي عن تركهم إلى غيرهم^(٢) ، فعلى هذا لم يغادر الفعل (عدا) معناه في الدلالة على التجاوز والتعالي كما لم يغادر الحرف (عن) معناه أيضا ، فليس هنالك داعٍ إلى تضمين الفعل معنى فعل آخر .

❖ قال - تعالى - : ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٠]

قيل (عن) بمعنى (بعد) في قوله - تعالى - (عما)^(٣) .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣١٤ .

(٤) ينظر البرهان / ٣ / ٣٤٠ .

(١) ينظر تفسير القرآن العظيم / ٣ / ٧٩ - ٨٠ .

(٢) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٠٣ .

(٣) ينظر الحقي الداني / ٢٦٣ .

(عن) في هذه الآية للمجاوزة ، ولأن (عن) لما جاوز الشيء إلى غيره ملاصقا زمنه لزمنه ، فقد أفادت قرب زمن إصباحهم نادمين ، والدليل على ذلك كلمة (قليل) التي جاءت بعدها . فهي أكثر تلاؤما معها من (بعد) الظرفية التي تكون لما تأخر زمنه بأزمة كثيرة أو زمن واحدا^(٤) .

❖ قال - تعالى - : ﴿لَا يَعْظُمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْلُونَ مِنْكُمْ لَإِذَا قُلِحَ النَّيْنُ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ قِتْنَةٌ أَوْ يَصِيبَهُمْ غَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]
قيل الفعل (يخالف) ضمن معنى (يصد) في قوله - تعالى - ﴿يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾^(٥) . المخالفة يراد بها المغايرة.

والمتمأمل لسياق الآية يجد قبلها حديثا عن طاعة المؤمنين وثباتهم مع الرسول (ﷺ) حينما يدعو إلى أمر جامع لا يتركونه إلا بإذن منه ، إذ قال - تعالى - ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْمَأُذُوهُ﴾ [النور: ٦٢] ثم جاءت هذه الآية مشيرة إلى أن فريقا حاول أن يستتر بغيره ليرك الرسول (ﷺ) خفية ويتسلل من دون أن يراه أحد ، فقال - تعالى - : ﴿لَا يَعْظُمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْلُونَ مِنْكُمْ لَإِذَا قُلِحَ النَّيْنُ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ تحذيرا لهؤلاء الذين لا يعلنون عصيانهم بمخالفتهم أمر الله وانحرافهم عنه من سوء ما ينتظرهم وإعلامهم بأن الله - تعالى - يراهم ويرقب أفعالهم ، فالمعنى المراد قد تحقق من فعل المخالفة الذي يدل على مغايرة أمر الله - تعالى - ورسوله (ﷺ) إلى فعل آخر وعدم الالتزام بما أوجب عليهم اتباعه ، أما الفعل (صد) فله معنى آخر ؛ لذا استعمل في المواضع التي دلت على المنع والرد والإعراض^(١) .

(٤) ينظر درة التنزيل / ٩١-٩٢ .

(٥) ينظر البحر المحيط / ٦ / ٥٧٨ .

(١) ينظر المعجم المفهرس / ٥٤٦-٥٤٧ .

فالمعنى المراد من الآية إذن تحقق من استعمال فعل المخالفة وبتعديه بحرف المجاوزة الذي أبرز تجاوزهم ومخالفتهم وانحرافهم فيما حسبه خافيا مستورا^(٢)، من دون أن يتضمن الفعل معنى فعل آخر .

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ [الشورى: ٢٥]

قيل (عن) بمعنى (من) في قوله - تعالى - (يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ)^(٣) .
بتتبع ما جاء بالقرآن الكريم نجد أن (قبل) و (تقبل) تعديا في الكتاب العزيز بـ (من) و (عن) ، وما تعدى بـ (عن) ثلاثة مواضع ، كلها في سياق التوبة والتجاوز عن السيئات ، الموضع الأول هو هذه الآية المذكورة ، والموضع الثاني قوله - تعالى - : ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة: ١٠٤] ، والثالث قوله - تعالى - : ﴿ وَلَئِكَ الَّذِينَ تَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ﴾ [الأحقاف: ١٦] فجاءت (عن) في هذه المواضع إشعارا بقبول أعمالهم الصالحة وتوبتهم الخالصة ، والتجاوز عن سيئاتهم ، فأدت معنى (من) وزادت عليها محو الذنوب وصرفها فضلا منه ورحمة ، وكأن الله - تعالى - ماز الأعمال الصالحة وعزلها عن الأعمال السيئة فتقبل الطيب منها وتجاوز عن سيئها . أما ما ورد متعديا بحرف الابتداء مثل قوله - تعالى - : ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ تَبَّأُ إِنِّي أَنَا بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبْنَا قُلُوبَنَا فَتَقَبَّلْ مِنْ آهِمَا وَلَمْ يَكُنْ لَكَ تَقَبُّلٌ مِنَ الْآخِرِ قَالِ لَاقَدْ لُتْكَ قَالِ إِنَّمَا تَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧] ؛ فذلك لأن غرض الآية هنا الإخبار بقبول عمل صالح خالص لوجهه - تعالى - ، ورد عمل آخر لم يقرن بالتقوى والإخلاص من دون الإشارة إلى المغفرة والتجاوز عما سبقه من الذنوب والسيئات^(١) .

وقيل لأن الفعل (قبل) حينما يتعدى بـ (من) الابتدائية : يفيد معنى الأخذ للشيء صادرا من المأخوذ منه كقوله - تعالى - ﴿ فَلَنْ يَغْفِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَلَهُمْ فِي السَّعِيرِ فَلَانٌ ﴾ [آل عمران: ٩١] ولكن لو تعدى بـ (عن) فإنه يفيد معنى مجاوزة الشيء المقبول وانفصاله عن معطيه وبإذله وهو أشد مبالغة في معنى

(٢) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٠٤-٣٠٥ .

(٣) ينظر معني اللبيب / ١ / ١٩٨ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٢٥-٣٢٦ .

الفعل من تعديته بالحرف (من) ؛ لأن فيه كناية عن احتباس الشيء المبذول عن المبذول إليه بحيث لا يرد على باذله^(٢).

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَيَنْبَغُ أَنْ يَخْلُ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [محمد: ٣٨]

قيل (عن) بمعنى (على) في قوله - تعالى - : (عن نفسه)^(٣) .

(عن) في هذه الآية على معناها في الدلالة على المجاوزة ، فقيل إن معنى (يبخل عن نفسه) : يبعد الخير عن نفسه بالبخل ، وقيل إن معناه : يبخل منصرفا عن نفسه ، أي منصرفا عن مصلحة نفسه أي مبتعدا عنها ؛ لأن البخل في الحقيقة ابتعادا عن مصلحة النفس ، فكأنه يبتعد عن نفسه بالبخل بخلاف الإنفاق فإنه لها ، أما قولك (يبخل على نفسه) فله معنى آخر مختلف ، فهو إما أن يعني أن عاقبة بخله تعود عليه ، كقوله - تعالى - ﴿ لَهُ مَا كَسَبَتْ وَظَاهَرَهُ مَا اكْتَسَبَت ﴾ [البقرة: ٢٨٦] أو قد تكون بمعنى أن من لا ينفق على نفسه فهو يثقلها بالبخل ، فكأن البخل حمل يعلوه^(٤) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ [النجم: ٣]

قيل (عن) في قوله - تعالى - (عن الهوى) بمعنى (الباء)^(١) .

(عن) في هذه الآية على معناها في الدلالة على المجاوزة ، والمراد أن نطقه لا يصدر عن هوى منه وإنما يصدر عن وحي^(٢) ؛ وذلك أبلغ في تبرئة النبي (ﷺ) عن هوى النفس والتحدث برأيه ، إذ إن نفي التلبس بالهوى ومخالطته لا ينفي أن يكون صادرا وناشئا عنه ، فقولك : ما حدثت برأيه ، فيه نفي أن تكون حكيته رأيه ، ولا ينفي أن تكون متأثرا به ، أو أن شيئا من فكره ورأيه عدا إلى منطقك ، أما قولك : ما حدثت عن رأيه ، فذلك أقطع في نفي أن تكون متحدثا برأيه أو أن تكون متأثرا به صادرا عنه ، ومن ثم جاءت (عن) دالة على نفي أن يكون ما جاءهم به صادرا عن هوى من نفسه أو متأثرا به ، وهو لا شك أبلغ من نفي التلبس والمخالطة^(٣) .

(٢) ينظر التحرير والتنوير / ٢٥ / ١٥٢ .

(٣) ينظر معني اللبيب / ١ / ١٩٦ .

(٤) ينظر معاني النحو / ٣ / ٥٣ .

(١) ينظر معني اللبيب / ١ / ١٩٨ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير / ٢٧ / ١٠٠ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣١٠ .

❁ قال - تعالى - : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ لِتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق ١٦-١٩] .

قيل (عن) بمعنى (على) في قوله - تعالى - (عن طبق)^(٤) .
لا أقسم : المراد به تعظيم القسم .

ومناسبة الأمور المقسم بها للمقسم عليه ؛ لأن الشفق والليل والقمر تخالط أحوالا بين الظلمة وظهور النور معها أو في خلالها ، وذلك مناسب لما في قوله - تعالى - (لتركين طبقا عن طبق) من تفاوت الأحوال التي يمر بها الناس من ظهور أحوال خير من خلال أحوال شر أو انتظار تغير الأحوال إلى ما يرضيهم إن كان الخطاب للمسلمين . ولعل ذكر الشفق إيحاء إلى أنه يشبه حالة انتهاء الدنيا ؛ لأن غروب الشمس مثل حالة الموت ، وذكر الليل إيحاء إلى شدة الهول يوم الحساب وذكر القمر إيحاء إلى حصول الرحمة للمؤمنين^(٥) .

والشفق : اسم للحمرة التي تظهر في أفق مغرب الشمس إثر غروبها وهو ضياء من شعاع الشمس إذا حجبها عن عيون الناس بعض جرم الأرض . و (ما وسق) : (ما) مصدرية ، ويجوز أن تكون موصولة على طريقة حذف العائد المنصوب ، و (الوسق) جمع الأشياء بعضها إلى بعض فيجوز أن يكون المعنى : وما جمع مما كان منتشرا في النهار من ناس وحيوان ؛ لأنها تأوي في الليل إلى مأويها ، وذلك مما جعل الله - تعالى - في الجبل من طلب الأحياء السكون في الليل ، قال - تعالى - ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [القصص : ٧٣] .

وذلك من بديع التكوين ؛ فلذلك أقسم به قسما أدمج فيه منه . وقيل ما وسقه الليل : النجوم ؛ لأنها تظهر في الليل فشبه ظهورها فيه بوسق الواسق أشياء متفرقة ، وهذا أنسب بعطف القمر عليه^(١) .

(٤) ينظر مغني اللبيب / ١ / ١٩٧ .

(٥) ينظر التحرير والتنوير / ٣٠ / ٢٠١-٢٠٢ .

(١) ينظر البحر المحيط / ٨ / ٦٢٦ ، والتحرير والتنوير / ٣٠ / ٢٠٢ .

واتساق القمر : اجتماع ضيائه وهو افتعال من الوسق بمعنى الجمع . وذلك في ليلة البدر ، وتقيد القسم به بتلك الحالة ؛ لأنها مظهر نعمة الله على الناس بضيائه .
الطبق : اسم مفرد للشيء المساوي شيئاً آخر في حجمه وقدره .
الركوب : فسر على المعنى المجازي ، ف قيل أريد به الرفعة أو المتابعة أو السلوك ، أي لتصيرن في طبق الآخرة عن طبق الدنيا ، أو أن أقواما كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا في الآخرة والتتوين بينهما للتتويج ، أو من كان على صلاح دعاه إلى صلاح آخر ، ومن كان على فساد دعاه إلى فساد فوقه ؛ لأن كل شيء يجر إلى شكله فتكون الجملة اعتراضاً بالموعظة ، وتكون (عن) على هذا للمجازة والتتوين للتعظيم^(٢) .

أما العلم الحديث فله تأويل آخر للآية ، ف قيل إن الفعل (اتسق) للقمر يعني اكتمل أي ظهر كله ، وهو المعنى المجازي للفعل أي أن أسرارهم قد اتضحت واكتملت ، وفي ذلك إشارة إلى اكتشاف القمر بوسيلة متعددة المراحل ، إذ اكتشف القمر بسفن فضائية لا تتجاوز حدود الجاذبية بمرحلة واحدة ، بل في ثلاث مراحل إذ ينطلق الصاروخ الثاني عن الأول ، والثالث عن الثاني ، ولو عبر عن الصاروخ الحامل للسفن الفضائية بكلمة (طبق) لكانت مراحلها (طبق عن طبق) ، ويكون الفعل (ركب) على معناه الحقيقي والحرف (عن) للمجازة أيضاً^(١) .

الحرف (في)

❖ قال - تعالى - : ﴿ قَدْ نَزَىٰ تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ﴾ [البقرة: ١٤٤]

قيل (في) في قوله - تعالى - (في السماء) بمعنى (إلى)^(٢)

التقلب مصدر (تقلب) الذي يفيد الكثرة والمبالغة في القيام بالفعل ، و (في السماء) يتعلق بهذا المصدر ، واختص التقلب بالسماء ؛ لأن السماء جهة تعود منها الرحمة كالمطر والأنوار والوحي ، فهم يجعلون رغبتهم حيث توالى النعم ؛ لأن السماء قبلة الدعاء، ولأنه (ﷺ) كان ينتظر جبريل (ﷺ) وكان ينزل من

(٢) ينظر التحرير والتنوير / ٣٠ / ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(١) ينظر المنظار الهندسي للقرآن الكريم / ٧٩٣ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ١ / ٦١٣ .

السماء^(٣)، فالحرف (في) على بابه في إفادة الظرفية ، إذ أظهر هذا الحرف شدة إغراق الرسول الكريم (ﷺ) في الدعاء وانصرافه إلى ربه بالكلية مقبلا عليه متقربا منه ملحا عليه في الرجاء وكأنه فارق عوالم الأرض واستوطن بفكره السماء منشغلا عن دنياه ، متفرغا لسؤال ربه أن يحقق له رغبته في التوجه إلى المسجد الحرام^(٤) .

❁ قال - تعالى - : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّاهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠]

قيل إن (في) في قوله - تعالى - (في ظل) بمعنى (الباء)^(٥) في هذه الآية مسألتان كل واحدة منهما لها علاقة بالأخرى .

المسألة الأولى : تخص قوله - تعالى - (يأتئهم الله) .

والمسألة الثانية : تخص قوله - تعالى - (في ظل من الغمام) .

وهذان أمران لا يجوزان بحق الله - تعالى - ؛ لأن الإتيان يستلزم التنقل والتمدد ليكون حالا في مكان بعد أن لم يكن به حتى يصح الإتيان ، وهذا يستلزم تنقل الجسم والله - تعالى - منزعه عنه. والمسألة الثانية لا تجوز ؛ لأنها تقتضي الظرفية بحق الله - تعالى - .

فإما أن نثبت الإتيان والظرفية لكن بلا كيف وهو ما ذهب إليه سلف الأمة قبل حدوث تشكيكات الملاحدة ، أو :

١- أن يكون المقصود بقوله - تعالى - (يأتئهم الله) المراد به أمر الله أو عذابه أو آياته ، ويكون ذلك في ظل من الغمام ، فيكون إسناد الإتيان إلى الله - تعالى - إسنادا مجازيا .

٢- أن تكون (أتى) بمعنى (استأصل) وذلك في كل (أتى) مضاف إلى منتقم أو عدو أو فاتح ، كما تقول أتاهم السبع بمعنى أهلكهم ، وأتاهم الوباء ، وكقوله - تعالى - : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّاهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر: ٢] وقال - تعالى - : ﴿ أَتَى اللَّاهُ بُنْيَانَهُمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل: ٢٦] ، وكذلك يقولون أتى عليه

(٣) ينظر البحر المحيط / ١ / ٦١٣ .

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٣٩ .

(٥) ينظر البحر المحيط / ٢ / ٢٠١ .

بمعنى أهلكه واستأصله ، فلما شاع ذلك شاع إطلاق الإتيان على لازمه وهو الإهلاك والاستئصال ، فيكون هنالك معمول محذوف دل عليه ﴿فَاطُوا أَنْ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٠٩] والتقدير أن يأتيهم الله بالعذاب أو ببأسه في ظلل من الغمام^(١) .

وعلى هذين الرأيين تكون (في) للظرفية وليست بمعنى الباء الذي يدل على الإلصاق.

❖ قال - تعالى - ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [آل عمران : ٢٧]

قيل إن (في) بمعنى (على) في قوله - تعالى - : (في النهار) و (في الليل)^(٢)

معنى الإيلاج إدخال الشيء في آخر بحيث يحيط به . ولما كان لا معنى لإيلاج زمن الليل في زمن النهار أو العكس ، كان المقصود من تعاقب الليل والنهار بإيلاج كل منهما في الآخر : هو إيلاج أو إدخال لازم من لوازم الليل في آخر من لوازم النهار يعقل أو تصح فيهما عملية الإيلاج ؛ لذا فإن ذكر الليل والنهار جاء مجازا وقصد بهما مكان كل منهما على الأرضين وقرينة ذلك قوله : (يولج) ، فكأن المعنى المقصود : يولج مكان الليل في مكان النهار فيصير نهارا ، ويولج مكان النهار في مكان الليل فيصير ليلا على سطوح الأرضين ، وهذا معناه عقلا وعملا أنه - تعالى - يجعل الأرضين تدور حول نفسها أمام مصادر الضياء من النجوم مما يجعل الليل والنهار يتبادل كل منهما مكان الآخر هذا التبادل الذي يستلزم تساوي المكانين حتى يتم إحلال كل منهما محل الآخر ؛ لأنه إذا زاد أو نقص أي المكانين عن الآخر لا يتحقق هذا التبادل في الإحلال ، فيكون إذن نصف سطوح الأرضين المنحنية نهارا ونصفها ليلا في كل لحظة^(٣) .

(١) ينظر البحر المحيط / ٢ / ٢٠٠ - ٢٠٢ ، والتحرير والتنوير / ٢ / ٢٦٧ - ٢٧٠ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٢ / ٦٧٤ .

(٣) ينظر التفسير العلمي للآيات الكونية / ٢٨٢ - ٢٨٤ .

فحرف الظرفية إذن لم يخرج عن معناه في هذه الآية ، أما حرف الاستعلاء فإننا نجده في موضع آخر بقوله - تعالى - يَكُورُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُورُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ ﴿ [الزمر: ٥] وهو موضع تطلب هذا الحرف ؛ فالتكوير معناه : لف شيء على آخر في اتجاه مستدير ، ولأنه لا معنى لتكوير زمن على زمن ، ولأنه - تعالى - يتحدث في هذه الآية عن مجموع الخلق وتعاقب الليل والنهار بالتكوير على جميع الأرضين ، كان معنى الآية المقصود : هو يكور - تعالى - أو ينشر في اتجاه مستدير ظلمة الليل على مكان النهار على الأرضين فيصير ليلاً ، وينشر في اتجاه مستدير ضياء النهار في مكان الليل فيصير نهارة ، وقرينة ذلك قوله (يكور)^(٢)

❖ قال - تعالى - قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴿ [النساء: ٩٧]

قيل إن قوله - تعالى - (تهاجروا فيها) بمعنى إليها^(٣).

لو حل الحرف (إلى) محل الحرف (في) لدل على أن المخاطبين خارج أرض الله فيطالبون حينئذ بالهجرة إليها، ولكنهم لما كانوا في هذه الأرض ، فإن النعي عليهم ولومهم ؛ لأنهم لم يضربوا في أعماق الأرض بحثاً عن مكان آخر يأمنون فيه على دينهم ويمارسون فيه شعائر عقيدتهم ، فحرف الظرفية أوحى بالإبعاد في الأرض فراراً من الإيذاء وهروباً من فتنة الكافرين ، كما أعطى قوله - تعالى - : (تهاجروا فيها) الدلالة على المدى الكبير في الاختيار للأراضي المهاجر إليها ولا سيما بعد وصف أرض الله بالسعة ، إذ يفهم من ذلك القدرة على التنقل من هذا المكان إلى عدة أماكن ، وهذا ما لا يتحقق فيما لو استعمل الحرف (إلى) الذي سيشعر حينئذ بمجرد الوصول إلى أرض أخرى والانتهاء إلى طرف منها مما يجعلهم عرضة للوقوع في يد عدوهم والمتعقب لهم^(١) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ قَالَ انْظُرُوا فِي أُمِّ الْقَدْحِ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ﴾ [الأعراف: ٣٨]

(٢) ينظر المصدر نفسه / ٢٨٢ .

(٣) ينظر البحر المحيط / ٣ / ٤٧٥ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٣٧ .

قيل إن (في) في قوله - تعالى - (في أمم) بمعنى (مع)^(٢)

لكن هذا الموقف هو موقف قهر وتحقير لشأن الكافرين والسخرية منهم وممن أشركوا الذين جعلوا مع الله إلها آخر ، ولا أدل على ذلك من حرف الظرفية الموحى بأن المخاطبين يتوارون في غمار الأمم التي كفرت بربها ، وألقى الله - تعالى - بهم في نار جهنم وهو غني عنهم وعن عبادتهم ، وهذا سر عدم الاكتفاء بالأمر بدخولهم النار ، إذ لم يقل: (ادخلوا في النار) كما لم يكتف بقوله (ادخلوا في أمم) حتى بينه بقوله (من الجن والإنس) للدلالة على كثرة الكافرين وحقارة شأن الداخلين فيهم ، وهو سر إيثار حرف الظرفية على كلمة المصاحبة^(٣).

❖ قال - تعالى - : ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

قيل إن قوله - تعالى - (ثقلت في السموات والأرض) بمعنى (عليها)^(٤)

جملة (ثقلت في السموات والأرض) معترضة لقصد الإفادة بهول يوم القيامة والإيماء إلى حكمة خفائها. والفعل (ثقلت) يجوز أن يكون لمجرد الإخبار بشدة أمرها ، كقوله - تعالى - : ﴿ وَيُزَوِّنَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [الإنسان: ٢٧] ويجوز أن يكون تعجبا بصيغة (فعل) - بضم العين - فتقدر الصفة ضمة تحويل الفعل للتعجب ، وإن كانت هي ضمة أصلية في الفعل ، فيكون من قبيل قوله - تعالى - : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [الكهف: ٥] والنقل مستعار للمشقة ؛ لأن شدة وقع الشيء في النفوس ومشقته عليها تخيل لمن حلت به أنه حامل شيئا ثقيلا ، ومنه قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا سُلِّقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [المزمل: ٥] أي شديد تلقيه وهو القرآن ، ووصف الساعة بالثقل باعتبار ما هو مطرووف في وقتها من الحوادث ، فوصفها بذلك مجاز عقلي، والقرينة واضحة وهي كون الثقل بمعنى الشدة لا يكون وصفا للزمان ، ولكنه وصف للأحداث ، فإذا أسند إلى الزمان ، فإسناده إليه إنما هو باعتباره ظرفا للأحداث ، كقوله - تعالى - : ﴿ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾ [هود: ٧٧] .

فوصفة الساعة بالشدة ؛ لعظم ما يحدث فيها من الحوادث المهولة في السموات والأرض من تصادم الكواكب وانخرام سيرها ، ومن حدوث الزلازل والبراكين والفيضانات في الأرض، ونحو ذلك مما ينشأ من اختلال النظام الذي كان عليه سير العالم ، وتعدي الفعل (ثقل) بحرف الظرفية ليعم كل ما تحويه السموات والأرض مما يقع عليه عملية الثقل والشدة^(١)، وهو معنى مختلف عن المعنى

(٢) ينظر البحر المحيط / ٤ / ٣٨٢ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٥٥ - ١٥٦ .

(٤) ينظر البحر المحيط / ٤ / ٥٥٠ .

(١) ينظر التحرير والتنوير / ٨ / ٣٧٧ - ٣٧٨ .

الذي يكون باستعمال الحرف (على) الذي سيدل حينئذ على وقوع الشدة والثقل على السموات والأرض فحسب من دون أن يشمل ما تحويه كل منهما.

﴿ قال - تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَّهْتُمْ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ﴾ [يونس: ٢٢]

قيل إن الحرف (في) في قوله - تعالى - (في الفلك) بمعنى (على)^(٢) .

تعدى لفظ (الفلك) أو ما في معناه كالسفينة والجارية أو ضميره مجرورا بـ (في) في مواطن تستدعي حرف الظرفية وتلح عليه^(٣) وهي جميعا يمتن الله - تعالى - فيها على عباده بتجنيبتهم من خطر طوفان وأمواج عاتية^(٤). فهذه الآية مثلا تومئ إلى أن القوم كانوا مستقرين مطمئنين تجري بهم سفنهم في مياه هادئة وتدفعها ريح مواتية طيبة ، فإذا قضاء الله يفاجئهم ويذهب بأمنهم واستقرارهم ، فتنحول الريح الطيبة إلى عواصف هوجاء والمياه الهادئة أمواجاً هادرة وكأن الله - تعالى - أخذهم بياتا وهو نائمون^(٥) .

فلو استعمل حرف الاستعلاء محل حرف الظرفية لدل على الاستعلاء فحسب من دون الاهتمام بالتمكن والاستقرار فيها ؛ لذا استعمل في مواضع أخرى تطلبت مثل قوله - تعالى - : ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ أَصْحَابُ الْإِنِّ نَجَاْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٨]؛ لأن الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء والأخذ بزمam المستولى عليه، وكأن الفلك قد ذلت لركوبهم فصارت طوع أمرهم، فهذه النعمة التي أنعم الله - تعالى - بها عليهم هي نعمة التدليل والتسخير، إذ كانت (على) في الدلالة على الاستعلاء والاستيلاء هي الأنسب في هذا الموضع ؛ فكان واجب عليهم بعد الاستعلاء عليها أن يقابلوا هذه النعمة بالشاء على المنعم الذي هيء لهم سبيل النجاة من القوم الظالمين^(١) .

﴿ قال - تعالى - : ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَوْجُوًّا ﴾ [هود: ٦٢]

قيل إن (في) بمعنى (عند) في قوله - تعالى - (فيينا)^(٢) .

(٢) ينظر البرهان / ٤ / ٣٠٣ .

(٣) ينظر على سبيل المثال الكهف / ٧١ ، والحج / ٦٥ ، والهاقة / ١٢ .

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ٦٠ .

(٥) ينظر المصدر نفسه / ٦١ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٦٢ - ٦٣ .

(٢) ينظر الحروف العاملة / ٤٧٦ .

هذا جواب قوم النبي صالح (عليه السلام) ، حينما دعاهم إلى الإيمان بالله - تعالى - . فافتتحوا الكلام بالنداء لقصد التوبيخ بقولهم: (قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) وفيه تعريض بخيبة رجائهم فيه ، و (قد) لتأكيد الخبر ، وحذف متعلق (مرجوا) لدلالة فعل الرجاء على أنه ترقب الخير ، أي مرجوا للخير والآن وقع اليأس من خيرك ، ويفهم من هذا أنهم يعدون ما دعاهم إليه شرا . وإنما خاطبوه بمثل هذا ؛ لأنه بعث فيهم وهو شاب ، أي كنت مرجوا لخصال السيادة وحماية العشيرة ونصرة الآلهة ، والإشارة (قبل هذا) إلى الكلام الذي خاطبهم به حين بعثه^(٣) .

أما الحرف (في) فقد أعطى صورة لطبيعة وجوده بينهم فهو وجود مستقر ومطمئن ومتمكن ؛ لأنه واحد من أبنائهم ، تربى معهم ونشأ بينهم وتربطه بهم وشائج عديدة أوثقت صلته بهم ، وهو ما لا تؤديه كلمة (عند) في هذا الموضع .
❖ قال - تعالى - : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخَذْنَا مِنْهُ آلِهَةَ الْإِسْلَامِ ﴾ [هود: ١١٠] .
قيل إن (في) في قوله - تعالى - (فيه) بمعنى (على)^(٤) .

(اختلف فيه) أي في الكتاب وهو التوراة ، ومعنى الاختلاف فيه: اختلاف أهل التوراة في تقرير بعضها وإبطال بعض ، وفي إظهار بعضها وإخفاء بعض مثل حكم الرجم ، وفي تأويل بعضها على هواهم ، وفي إلحاق أشياء بالكتاب على أنها منه ، كما قال - تعالى - ﴿ قَوْلٍ لِّأُولَئِكَ نَبِّئْنِي بِكِتَابِ الْكَافِرِينَ كَذَّبُوا بِهِ وَنُفِرَ لَّهُمْ مِنْهُ ﴾ [البقرة: ٧٩] . فهذا من شأنه أن يقع من بعضهم لا من جميعهم ، فيقتضي الاختلاف بينهم أن ينقسموا بين مثبت وناف ، وهذا الاختلاف بأنواعه وأحواله يرجع إلى الاختلاف في شيء من الكتاب ، فجمعت هذه المعاني جمعا بديعا في تعدية الاختلاف بالحرف (في) الدال على الظرفية المجازية^(١) ؛ وذلك لإظهار مدى الاختلاف الكبير بينهم في الكتاب الذي أنزله الله - تعالى - على نبيه موسى (عليه السلام) فجعلوه منه ميدانا واسعا للاختلاف فيه ، فإذا كان هذا شأن بني إسرائيل مع الكتاب

(٣) ينظر الكشف / ٢ / ٢٧٨ ، والبحر المحيط / ٥ / ٣١١ ، والتحريم والتنوير / ١١ / ٦٢ .

(٤) ينظر البحر المحيط / ٥ / ٣٤٦ .

(١) التحريم والتنوير / ١١ / ٣٣٤ - ٣٣٥ .

الذي أنزل إليهم وآمنوا به وهم أحسن حالا من المشركين ، فكيف يتفق المشركون على تصديقك؟ والكلام موجه إلى النبي (ﷺ) وفي ذلك مواساة له .
❖ قال - تعالى - : ﴿ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرْتُوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [إبراهيم : ٩].

قيل قوله - تعالى - (في أفواههم) بمعنى (إلى أفواههم)^(٢) .

هذه الآية لها عدة تأويلات ، وعلى جميع هذه التأويلات تكون (في) على معناها في إفادة الظرفية ؛ لأن الأيدي إما أن يراد بها الجوارح أو يراد بها النعم ، فإذا كان المراد بها الجوارح ، فالمعنى أنهم عضوا أيديهم من الغيظ على الرسل فيكون بمعنى قوله - تعالى - : ﴿ عَضُوا عَلَى أَيْدِيهِمُ الْأَثَمَ مِنَ الْغَيْظِ ﴾ [آل عمران : ١١٩] ، ولا يعضون على أيديهم إلا بأن يدخلوها في أفواههم ، وإن كان المراد بالأيدي النعم ، فالمعنى أنهم ردوا كلام الرسل وإنذارهم عليهم ، فلم يقبلوه وسمي ما جاءت به الرسل من إنذارهم نعماً ؛ لأن من خوفك من عاقبة ما تصير إليه وأمرك بما فيه نجاتك فقد أنعم عليك ، فصار هذا بمنزلة قول القائل : رددت كلامه في فيه إذا لم تقبله ، فالأيدي والأفواه على هذا التأويل للرسل ، وفي القول الأول للكفار^(٣).

أما التأويل الآخر : فهو أن قولنا : (ردوا أيديهم إلى أفواههم) سيعني مجرد إنهاء الأيدي إلى الأفواه بالإشارة من خارجها ، أما حرف الوعاء ، فإنه يدل على المبالغة في عدم الرد عليهم وكأنهم من فرط الإصرار على إنهاء الحوار معهم أدخلوا أيديهم في أفواههم لتعطّل جهاز النطق وتمنع اللسان عن الحركة حتى ولو كانت أصواتاً مكتومة أو حركة محبوسة داخل الفم ، وهو ما يؤكد إقناط الرسل من إجابتهم والاسترسال في الحوار معهم ، إحساساً منهم بأنهم لا يستطيعون مجاراتهم في الحجاج ولا غلبتهم في الإقناع^(١).

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَهُمْ يَدْعُونَ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ ﴾ [النحل : ٨٩]

قيل (في) بمعنى (من) في قوله - تعالى - (في كل أمة)^(٢) .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٥ / ٥٢٣ .

(٣) ينظر البحر المحيط / ٥ / ٥٢٣ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٤٦ .

(٢) ينظر البرهان / ٤ / ٣٠٣ .

هذه الآية تصور موقف المحاجة والخصومة وتبادل الاتهامات والقاء القول بعد أن أذن الله - تعالى - لهم بذلك كما يفصح عنه قوله قبل هذه الآية ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ نُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَذِ السَّلَامِ وُضِيَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَقُولُونَ﴾ [النحل: ٨٦-٨٧] فلم يكن إلقاء السلم وذهاب افتراءهم إلا دليلا على أنهم ووجهوا بشهادة من أرسلوا فيهم وشهدوا عليهم ، ومن ثم صرح في هذه الآية بأن الشهيد مبعوث فيهم بما يدل على أنه عاش بينهم واستبطن أحوالهم وذلك لجعل الشهادة عليهم أمكن وأوثق ، ومن ثم جاء (من أنفسهم) تأكيد لهذا المعنى ، وهو تمهيد أيضا للآية الثانية التي صرح فيها بذكر شهادة الرسول (ﷺ) على أمته ، فدللت على البشارة للمؤمنين مع الزجر والتعنيف لمن لم يؤمن، ولما كان قوله - تعالى - (وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) أفاد كونه (ﷺ) الشهيد على أمته وكونه من أنفسها، وورد ما قبله محرزا فيه ذلك الغرض من تحقيق ذلك الحكم من أن كل نبي قبله إنما كان من أنفس القوم المرسل إليهم ذلك الرسول لا من غيرهم وهو الشهيد عليهم ، وتحقق ذلك فيما قبله بما يحرزه حرف الوعاء بما اقتضاه من استحكام الأخبار بكون الشهيد من الأمة نفسها ؛ لأن قوله (من كل أمة) يحتمل أن يراد به أن يكون منهم في مذهب جامع بينه وبينهم من غير أن يكون من أنفسهم ، في حين يكون قوله (في كل أمة) أنص في الاتصال ولا سيما بما اتبع به من قوله (من أنفسهم) فطوبق بين المقابلتين من قوله (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء) .

أما قوله - تعالى - ﴿وَهُمْ نَبَعٌ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْنَسُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [النحل: ٨٤] فإنها إخبار من الله - تعالى - بجمع الشهداء من الأمم في موقف قصد منه إعلام الكافرين يجمع الأدلة ضدهم وإحضار من يكذبونهم إذا ما ادعوا عدم تبليغ الرسل لهم ، لكنه ليس موقف محاجة ومسألة بدليل قوله - تعالى - ﴿ثُمَّ لَا يُؤْنَسُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [النحل: ٨٤] ؛ لذا لم يحتج الإخبار

إلى المبالغة بكون الشهيد فيهم كما لم يحتج إلى التأكيد بأنه من أنفسهم ولا بأنه شهيد عليهم متى ما انتفى السؤال والمحاجة^(١) .

﴿ قال - تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجْهَهَا تَضَلَّلَ فِي عَيْنِ حَمَّةٍ ﴾

[الكهف: ٨٦]

قيل إن (في) بمعنى (عند) في قوله - تعالى - (في عين حمئة)^(٢) .

المراد بـ (مغرب الشمس) مكان غروب الشمس من حيث يلوح الغروب من جهات المعمورة من طريق غزوة (ذي القرنين) أو مملكته ، وذلك حيث يلوح أنه لا أرض وراءه حيث بدا الأفق من جهة مستبصرة ، إذ ليس للشمس مغرب حقيقي إلا فيما يلوح للتخيل ، والعين : المراد به منبع ماء ، وحمئة مشتق من الحمأة وهو الطين الأسود ، والمعنى عين مختلط ماؤها بالحمأة ، فهو غير صاف^(٣) .

فوجد الشمس أثناء غروبها كأنها تنغمس في تلك العين ، فالحرف (في) للظرفية المجازية ؛ إذ بينت الآية هيئة غروب الشمس ومشهده حين بلغ ذلك الموضع فوجد أن الشمس في الأفق أثناء مغيبها وزوالها كأنها تنغمس في تلك المياه . في حين نجد في موضع آخر من القرآن قوله - تعالى - عن الشمس ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾ [ص: ٣٢] والمراد بذلك الأفق ، لأن هذا الموضع ليس فيه اهتمام بهيأتها وإنما بالوقت الذي دل عليه اختفاؤها وانحسار أشعتها ؛ لذا عبر عن ذلك باختفائها بالحجاب من دون أن يقول (في الحجاب) .

﴿ قال - تعالى - : ﴿ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه: ٧١]

قيل إن (في) في قوله - تعالى - (في جذوع النخل) بمعنى (على)^(١) ، في حين أنها إما أن تكون للظرفية الحقيقية ؛ لأن فرعون نقر الخشب وصلبهم في داخله فصار ظرفاً لهم حقيقة حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً^(٢) ، أو للظرفية المجازية فشبه

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٥٢ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ١٩٨ - ١٩٩ .

(٣) ينظر التحرير والتنوير / ١٥ / ١٢٧ .

(١) ينظر البحر المحيط / ٦ / ٣٢٣ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٦ / ٣٢٣ .

(٣) ينظر الكشف / ٢ / ٥٤٦ .

تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه^(٣) ؛ ففرعون يعبر بقوله هذا عن غيظ بلغ مداه وثورة غاضبة عاصفة ، فأطلق هذه الكلمات منذرا بأقصى العقوبة تتكيلا بالسحرة وتمثيلا بهم معلنا أنه سيقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وهو القتل البطيء فيمثل بهم؛ إعلاما لغيرهم وتهديدا لمن تسول له نفسه أن يحذو حذوهم ، وتعبيرا عن شدة الأخذ وعدم الرحمة بالمصلوبين ، فجاء حرف الوعاء دالا على أنهم سيشدون إلى جذع شدا بالغ القسوة حتى ليكاد المصلوب يواريه الجذع ويشتمله ، وذلك يتناغم مع صيغة التضعيف في الفعل (أصلب) وتأكيد ذلك باللام والنون ؛ ليجسد حالة الغيظ التي تموج بها نفس فرعون وما أثاره الموقف في نفسه من هلع، وكأنه يخشى تقلت هذا الجسد الميت وروغانه من الجذع المصلوب فيه^(٤) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَ ۖ أ ۝ ﴾ [النمل: ٨] .

قيل إن (في) في قوله (من في النار) بمعنى (على)^(٥).

لكن قوله - تعالى - (من في النار) أريد به النبي موسى (عليه السلام) ، فإنه لما حل في موضع النور صار محيطا به فتلك الإحاطة تشبه إحاطة الظرف بالمظروف، فعبّر عنه بـ(من في النار) وهو نفسه، وعدل عن ذكره بضمير الخطاب أو باسمه العلم؛ إيناسا وتلطفاً، وهذا الكلام خبر وهو بشارة للنبي موسى (عليه السلام) ببركة النبوة^(١).

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَأَنْخَلْ يَكْ فِي حَبِّكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتِ إِلَهِ فُوعَنْ ﴾ [النمل: ١٢] .

قيل قوله - تعالى - (في تسع آيات) بمعنى (من تسع آيات)^(٢).

قوله - تعالى - (في تسع آيات) إما أن تكون حال من (تخرج ببيضاء) أي حال كونها آية في تسع آيات مسوقة إلى فرعون ، و (إلى فرعون) صفة للآيات ، وفي هذا إيذان بكلام محذوف إيجازا وهو أمر الله - تعالى - سيدنا موسى (عليه السلام) بأن يذهب إلى فرعون^(٣). أو هي حال من المخاطب وهو سيدنا موسى (عليه السلام) : فهذه الآيات التسع تربط على قلبه

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٢٧ - ١٢٨ .

(٥) ينظر الحروف العاملة / ٤٧٠ .

(١) ينظر التحرير والتنوير / ١٩ / ٢٢٦ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٧ / ٧٦ .

(٣) ينظر التحرير والتنوير / ١٩ / ٢٣٠ - ٢٣١ .

(عليه السلام) وهو ذاهب للقاء فرعون فتصنع حوله سياجا من جند الله - تعالى - ، بما يوفر له الحماية والأمان في مواجهة عدو الله ، فهناك فرق بين أن يكون معه من الأسلحة ما يدافع به وأن يكون محاطا بما يدافع عنه^(٤). وعلى كلا الوجهين السابقين تكون (في للظرفية .

❖ قال - تعالى - : ﴿ يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النمل: ٢٥].

قيل (في) في قوله - تعالى - (في السموات) بمعنى (من)^(٥) .

في حين دل حرف الظرفية على أنه - تعالى - يظهر الشيء المخبوء فيهما كائنا ما كان^(٦) ؛ فحرف الظرفية هنا له دلالة أعمق من حرف الابتداء إذ يدل على قدرته - تعالى - في استخراج المخبوء المغيب في أطوار السموات والأرض ، تلك القدرة التي تستوجب السجود لله تعظيما وإجلالا له - تعالى -^(٧) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ لِيِ أَذَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ [النمل: ٦٦].

قيل إن قوله - تعالى - (في الآخرة) بمعنى بالآخرة^(٨)

بل : للإضراب الانتقالي من الإخبار عن الكافرين بـ (لا يشعرون أيان يبعثون) وهو ارتقاء إلى ما هو أغرب وأشد ارتقاء من التعبير بعدم شعورهم بوقت بعثهم إلى وصف علمهم بالآخرة التي يكون البعث من أول أحوالها بأنه علم متدارك أو مدرك^(٩) .

وقرأ الجمهور (ادارك) ، على أن أصله (تدارك) هو تفاعل من الدرك - بفتحيتين - وهو اللحاق^(١٠) .

فمعنى التدارك هو أن علم بعضهم لحق علم بعض آخر في أمر الآخرة ؛ وذلك صالح لمعنيين : أولهما : بمعنى تداركت علوم الحاضرين مع علوم أسلافهم أي تلاحقت وتتابع ، فتلقى الخلف عن السلف علمهم في الآخرة وتقلدوها عن غير

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٥٦ .

(٥) ينظر البحر المحيط / ٧ / ٩١ - ٩٢ .

(٦) ينظر روح المعاني / ١٩ / ١٩٢ .

(٧) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٥٤ .

(٨) ينظر مشكل إعراب القرآن / ١٥٤ / ٢ .

(٩) ينظر التحرير والتنوير / ١٩ / ٢٩٤ .

(١٠) ينظر لسان العرب / ٣٣٤ / ٤ .

بصيرة ولا نظر ؛ ذلك أنهم أنكروا البعث ، ويشعر بذلك قوله - تعالى - عقبه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّأَبْلَؤًا إِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [النمل: ٦٧-٦٨] وقريب من هذا قوله - تعالى - : ﴿ لِيَقَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨١] (٤) .

الثاني : أن يكون التدارك مستعملا مجازا مرسلا في الاختلاط والاضطراب ؛ لأن التدارك والتلاحق يلزمه التداخل ، أي لم يرسوا على أمر واختلفت أقوالهم اختلافا يؤذن بتناقضها فهم ينفون البعث ثم يزعمون أن الأصنام شفعاؤهم عند الله - تعالى - من العذاب ، وهذا يقتضي اثبات البعث ولكنهم لا يعذبون ثم يتزودون تارة أخرى للآخرة ببعض الأعمال منها : أنهم كانوا يحبسون الراحلة على قبر صاحبها ويتركونها لا تأكل ولا تشرب حتى تموت ويزعمون أن صاحبها يركبها، فذلك من اضطراب أمرهم في الآخرة (٥) .

وفعل المضي على هذين المعنيين على أصله ، والحرف (في) على هذين الوجهين في تفسير قراءة الجمهور مستعمل في الظرفية الدالة على احتواء السبب أو قد يكون (ادراك) من أدرك الشيء : إذا بلغ وقته وانتهى أو فني فيكون معنى الآية: فني علمهم في معرفة الآخرة (١) ، فيكون الحرف (في) على معناه دلّ على احتواء السبب أيضا.

ويجوز وجه آخر وهو أن يكون (ادراك) مبالغة في (أدرك) ومفعوله محذوف تقديره (إدراكهم) ، أي حصل لهم علمهم بوقت بعثهم في اليوم الذي يبعثون فيه ، أي يومئذ يوقنون بالبعث ، فيكون فعل المضي مستعملا في معنى التحقق ، ويكون الحرف (في) على أصله كذلك في الظرفية (٢). فعلى جميع هذه المعاني نجد الحرف (في) لم يغادر معناه في إفادة الظرفية . ولم يكن بمعنى حرف آخر .

❖ قال - تعالى - : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ [القصص: ٧٩]

(٤) ينظر التحرير والتنوير / ٢٩٤/١٩ .

(٥) ينظر التحرير والتنوير / ٢٩٥/١٩ .

(١) ينظر لسان العرب / ٣٣٥/٤ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٧ / ١١٩-١٢٠ ، و التحرير والتنوير / ١٩ / ٤٩٥ .

قيل (في) بمعنى (مع) في قوله - تعالى - (في زينته)^(٣) .

هذه الآية تصف خروج قارون على قومه ، فجملة (فخرج على قومه في زينته) عطف على جملة (وآتيناه من الكنوز) إلى آخره وما عطف عليها وتعلق بها من نصيح المؤمنين من قومه ، فدلّت الفاء على أن خروجه بين قومه في زينته بعد ذلك كله كان من أجل أنه لم يقصر عن شيء من سيرته ولم يتعظ بتلك المواعظ ولازمنا قصيرا ، بل أعقبها بخروجه هذه الخرجة المليئة صلفا وازدهاء؛ للدلالة على رفضه الموعظة بقوله وفعله ، وتعدية (خرج) بالحرف (على) إشارة إلى أنه خرج متعال مترفع ، و (في زينته) حال من ضمير (خرج)^(٤) .

والحرف (في) للظرفية المجازية دل على المبالغة في الزينة التي خرج بها وكأنه كان منغمسا فيها وهو معنى لا يتحقق فيما لو استعملت كلمة المصاحبة بدلا من (في) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ حَلَّتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا طَى وَهْنِ وَفَصَّالَهُ فِي عَمَيْنِ ﴾ [لقمان:

[١٤

قيل الحرف (في) بمعنى (بعد) في قوله - تعالى - (في عامين)^(١)

الفصال : اسم للفظام ، فهو فصل عن الرضاعة ، وذكر الفصال في معرض تعليل أحقية الأم بالبر ، فالإرضاع يعد عبأ آخر يجب أن تتحملة الأم بعد أشهر الحمل ، إذ يستمر لمدة أقصاها عامان من وقت الولادة ، وأشير إلى أنه قد يكون الفطام قبل العامين بحرف الظرفية ؛ لأن الظرف يصدق مع استيعاب المظروف جميع الظرف ، وقد حمّله الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وابن عباس (عليه السلام) على هذا المعنى فأخذ منه أن أقل مدة للحمل ستة أشهر جمعا بين هذه الآية والآية في سورة الأحقاف ﴿لَهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفَصَّالَهُ ثَلَاثُ شُحُرًا﴾ [الأحقاف: ١٥]^(٢) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ فَظَرَّ ظُرَّةً فِي الثُّجُمِ ﴾ [الصافات: ٨٨] .

(٣) ينظر مغني اللبيب / ١ / ٢٢٣ .

(٤) ينظر البحر المحيط / ١٧٢/٧ ، والتحرير والتنوير / ١١١/٢٠ - ١١٢ .

(١) ينظر البرهان / ٤ / ٣٠٣ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير / ٢١ / ١٠٤ - ١٠٥ ، وتفسير القرآن العظيم / ٤ / ١٥٩ - ١٦٠ .

قيل (في) بمعنى (إلى) في قوله - تعالى - (في النجوم)^(٣) .

تعدي فعل النظر بـ (في) يفيد الاستغراق في المنظور وأعمال البصر والبصيرة فيه^(٤) ، فقيل إن النبي إبراهيم (عليه السلام) نظر في السماء متفكرا فيما يليه قومه به ، وقيل إن القول (نظر في النجوم) مما جرى مجرى المثل في التعبير عن التفكير ؛ لأن المتفكر يرفع بصره إلى السماء لئلا يشغل بالمرئيات فيخلو بفكره للتدبر ، فلا يكون المراد أنه نظر في النجوم وهي طالعة ليلا بل المراد أنه نظر إلى السماء التي هي قرار النجوم ، وذكر النجوم جري على المعروف من كلامهم^(٥) ، وقيل إن المراد بالنجوم مصدر نجم بمعنى (ظهر) أي أنه نظر فيما نجم له من رأي أو فيما نجم من كلامهم لما سأله أن يخرج معهم إلى عيدهم^(٦) .

وعلى جميع هذه التأويلات فإن الحرف (في) لم يغادر معناه في إفادة الظرفية؛ للدلالة على الاستغراق.

❖ قال - تعالى - ﴿ جَلَىٰ لَكُمْ مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأُنثَىٰ أَزْوَاجًا يُرَوِّكُم فِيهَا ﴾

[الشورى: ١١]

قيل (في) بمعنى الباء في قوله - تعالى - (يذروكم فيه)^(١) .

الذرة : بث الخلق وتكثيره ، ففيه معنى توالي الطبقات على مر الزمان ، إذ لا منفعة للناس من أزواج الأنعام باعتبارها أزواجا سوى ما يحصل من نسلها ، وضمير الخطاب في قوله (يذروكم) للمخاطبين بقوله : (جعل لكم) وأراد شموله لجعل أزواج من الأنعام المتقدم ذكره ؛ لأن ذكر أزواج الأنعام لم يكن ههنا بل المراد منه زيادة المنة ، فإن ذرة نسل الإنسان نعمة للناس وذرة نسل الأنعام نعمة أخرى للناس ؛ ولذلك اكتفى بذكر الأزواج في جانب الأنعام عن ذكر الذرة ، إذ لا منفعة للناس

(٣) ينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم / ق ١ / ج ٢ / ص ٢٩٠ .

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٤١ .

(٥) ينظر التحرير والتنوير / ٥٦ / ٢٣ .

(٦) ينظر البحر المحيط / ٤٨٦ / ٧ ، والتحرير والتنوير / ٥٦ / ٢٣ .

(١) ينظر معني اللبيب / ١ / ٢٢٤ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير / ١١٤ / ٢٥ .

(٣) ينظر الكشف / ٤٦٢ / ٣ / والبحر المحيط / ٦٧٥ / ٧ / والتحرير والتنوير / ٢٥ / ١١٤ - ١١٥ .

في تزوج الأنعام سوى ما يحصل من نسلها^(٢) ، واستعمل ضمير جماعة العقلاء المخاطبين للتغليب ، والضمير (فيه) عائد إلى الجعل المفهوم من قوله (جعل لكم) أي في الجعل ، وجيء بالمضارع في (يذروكم) لإفادة التجدد، والتجدد أنسب بالامتنان . والحرف (في) أفاد معنى السببية تشبيها للسبب بالظرف في احتوائه على مسيئاته ، كاحتواء المنبع على مائه ، ومثله قوله

- تعالى - ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة: ١٧٩] ^(٣) فجعل هذا التدبير كالمنبع لهذا التكثير .

❁ قال - تعالى - ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَنْتَهِونَ فِيهِ قَلِيلٌ مِّمَّا مَعَهُمْ أَمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [الطور: ٣٨]

قيل : قوله - تعالى - (يسمعون فيه) بمعنى (عليه) ^(٤) .

نفى الله - تعالى - في الآيات التي سبقت هذه الآية أن يكون للمشركين تصرف قوي أو ضعيف في مواهب الله - تعالى - لعباده فأعقبها بهذه الآية التي تنفي أن يكون لهم اطلاع على ما قدره الله - تعالى - لعباده اطلاعا يخولهم إنكار أن يرسل الله - تعالى - بشرا أو يوحي إليه ؛ وذلك لإبطال قولهم ﴿ تقولهُ ﴾ [الطور: ٣٣] ، ومثل ذلك قولهم: ﴿ تَدْرِيصُ بِهِ رَبِّكَ الْمُذُونِ ﴾ [الطور: ٣٠] المقتضي أنهم واثقون بأنهم سيشهدون هلاكه ، وحذف مفعول (يستمعون) ليعم كلاما من شأنه أن يسمع من الأخبار المغيبة بالمستقبل والواقع وغيرهما ، وسلك في نفي علمهم بالغيب طريق التهكم بهم بإنكار أن يكون لهم سلم يرتقون به إلى السماء ليستمعوا ما يجري في العالم العلوي من أمر تتلقاه الملائكة أو أهل الملائكة الأعلى بعضهم مع بعض فيسترقوا بعض العلم مما هو محجوب عن الناس ، إذ المعلوم أنه لا سلم يصل أهل الأرض بالسماء وهم يعلمون ذلك ويعلمه كل أحد ، وعلم من اسم السلم أنه آلة الصعود ، وعلم من ذكر السموات قبل هذه الآية أن المراد سلم يصعدون به إلى السماء ، فلذلك وصف (يستمعون فيه) أي يرتقون به إلى السماء ، و(فيه) ظرف مستقر حال من ضمير (يستمعون) أي وهم كائنون فيه لا يفارقونه إذ لا يفترض أنهم ينزلون منه إلى ساحات السماء^(١) .

(٤) ينظر البحر المحيط / ٨ / ٢١٥ .

(١) ينظر التحرير والتنوير / ٢٧ / ٨٢ - ٨٣ .

وكما أنه لا يوجد مثل هذا السلم فكذلك لو افترض وجوده فكيف يستقر عليه المستمع ويطمئن فيه حتى يسمع كل ما يريده؟ فهذا نفي لقدرتهم على الوصول إلى السماء للاستماع ، ونفي لقدرتهم على الاستقرار حتى يتمكنوا من سماع كلام الملائكة الأعلى لوجود ملائكة موكلة بحفظ السماء كما قال - تعالى - ﴿: إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، لَا يَسْمُوعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقْفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، دُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ، إِلَّا خِفَ الْخُفَّةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ٦-١٠] .

وقيل إن (في) في قوله (يستمعون فيه) للظرفية المجازية اشتهرت حتى ساوت الحقيقة ؛ لأن الراقي في السلم لا يكون كله عليه ، فالسلم له كالظرف للمظروف ، وإن كان في الحقيقة استعلاء ثم شاع في الكلام ، فقالوا : صعد في السلم ، ولم يقولوا صعد على السلم ؛ ولذلك عدت ظرفية حقيقية أي حقيقة عرفية^(٢) وعلى جميع هذه التفسيرات فإن الحرف (في) لم يغادر معنى الظرفية.

❁ قال-تعالى-: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّمْئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَانْطَبِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر: ٢٧-٢٩]

قيل (في) بمعنى (مع) في قوله - تعالى - (في عبادي)^(١) .

الآيات هنا مسوقة لبيان تكريم الله - تعالى - لهذه النفس التي اطمأنت بإيمانها وما قدمته من خير العمل ، وحسبها أن يتقبلها الله - تعالى - راضيا عنها وراضية عنه ، فإذا جاء أمر الله - تعالى - لها بالدخول في عباده المكرمين كان غاية التكريم أن تكون هذه النفس في الصدر من هؤلاء العباد ، يحيطون بها ، ويحتفون بوفادتها، وليست في الحاشية من هؤلاء كما تدل عليه كلمة المصاحبة الموحية باتباعها لهم ولحاقها بهم ، ولعل في تقديم دخولها في هؤلاء العباد على دخولها الجنة مما يؤكد هذا التكريم ، مما يدل على أنهم لم يسبقوا بدخول الجنة ، وكأن السابقين من عباد الله الصالحين في انتظارهم قبل دخولها^(٢) .

حرف (الكاف)

❁ قال - تعالى - : ﴿وَانْكُرُوهُ كَمَا هَآكُم﴾ [البقرة: ١٩٨]

(٢) ينظر التحرير والتنوير / ٢٧ / ٨٣ .

(١) ينظر البرهان / ٤ / ٣٠٢ .

(٢) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٥٤ - ١٥٥ .

قيل (الكاف) في قوله - تعالى - (كما) بمعنى (اللام)^(٣) .

(الكاف) في قوله - تعالى - (كما) لم يغادر معنى التشبيه ، وهي في موضع نصب إما على النعت لمصدر محذوف، وإما على الحال ؛ فالمعنى : أوجدوا الذكر على أحسن أحواله من مماثلته لهداية الله لكم ، إذ هدايته إياكم أحسن ما أسدي إليكم من النعم ، فليكن الذكر من الحضور والديمومة في الغاية حتى تماثل إحسان الهداية^(٤)، ولهذا المعنى قال الزمخشري : " اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة"^(٥)، فحرف الكاف إذن على معناه وليس بمعنى اللام التي تدل على الاختصاص.

❁ قال - تعالى - : ﴿ وَيَكَاَنَّهُ لَا يَفْطَحُ الْكَافِرُونَ ﴾ [القصص: ٨٢]

قيل (الكاف) في قوله - تعالى - : (ويكأنه) بمعنى اللام^(١).

(الكاف) في قوله - تعالى - : (ويكأنه) ليست بمعنى (اللام) ؛ لأنها إما أن تكون حرف خطاب ، لا موضع لها من الإعراب كما يرى الأخفش ، فيكون الوقف على (ويك) ، مثل قول عنتر^(٢).

ولقد شفا نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

و(أن) مفتوحة ، فيكون المعنى (أعجب لأن)^(٣). وقد تكون (ويك) أصلها (ويلك)، فحذفت (اللام) ، و(الكاف) في محل جر بالإضافة ، وهو مذهب الكسائي ويونس فتكون (ويلك) كلمة تحزن ، والمعنى : لأن وقيل (ويكأن) حرف واحد بجملته ، وهو بمعنى (ألم تر) ، فيكون بمعنى ألم تر أنه لا يفتح الكافرون ، وروي عن ابن قتيبة قوله عن بعض أهل العلم أن (ويك) بمعنى (رحمة لك) بلغة حمير^(٤). فإذا كانت هذه التأويلات محتمل فليس هنالك داع إلى تجاوزها وجعل الكاف بمعنى اللام التي معناها الاختصاص مما يغير المعنى المراد من الآية .

(٣) ينظر التناوب في حروف الجر / ١١٢

(٤) ينظر البحر المحيط / ٢ / ١٦٠-١٦١ .

(٥) الكشف / ١ / ٢٧٤ .

(١) ينظر التناوب في حروف الجر / ١١٢ .

(٢) ينظر ديوان عنتر / ٢١٩ .

(٣) ينظر معاني القرآن / الأخفش / ٢ / ١٦٩-١٧٠ .

(٤) ينظر البحر المحيط / ٧ / ١٧٣ .

حرف (اللام)

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَأَنْ تَعْبُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى ﴾ [البقرة: ٢٣٧]

قيل إن اللام في قوله - تعالى - (للتقوى) بمعنى (إلى)^(٥).

إن القول بأن (للتقوى) بمعنى (إلى التقوى) غير صحيح؛ لأن " للتقوى متعلق بأقرب ، ويجوز في غير القرآن أقرب من التقوى وأقرب إلى التقوى ، غير أن اللام هنا تدل على معنى غير معنى (إلى) وغير معنى (من) ، فمعنى (اللام) العفو أقرب من أجل التقوى ، فاللام تدل على علة قرب العفو ، وإذا قلت أقرب إلى التقوى كان المعنى مقارب التقوى كما تقول : أنت أقرب إليّ ، وأقرب من التقوى يقتضي أن يكون العفو والتقوى قريبين ولكن العفو أشد قربا من التقوى وليس معنى الآية على هذا بل على معنى اللام"^(٦).

❖ قال - تعالى - : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [آل عمران: ٢٥]

قيل إن (اللام) في قوله - تعالى - (اليوم) بمعنى (في)^(٧).

(اللام) في قوله - تعالى - (اليوم) لا يمكن أن تكون بمعنى (في) ، ولبيان الفرق بين المعنيين نقول : لو أن رجلا أخرج مالا كان قد جمعه قبل أن تصيبه حاجة وعند إخراجها لهذا المال ، قال : جمعت المال لهذا اليوم يريد يوم الحاجة أو وقتها، فهناك فرق بين قوله هذا وبينه لو قال جمعت المال في هذا اليوم ؛ لأن القول الأول يبين علة الجمع التي اختص بها هذا اليوم ، أما القول الثاني فيبين زمان الجمع ووقت حدوثه . وشتان بين المعنيين . فكذلك الأمر في قوله - تعالى - (ليوم لا ريب فيه) . فلو حل حرف الظرفية محل اللام لدل على ميعاد الجمع وزمانه ، فيؤكد بذلك حقيقة البعث وقيام الساعة . أما اللام فإنها تدل على هذا المعنى وتزيد عليه التلويح بالحساب والجزاء بما تكشف عنه من غرض الجمع^(٨). فيكون المعنى فكيف إذا جمعناهم لما يحدث في يوم لا ريب فيه ، ولما يكون في ذلك اليوم من فصل الله القضاء بين خلقه ماذا لهم حينئذ من العقاب وأليم العذاب^(٩)؛ لتشيع الرعب والفرع بنفوس الكافرين والمجرمين وتجسد أمام أعينهم أشباح الخوف من المستقبل الذي

(٥) ينظر جامع البيان عن تأويل أي القرآن / ٢ / ٥٥٢ .

(٦) التبيان في إعراب القرآن / ١ / ١٩٠ .

(٧) ينظر معاني القرآن / الفراء / ١ / ٢٠٢ .

(٨) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٥٠ .

(٩) ينظر جامع البيان / ٣ / ٢٢٠ .

ينتظرهم^(٤)؛ فكيف سيكون حالهم؟ وهو استعظام لما أعد لهم وتهويل له لأنهم سيقعون في مأزق عظيم لا حيلة لهم على دفعه و لا خلاص لهم منه^(٥).

❖ قال - تعالى -: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ ﴾ [آل عمران: ١٩٣]

قيل إن (اللام) في قوله - تعالى - (للإيمان) بمعنى (إلى)^(٦).

قوله - تعالى - (إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ) معناه داعيا يدعو له، وجمع - - تعالى - بين قوله (مناديا) و (ينادي) ؛ لأن ذكر الأول، مطلق فقيد الثاني تفخيما لشأن المنادي ؛ لأنه لا منادي أعظم من مناد ينادي للإيمان ؛ وذلك أن المنادي يطلق على مناد للحرب ، أو لإطفاء الثائرة ، أو لإغاثة المكروب ، أو لكفاية بعض النوازل ، أو لبعض المنافع ، وإذا قلت ينادي للإيمان فقد رفعت من شأن المنادي وفخمته ، فد(اللام) متعلقة ب(ينادي) و(اللام) للاختصاص أي لأجل الإيمان^(١). فحينما عدي فعل النداء ب(اللام) أفاد ذلك تخصيص النداء والدعوة له، لإظهار الاهتمام به ووفرة الرغبة في تحقيقه والسعي لأجله ، في حين نجد أن تعدي هذا الفعل ب(إلى) يكون الغرض منه حث المنادى على القصد إلى الشيء والانتهاء إليه فحسب^(٢) .

❖ قال - تعالى -: ﴿ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ [النساء: ١٠٥]

قيل إن اللام بمعنى (عن) في قوله - تعالى - : (للخائنين)^(٣).

(اللام) في قوله (للخائنين) للاختصاص ، ومفعول (خصيما) محذوف دل عليه ذكر مقابله ، وهو (للخائنين) أي لا تكن خصم من يخاصم الخائنين^(٤).

فقولنا (لا تكن عن الخائنين خصيما) هو نهى عن الخصام والدفاع عن الخائنين. أما (لا تكن للخائنين خصيما) فهو نهى عن خصام معين وهو الذي يكون لأجل الخائنين اهتمام بصفقتهم هذه ولفتا للأنظار إليها . فحرف اللام إذن أريد به الاختصاص هنا وليس معنى المجاوزة .

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٥) ينظر الكشف / ١ / ٤٢١ ، والبحر المحيط / ٢ / ٦٦٧ .

(٦) ينظر البحر المحيط / ٣ / ١٩٨ .

(١) ينظر البحر المحيط / ٣ / ١٩٧ - ١٩٨ .

(٢) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٣٥ .

(٣) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ١ / ٣٨٧ .

(٤) ينظر البحر المحيط / ٣ / ٤٨٦ - ٤٨٨ ، والتحرير والتنوير / ٤ / ٢٤٨ .

❖ قال - تعالى - : ﴿وَلَوْ رُئُوا لَعَلُّوا لِمَا ذُهِبَ وَاعْتَمِدُوا﴾ [الأنعام: ٢٨]

قيل إن (اللام) في قوله - تعالى - (لما نهوا عنه) بمعنى (إلى)^(٥).

(اللام) في قوله - تعالى - : (لما نهوا عنه) للاختصاص .

فحينما يرى الكافرون ما أعد لهم من العذاب والأهوال والأمور العظام يتمنون حينئذ الرجوع إلى الحياة الدنيا للإيمان بالله - تعالى - فيقولون: ﴿يَا لَيْتَنَا ذُرُّدْ وَلَا ذُكِّبْ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ٢٧] .

فيبين الله - تعالى - بأن هؤلاء الكفار لو ردوا إلى الحياة الدنيا مرة أخرى لعادوا لما نهوا عنه ولكذبوا بالله واليوم الآخر وقالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]^(٦). فلو حلت (إلى) محل (اللام) لدلت على انتهائهم في الرجوع والعودة إلى ما نهوا عنه ، أما اللام فإنها زادت على هذا المعنى الدلالة على تخصيص العودة للذي نهوا عنه مبالغة في تفنيد تصوراتهم ؛ بمعنى أنهم لو عادوا فلن يتغير من إيمانهم شيء ولن يزيد ولو بقدر قليل ، ولن يرجعوا إلا لذلك الذي كانوا عليه .

❖ قال - تعالى - : ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهِ جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٨] . قيل إن اللام في قوله - تعالى - (لأولاهم) بمعنى (عن)^(٧).

(اللام) في قوله - تعالى - (لأولاهم) لم تغادر معنى الاختصاص ، إذ دخلت على من خص بالخطاب وهو (أولاهم) ؛ لأن الآية تحكي الحوار الذي دار بين الضالين والمضلين في النار ، فليس قول الضالين خطابا لله - تعالى - حتى تكون (اللام) بمعنى (عن)^(٨) ، وإنما هو حوار دار بين الضالين والمضلين ؛ بدليل رد الفريق الآخر عليهم كما حكاها الله - تعالى - : ﴿وَقَالَتْ أُولَاهُم لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٣٩]. إذ جاء بصيغة الخطاب للضالين، ولو كان قول الأولى موجها إلى الله - تعالى - ل جاء رد المضلين : فما كان لهم علينا من فضل ، وسر عدول الضالين عن الخطاب إلى الغيبة في قولهم : (ربنا هؤلاء أضلونا) من دون أن

(٥) ينظر مغني اللبيب / ١ / ٢٨٠ .

(٦) ينظر تفسير القرآن العظيم / ٢ / ١٢١-١٢٢ .

(٧) ينظر مغني اللبيب / ١ / ٢٨٢ .

(٨) ينظر البحر المحيط / ٤ / ٣٨٣ .

يقولوا: (أنتم أضللتمونا)، وذلك للتعبير عن مرارة الحقد عليهم؛ مما جعلهم يصرخون بهذا الدعاء متمنين مضاعفة العذاب لهم انتقاماً منهم، كما يتضمن ذلك نوعاً من الاعتذار إلى الله - تعالى - عن ضلالتهم وكفرهم ، ومن ثم كان تجاهلهم لهم لبيان عدم امتلاك المضلين لأي حجة يردون بها عليهم ، فليس لهم إلا التسليم بجريمة غوايتهم إلى جانب ما يوحي به من اشمئزاز وكراهية لخطابهم فهم الموتورون المضلون ، وعدولهم عن خطابهم هو عدول صاحب الحجة الواثق من أن خصمه عاجز عن إيجاد مسوغ لسلوكه وجريمته ، وكأنه يقول للحاضرين : اسألوه إن كان يستطيع أن يجيب ، والدليل على ذلك : أن رد الأولى جاء موجهاً إليهم بالخطاب نافياً ذلك الفضل عليهم بكونهم تابعين لا متبوعين بقولهم ﴿ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنا مِنْ فَضْلٍ ﴾ [الأعراف: ٣٩] (٣).

❁ قال - تعالى - : ﴿ قَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَـانَا اللّٰهُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] .

قيل : اللام في قوله - تعالى - (لهذا) بمعنى (إلى هذا) (١).

اللام في قوله - تعالى - (لهذا) للاختصاص . فمتى عدي فعل الهداية باللام أريد به التخصيص بالشئ المطلوب ، فأتى باللام الدالة على الاختصاص والتعيين ؛ لأنك حين تقول : هديته لكذا ، فهم معنى ذكرته له وجعلته له وهياًته ، ونحو ذلك (٢).

فتوحي اللام في هذه الآية بتوفيق الله - تعالى - للمؤمنين وتهيئة نفوسهم وقلوبهم للإيمان والعمل الصالح واختصاصهم بهذا الطريق من دون سواه من سبل الشر والغواية (٣)؛ مما يجعلهم يحمدون الله - تعالى - حينما يرون نعيم الجنة الحاضر أمامهم، فيقولون (الحمد لله الذي هدانا لهذا) أي وفقنا لهذا وجعله أهلاً (٤).

أما تعدي الفعل (هدى) بـ(إلى) فإنه يدل على الإرشاد وإيصال المهدي إلى الغاية المنشودة ، كقوله - تعالى - ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٥٣-٢٥٤ .

(١) ينظر تأويل مشكل القرآن / ٥٧٢ .

(٢) ينظر بدائع الفوائد / ٢/ ٢٥٣ .

(٣) من أسرار حروف الجر / ٢٢٤ .

(٤) ينظر تفسير القرآن العظيم / ٢٧/١ .

[الشورى: ٥٢]. ؛ إذ تدل الآية على الإرشاد إلى طريق الحق والخير^(٥) ، وهو غير ما عبرت عنه (اللام) كما بينا .

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا مِّنْ بَيْنِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سَقَاهُ لِبَدًا مَّيِّتًا فَاتَّوَلَّنا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٧].

قيل إن (اللام) في قوله - تعالى - : (البلد) بمعنى (إلى)^(٦).

(اللام) في قوله - تعالى - (البلد) للاختصاص أي لأجل بلد ميت^(٧)؛ لأنها جاءت

في سياق يستدعي هذه اللام ، فالسياق هو :

﴿ اذْهَبْ وَأَنْذِرْ قَوْمَكَ يَوْمَ هُمْ لَا يَحِيبُ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تَفْسُقُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِطْلَاحِهَا وَانْهَوْهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا مِّنْ بَيْنِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سَقَاهُ لِبَدًا مَّيِّتًا فَاتَّوَلَّنا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٧].

فدلت اللام على إرسال الله - تعالى - الرياح لتسقي قوما ؛ استجابة لدعائهم وصلاحهم بين يدي رحمته ، وكأن المعنى : إني أمسك الرياح والماء عن أشاء ، فأهلكهم بمعاصيهم ، وأرسالها رحمة بالصالحين الضارعين من عبادي. والدليل على ذلك قوله: (بشرا بين يدي رحمته)، (فأنزلنا به الماء)، (فأخرجنا به من كل الثمرات) التي تدل على فيوضات الرحمة والرضا ، في حين نجد أن الفعل (سقناه) قد تعدى بـ(إلى) في موضع آخر في القرآن الكريم ، وهو قوله - تعالى - : ﴿اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقَاهُ إِلَىٰ بَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴾ [فاطر: ٩] ؛ لأنها جاءت في سياق يلتهب بالتهديد والوعيد للكافرين والضالين من منكري البعث ، وكأنما جاءت لأثبات قدرة الله - تعالى - ، على إحياء خلقه ووصول يد القدرة الإلهية إلى كل ميت يظن استحالة جمع أشلائه وبعث الحياة فيه

(٥) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٢٣-٢٢٤ .

(٦) ينظر الجنى الداني / ١٤٥ .

(٧) ينظر الكشف / ٢ / ٨٤ .

كما تصل الرياح الحاملة للسحاب بإذن الله، فتنزل ماءها في أي مكان من أرض الله تشاء حكمته أن يحييها بعد طول موات ، فجاءت (إلى) مشيرة إلى نهاية رحلة الحياة ونهاية موت الأرض ؛ لتبدأ ببعثها حياة أخرى كما يحدث للإنسان حين يحييه الله - تعالى - بعد طول رقاد في الوقت الذي يأذن الله فيه بنهاية الدنيا^(١). فالسياق الذي جاءت به هو : ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَنْهُمْ حِسَابًا إِنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقَاهُ إِلَى بَدِيدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا أَكَلَاكَ النَّشُورُ﴾ [فاطر: ٨-٩].

❖ قال - تعالى - : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ نَكَبًا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قيل إن اللام في قوله - تعالى - (للجبل) بمعنى الباء^(١).
التجلي : الظهور ، ونسبة الظهور إليه - تعالى - على ما يليق به من غير انتقال ولا وصف يدل على الجسمية^(٢)، وقيل إن الرسول (ﷺ) حينما قرأ قوله - تعالى - : (فلما تجلّى ربه للجبل) ، وضع إبهامه قريبا من طرف خنصره يقلل مقدار التجلي^(٣).

فاللام في هذه الآية للاختصاص ، أي أن التجلي والظهور وإن كان بمقدار قليل كان خاصا بالجبل فحسب ؛ لئلا يفهم من ذلك أن الله - تعالى - تجلّى لسيدنا موسى (عليه السلام) ، ولم يكن خرورج سيدنا موسى (عليه السلام) صعقا إلا من رؤية الجبل الذي دك بسبب هذا التجلي.

❖ قال - تعالى - ﴿جُطِّيهِ إِلَى وَقْعٍ آثَرِهِ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٣١-٢٣٢.

(١) ينظر الحروف العاملة / ٢٣٠ .

(٢) ينظر البحر المحيط/٤/٤٨٥-٤٨٦ .

(٣) ينظر تفسير القرآن العظيم / ٢/ ٢٣٤ ، جاء في المستدرك على الصحيحين في الحديث / ٢/ ٣٢٠ ؛ " عن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) في قوله - عز وجل - (فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا) قال حماد هكذا ووضع الإبهام على مفصل الخنصر الأيمن ."

قيل : أن اللام بمعنى (في) في قوله - تعالى - (لوقتها)^(٤).

التجلية هو الكشف والمراد بها ما يشمل الكشف بالإخبار والتعيين والكشف بالإيقاع، وكلاهما منفي الإسناد لغير الله - تعالى - ، فهو الذي يعلم وقت الساعة وهو الذي يظهرها ، فإذا أظهرها فقد أجلاها^(٥)، فمعنى اللام يناسب أحد معنيي الإجلاء وهو الإظهار ؛ لأنه إذا حصلت فقد تم كشف أمرها وتحقق الناس أن القادر على إجلائها كان عالما بوقت حلولها ، وجملة (لا يجليها لوقتها إلا هو) تأكيد وتقرير لما سبقه وهو قوله - تعالى - : (إنما علمها عند ربي) وقدم الجار والمجرور (لوقتها) على فاعل (يجليها) للاهتمام به وتنبيهها على أن تجلية أمرها تكون لوقت حلولها؛ لأنها لا تأتي إلا بغتة^(٦) . فاللام إذن لم تغادر معنى الاختصاص ؛ فهناك فرق بين قولك: آتيك للساعة السابعة ، وآتيك في الساعة السابعة ، فالأولى تقتضي الإتيان عند الساعة السابعة تماما أما الثانية فإنها لا تقتضي ذلك بل تشمل أيضا ما يقارب ذلك الوقت ؛ لذا استعمل حرف الاختصاص ولم يستعمل حرف الظرفية في هذه الآية.

❁ قال - تعالى - : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

قيل : اللام في قوله - تعالى - (له) بمعنى (إلى)^(١).

الفعل (استمع) على صيغة (افتعل) من سمع ، والمراد بذلك تطلب الفعل والمبالغة في ذلك بما يتحقق فيه الإصغاء والتدبر .

واللام في قوله - تعالى - (له) للاختصاص ، ويتتبع ما ورد من مادة (سمع) معدى باللام في القرآن الكريم نجدها تدل على إثارة المسموع بالقبول واختصاصه بالاستجابة والانقياد له ، وهو ما تكتسبه من معنى الاختصاص في اللام كما قوله - تعالى - في وصف المنافقين بالانقياد والتبعية: ﴿سَمَاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾

(٤) ينظر الحروف العاملة / ٢٦٩ .

(٥) ينظر التحرير والتنوير / ٣٧٦ / ٨ .

(٦) ينظر التحرير والتنوير / ٨ / ٣٧٧ .

(١) ينظر التبيان في إعراب القرآن / ٦٠٩ / ١ .

[المائدة: ٤١]. وقوله في وصف ضعف الإيمان الذين يستجيبون لفتنة المنافقين

ويتأثرون بها: ﴿ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٤٧]

أما الإنصات ، فهو الاستماع مع ترك الكلام^(٢).

والاستماع والإنصات الأمران بهما في هذه الآية هما المؤديان بالسامع إلى النظر والاستدلال والاهتداء بما يحتوي عليه القرآن من الدلالة على صدق الرسول (ﷺ) المفضي إلى الإيمان بالله - تعالى - والعمل بما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

في حين نجد أن تعدي هذه المادة بـ(إلى) في القرآن جيء في المواضع التي تدل على وصول المسموع إلى الأذن ، وانتهاء الكلام إليها من دون الاستجابة له أو العمل بمقتضاه كقوله - تعالى - : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَدْمَعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرُجُوا مِنْ

عَنْكَ قَالُوا لَلَّيْنِ أَوْتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ﴾ [محمد: ١٦] ^(٣) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ فَذَرِكُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قيل إن اللام بمعنى (إلى) في قوله - تعالى - (لما يحييكم)^(١).

(اللام) في قوله (لما يحييكم) أي دعاكم لأجل ما هو سبب حياتكم الروحية، فالإحياء هنا مستعار لما يشبه إحياء الميت، وهو إعطاء الإنسان ما به كماله من إنارة العقول بالاعتقاد الصحيح والخلق الكريم، والتوجه نحو الأعمال الصالحة وغير ذلك من خلال الشريعة، ولما كان دعاء النبي (ﷺ) لا يخلو من إفادة شيء من معاني هذه الحياة أمر الله - تعالى - الأمة بالاستجابة له، وليس المقصود من قوله (لما يحييكم) تقييد الدعوة ببعض الأحوال بل هو قيد كاشف، فإن الرسول (ﷺ) لا يدعوهم إلا وفي حضورهم لديه حياة لهم^(٢).

فأفاد تعدي فعل الدعوة بـ(اللام) الاهتمام بالمدعو لأجله والرغبة فيه، في حين لو تعدى فعل الدعوة بـ(إلى) ، لأفاد مجرد الحث إلى قصد الشيء والانتفاء إليه^(٣).

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٤١٠/٨ - ٤١١ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر ٢٢٩ - ٢٣٠ .

(١) ينظر البحر المحيط ٦٠٩/٤ .

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٦٧/٧ - ٦٨ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر ٢٣٥ .

❖ قال - تعالى - : ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥] .

قيل اللام بمعنى (على) في قوله - تعالى - (لهم اللعنة) ^(٤).

اللام في قوله - تعالى - (لهم) للاختصاص أوحى بثبوت اللعنة واستحقاقهم لها بسبب تلك الصفات التي ذكرتها الآية وهو قوله - تعالى - : ﴿وَالَّذِينَ يَقْضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِنُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: ٢٥]، فجعلتهم مقابل الفريق الآخر الذي ثبتت له الرحمة والجنة فيما حكاه - تعالى - بقوله : ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَدْعُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]. أما استعمال حرف الاستعلاء في سورة آل عمران في قوله - تعالى - : ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاءُهم أَنْ عَظِمَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [آل عمران: ٨٧]، فذلك لتصوير هيئة انصباب اللعنة عليهم حتى غطتهم وعلت عليهم ؛ لشدة غضب الله - تعالى - النازل بهم ^(١)، وهو غير المعنى المراد من الآية في سورة الرعد.

❖ قال - تعالى - : ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أُحْسَنْتُمْ وَأَنْفُسُكُمْ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا آيَاتٌ﴾ [الإسراء: ٧]

قيل اللام بمعنى (على) في قوله - تعالى - (فلها) ^(٢).

في نظم الآية ما يستدعي (اللام) في قوله - تعالى - (وإن أسأتم فلها) إذ قصت الآيات التي سبقتها ما قضاه الله - تعالى - على بني إسرائيل من الإفساد في الأرض مرتين، وكيف عاقبهم الله - تعالى - على إفسادهم للمرة الأولى وحذرهم مغبة العودة إلى الإفساد للمرة الثانية ، وما يترتب عليه من عقاب يستحقونه جزاء ما عملوا ، وحتى لا يتوهم بنو إسرائيل لكثرة ما أنعم الله - تعالى - به عليهم وفضلهم على غيرهم أن الله - تعالى - في طاعتهم حاجة ، وأنهم كما يدعون أبناء الله وأحبائهم ، فجاءت (اللام) لتدل على أن إحسانهم وإساءتهم لأنفسهم لا ينتفع بأعمالهم ولا يضر بها غيرهم ، فهي على معناها في الاختصاص وليست بمعنى (على) ^(٣).

(٤) ينظر البحر المحيط / ١٢٨/٢ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٣٩-٢٤٠ .

(٢) ينظر البرهان / ٣٤١/٤ .

(٣) ينظر الكشف / ٤٣٩/٢ ، ومن أسرار حروف الجر / ٢٤٠-٢٤١ .

أما قوله - تعالى - : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾ [فصلت: ٤٦]. فالآية هنا في موضع تبين فيه أن فائدة الإحسان ونفعه مقصورة على المحسن ، لا تتجاوز إلى غيره ، أما الإساءة فإن عاقبتها السيئة ومضرتها ستكون عليه ، فاستعمل الحرف (على) في قوله : (من أساء فعليها) لتوحي ما يجنيه المسيء على نفسه بتعريضها لعذاب الله ، وتحميلها من الأوزار مالا تنهض بحمله ، كما توحي بضعف نفس المسيء ، وعجزه عن مغالبة أهوائه وانفعالاته وشهواته ، فهو يعلم أن هذه الأفعال السيئة مضرّة له ، ولكنه لا يستطيع دفعها عن نفسه ، فهي نفس ذليلة تستعبد لها الآثام وتسوقها الأهواء والانفعالات كيف تشاء ثم تحملها عواقب ذلك كله ومضرته^(٤).

❁ قال - تعالى - : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ﴾ [الإسراء: ٧٨].

قيل اللام بمعنى (بعد) في قوله - تعالى - (الدلوك)^(١).

(اللام) في قوله - تعالى - (الدلوك الشمس) للاختصاص .

والدلوك: من أحوال الشمس ، فورد بمعنى زوال الشمس عن وسط قوس فرضي في طريق مسيرها اليومي وهو وقت صلاة الظهر ، وورد بمعنى ميل الشمس عن مقدار ثلاثة أرباع القوس وهو وقت العصر ، وورد بمعنى غروبها، فصار لفظ الدلوك مشتركا في المعاني الثلاثة .

والغسق : الظلمة ، وهي انقطاع بقايا شعاع الشمس حين يماثل سواد أفق الغروب سواد بقية الأفق ، وهو وقت غيبوبة الشفق ، وذلك وقت العشاء ، ويسمى بالعتمة أي الظلمة^(٢).

وقد جمعت الآية أوقاتا أربعة ، فالدلوك يجمع ثلاثة أوقات باستعمال المشترك في معانيه ، وفهم من الحرف (إلى) الذي للانتهاء أن في تلك الأوقات صلوات ؛ وليس المراد غاية لصلاة واحدة جعل وقتها متسعا ؛ لأن هذا فهم ينبو عنه ما تدل عليه

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ٩٣ .

(١) ينظر البحر المحيط / ٨٦/٦ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٨٣-٨٨ ، والتحرير والتنوير / ١٤٤/١٤٥-١٤٥ .

اللام في قوله - تعالى - : (لدلوك الشمس) من وجوب إقامة الصلاة عند الوقت المذكور لأنه الواجب أو الأكمل ، وقد زاد عمل النبي (ﷺ) بيانا للآية ، أما مقدار الاتساع فيعرف من أدلة أخرى ، وفيه خلاف بين الفقهاء . وجعل الغسق نهاية للأوقات فعلم أن المراد أول الغسق ، كما هو شأن المتعارف في الغاية بحرف (إلى) ، فعلم أن ابتداء الغسق وقت الصلاة ، ثم عطف (قرآن الفجر) على الصلاة ، والتقدير : وأقم قرآن الفجر أي الصلاة به ، وكذا قدر القراء وجمهور المفسرين ليعلم أن لكل صلاة من تلك الصلوات قرآنا كقوله - تعالى - : ﴿ فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ [المزمل: ٢٠] . أي صلوا به نافلة الليل^(٣).

فاللام إذن في قوله (لدلوك الشمس) أريد بها تخصيص أوقات الصلاة اهتماما بها وتحديدًا لها ، ولم تكن بمعنى (بعد) التي تكون كما قلنا لما تأخر زمنه بأزمة كثيرة أو زمن واحد .

❖ قال - تعالى - : ﴿ يَخْرُونَ لِلْأَنْفَاقِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧] .

قيل إن اللام بمعنى (على) في قوله - تعالى - (للأنفان)^(١).

الخرور: السقوط ، والأنفان : جمع ذقن هو مجمع اللحيين ، وذكر الذقن دون الجبين والأنف : لأنه يخالفهما في الارتفاع عن الأرض أثناء السجود ؛ وذلك للدلالة على تمكينهم الوجوه كلها من الأرض من قوة الرغبة في السجود لما فيه من استحضار الخضوع لله - تعالى - ، و (اللام) في قوله (للأنفان) للاختصاص ، والمراد بذلك جعلوا أنفانهم للخرور^(٢).

والفرق بين قوله - عز وجل - : (للأنفان) وبين قولنا (على الأنفان) أن الساقط على وجهه والخار على ذقنه اضطرارا لا يفرق بين عضو يقدمه أو يؤخره ولا اختيار له في كيفية استقبال الأرض فهو ينكب عليها بلا وعي ، بخلاف الساجد لله شكرا وتعبدا ، فإن له وفور رغبة وإقبال نفس ، وهو سجود يشرف الأعضاء ويعتقها من نار جهنم ؛ لأنه يجلب لها نفعا وخيرا ، أما الخار على وجهه عن سقوط أو غثيان

(٣) ينظر التحرير والتنوير / ١٤٤-١٤٥ .

(١) ينظر معني اللبيب / ٢٨٠/١ .

(٢) ينظر الكشف / ٤٧٠/٢ ، والبحر المحيط / ١١٢-١١٣ ، والتحرير والتنوير / ١٨٣/١٤ .

فإنما يلحق الضرر بالعضو الساقط عليه ويؤدي به ؛ لذا عدل النظم إلى حرف الاستعلاء حين قصد إلى التردى والسقوط الأعمى والانكباب على الشيء بلا وعي فيما نفاه -- تعالى -- عن عباد الرحمن بقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا تُكْرِوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعَيْنًا ﴾ [الفرقان: ٧٣] (٣).

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: ١٤].

قيل : اللام بمعنى (عند) في قوله - تعالى - (لذكرى) (٤).

اللام في قوله - تعالى - (لذكرى) للاختصاص ، أفادت تخصيص السبب ؛ لأن المعنى : أقم الصلاة لأجل أن تذكرني ؛ لأن الصلاة تذكر العبد بخالقه إذ يستشعر أنه واقف بين يدي ربه لمناجاته ، ففي هذا الكلام إيماء إلى حكمة مشروعية الصلاة ؛ لأن الصلاة كما قال - تعالى - : ﴿ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. ويجوز أن تكون (اللام) أيضا لتخصيص الوقت ، أي أقم الصلاة للوقت الذي جعلته لذكرى ، وفي ذلك إيماء إلى ما في أوقات الصلاة من الحكمة (١) . وعلى كلا التأويلين فإن اللام لم تغادر معناها.

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِطَاطِ لَهُمُ الْقِيَامَةَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

قيل (اللام) بمعنى (في) في قوله - تعالى - (ليوم القيامة) (٢).

هنالك فرق بين قوله - تعالى - : (ليوم القيامة) وبين قولنا : (في يوم القيامة) فقولنا : (في يوم القيامة) تبين أن وقت وزمان وضع الموازين العادلة سيكون في يوم القيامة ، أي في ذلك الوقت .

أما اللام فإنها تعطي اختصاص هذا اليوم بإقامة ميزان العدل الإلهي لتوحي بأن انتقام الله - تعالى - قد يتأخر ، وأن أخذ الظالمين بسيف عدله قد يدخر استدراجا لهم وكأنه - تعالى - قد أعد موازينه وادخرها لهذا اليوم (٣).

❖ قال - تعالى - : ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ النَّمَاذِيلُ الَّتِي أَتُمُّ لَهَا آعَافُونَ ﴾ [الأنبياء: ٥٢].

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر ٢٤٤/ .

(٤) ينظر التبيان في إعراب القرآن ٨٨٧/١ .

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٠٥/١٦ .

(٢) ينظر البحر المحيط ٣٨٩/٦ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر ٢٥٠/ ، ومعاني النحو ٦٥/٣ .

قيل إن اللام) بمعنى (على) في قوله - تعالى - (لها)^(٤).

تعدى الفعل (عكف) في هذه الآية باللام ؛ وذلك للدلالة على أن قوم إبراهيم (عليه السلام) لم يكتفوا بعبادة هذه الأصنام وإنما تحلقوا حولها للدفاع عنها ومقاومة من يخرج عن عبادتها ، واخلصوا أنفسهم لحرب من يعاديه ويتناول عليها والترصد لمن يسيء إليها، وذلك يأتلف مع وجود اللام في قوله بعدها : ﴿قَالُوا وَجئْنَا أَبَلاً لَهَا ۖ عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣]. مع أن عابدين مما يتعدى بنفسه مما يدل على وفور رغبتهم في عبادتها والثبات لمن يحاول النيل منها. أما قوله - تعالى - : ﴿يَعْبُدُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهَا ۖ ثُمَّ﴾ [الأعراف: ١٣٨]. فقد تعدى الفعل (عكف) بـ(على)؛ لأنه أريد وصف هؤلاء القوم بانكبابهم على عبادتها ولزومهم لها من دون قصد إلى ما أوحى به (اللام) في الآية السابقة^(٥).

❁ قال - تعالى - : ﴿وَأَيُّ لَهَا ۖ مِ اللَّيْلِ نَنفُخُ مِنْهُ ۖ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ ۚ وَالشَّمْسُ تَرْجِلُ مَدَقَّرَ لَهَا ۖ ۚ ذَلِكَ تَقِيرُ الْغُيُورِ الْعُطِيمِ ۚ وَالْقَمَرُ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُجُونِ الْقَدِيمِ ۚ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا ۖ أَنْ تَتْرَكَ الْقَمَرُ وَلَا اللَّيْلُ سَلْبِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

قيل إن اللام في قوله - تعالى - (لأجل) بمعنى (إلى)^(١).

اللام في قوله - تعالى - (لأجل مسمى) للاختصاص أي لبلوغ ذلك الأجل المخصص^(٢)، فبتأمل سياق الآيات نجدها تتحدث على آيات الله في كونه وترسم صورة حية للحركة الدقيقة المنتظمة لليل والنهار والشمس والقمر . من دون أن يخل هذا النظام بعدوان أي منهما على الآخر ، وكأن الله - تعالى - قد أودع في هذه الأجرام المتحركة من الإلهام ما تدرك به غاياتها ، وتسعى لتحقيق اهدافها ، وهو ما تعبر عنه (اللام) خير تعبير^(٣).

فإذا كان جري الشمس قد فسر قديما على ما يشاهد من الحركة اليومية لدوران الأرض حول محورها أمام الشمس مما ينتج عنه اختلاف الليل والنهار والحركة السنوية لدوران الأرض حول الشمس وما ينتج عنها من اختلاف المشرق والمغرب

(٤) ينظر البحر المحيط / ٦/ ٣٩٢ .

(٥) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٣٨ .

(١) ينظر البرهان / ٤/ ٣٤٠ .

(٢) ينظر الكشف / ٣/ ٢٣٧ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢١٩ .

، فإن العلم الحديث قد أثبت للشمس حركة حقيقية بسرعة مخصوصة تقدر بنحو (اثني عشر ميلا في الثانية) في اتجاه مخصوص في فضاء الله وهو الجهة التي فيها النجم المسمى (فيفا) ، ومستقرها لا يزال أمرا من أمور الغيب ، وذلك إعجاز علمي جاء به القرآن قبل أن يثبت علم الفلك الحديث^(٤) ، فتعدية الفعل باللام تنبئ عن غرض خاص رسمه الله - تعالى - للشمس وهي تجري باحثة عنه في حركة منتظمة لا تقتر ولا تمل ، ويتناغم مع هذه اللام أختها في قوله (لها) إذ لم يقل لمستقرها ، تأكيدا لخصوصية هذه الحركة وتفردا وإيماء إلى دأبها في السعي من أجله ، وأين هذا من حرف الانتهاء المنبئ عن توقف حركتها ببلوغها هذا المستقر ، إن ذلك يلائم الحديث عن الآخرة حين يراد تصوير نهاية الكون وبدء عالم آخر يتغير فيه نظام هذا الخلق ولا يلائم الحديث عن تصوير حركة الحياة في كون الله^(١)؛ لذلك جاء الفعل (يجري) تعبيرا عن حركة الشمس والقمر في أربعة مواضع من مشنبيه النظم سوى هذا الموضع ، عدي في ثلاثة منها باللام وفي موضع واحد بـ(إلى) ، فالمواضع الثلاثة التي عدي فيها باللام هي مواطن الاستدلال على قدرة الله - تعالى - وتوجيه النظر والفكر إلى آياته ومنها جريان الشمس والقمر لتحقيق غاية رسمها الله - تعالى - لكل منهما ، من دون القصد إلى انتهاء حركتهما ببلوغ تلك الغاية ، وهي قوله - تعالى - **اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَدَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى** [الرعد: ٢].

وقوله - عز وجل - : ﴿ وَمَا يَدْرِي الْبَحْرَانِ هَذَا غَابَرْتُ سَلَاطِينَ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاقِرَ لَا تَبْغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَا تَعْلَمُونَ تَشْكُرُونَ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [فاطر : ١٢-١٣].

وقوله : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [الزمر : ٥].

(٤) ينظر المصدر نفسه / ٢١٩ ، والمنظار الهندسي / ٨٥-٨٦ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢١٩-٢٢٠ .

أما الموضع الرابع الذي عدي به (إلى) فقد جاء في سياق الحديث عن الآخرة وما يقع فيها من بعث وحساب وهو ما يؤذن بتوقف حركة هذه الكائنات بعد انتهائها إلى الغاية التي أرادها الله - تعالى - إعلانا ببداية حياة أخرى ونظام كوني آخر يكشف عنه قوله - تعالى - : ﴿ مَا خَلَقَكُمْ بِلاَكُمْ إِلاَّ كَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهْرِ أَرِ يُولِجُ النَّهْرَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان: ٢٨-٢٩].

وقد جاء بعده : وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَخَشَوْا هِمًّا لَا يَجْزِي وَالِدَ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرُّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ [لقمان: ٣٣] ^(١).

❁ قال - تعالى - : ﴿ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾

[الأحقاف: ١١]

قيل : (اللام) في قوله - تعالى - : (للذين) بمعنى (عن) ^(١) .

(اللام) في قوله - تعالى - : (للذين) للاختصاص ، فيكون (الذين آمنوا) هم المخاطبين إذ قال لهم الكفار : لو كان هذا الدين خيرا لما سبقونا إليه ^(٢) ، ولم يستعمل الحرف (عن) ؛ لأن الموضع موضع استخفاف المشركين بالمسلمين ، والتحقير من شأنهم حتى تطلب ذلك منهم أن يترفعوا عن خطاب المؤمنين ، فعدلوا عن أسلوب الغيبة ؛ صونا لأنفسهم عن مواجهة من هم دونهم في زعمهم ، وهو ضرب من الالتفات أثره القرآن ؛ لإبراز صور التعالي والخطورة ونظرة الاستخفاف التي كان يرمق بها المشركون ضعفاء المسلمين ، فانظر كيف يضيع هذا الغرض لو قيل : لو كان خيرا ما سبقتمونا إليه ، وكيف يفسد المعنى لو قيل : وقال الذين كفروا عن الذين آمنوا ؛ لأنه يصبح نوعا من الحديث عنهم لا لهم ، مع أن الآية حوار بين المشركين والمسلمين ^(٣) .

(٢) ينظر درة التنزيل / ٣٧٤-٣٧٥ ، ومن أسرار حروف الجر / ٢٢٠-٢٢٢ ، ومعاني النحو / ٦٢-٦٣ .

(١) ينظر معني اللبيب / ١ / ٢٨٢ .

(٢) ينظر البحر المحيط / ٨ / ٨٣ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٥٢ .

❖ قال - تعالى - : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [الحجرات : ٢]

قيل إن اللام في قوله - تعالى - (ولا تجهروا له) بمعنى عليه^(٤) .
 (اللام) في قوله - تعالى - (لا تجهروا له) للاختصاص ؛ إذ أريد بهذه الآية النهي عن جهر مخصوص بالنبي (ﷺ) وهو الجهر الخالي من مراعاة هيبة النبوة بدليل قوله بعدها : ﴿ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ ﴾^(٥) ، فقد كان بعض المؤمنين يجهرون بالقول ويرفعون أصواتهم عند رسول الله (ﷺ) ؛ بسبب ما في طباعهم من البداوة وما تركته البيئة القاسية في نفوسهم من فظاظة وغلظة ، فعدل عن استعمال حرف الاستعلاء إلى (اللام) ؛ للدلالة على أن ما حدث لهم من رفع الصوت والجهر بالقول لم يقصدوا به إيذاء الرسول (ﷺ) أو الاستعلاء عليه ، والدليل على ذلك تصدير الآية بنداء المؤمنين ، وختمها بقوله ﴿ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾^(٦) .

الحرف (من) :

❖ قال - تعالى - : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ٢٢٢]
 قيل : (من) بمعنى (في) في قوله - تعالى - (من حيث)^(٧) .
 قال الله - تعالى - (من حيث) ولم يقل (في حيث) وهو الفرج ، " وإنما يقال (من حيث) كما تقول للرجل (انت زيدا من مأثاه) أي من الوجه الذي يؤتى منه "^(٨) . فلو أريد بذلك الفرج لقليل : (في حيث أمركم الله) وفيه حينئذ دلالة على تحريم الوطء في الدبر .

أما على استعمال (من) فيما أن يراد بها ابتداء الأسباب أي من الصفة التي أمركم الله وهي الطهر ، فيراد بذلك أن يأتوهن عند انتهاء غاية النهي بالتطهر ، إذ سبقها قوله - تعالى - : ﴿ وَلَا تَقْرِبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] .

(٤) ينظر تأويل مشكل القرآن / ٥٦٩ .

(٥) ينظر الكشف / ٣ / ٥٥٤ - ٥٥٥ ، و البحر المحيط / ٨ / ١٥١ .

(٦) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٤٣ .

(٧) ينظر دراسات لأسلوب القرآن الكريم / ١ ق / ٢٤ ص ٣٣٤ .

(٨) معاني القرآن/الفراء / ١ / ١٤٣ .

أو المراد بـ (أمر الله) : أمره الذي أباح به التمتع بالنساء ، وهو عقد النكاح فـ (حيث) مستعار للمكان المجازي ، وهو حالة الإباحة التي قبل النهي كأنهم كانوا محجوزين عن استعمال الإباحة ، أو حجر عليهم الانتفاع بها ثم أذن لهم باستعمالها ، فشبهت حالهم بحال من حبس عن مكان ثم أطلق سراحه فهو يأتي منه إلى حيث يريد ، وعلى هذين المعنيين لا يكون في الآية ما يؤذن بقصد تحديد الإتيان بأن يكون في مكان النسل ، وبعض هذين المعنيين تذييل الكلام بجمله ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ وهو ارتفاع بالمخاطبين بأن ذلك المنع كان لمنفعتهم ليكونوا متطهرين وأما ذكر التوابين فهو أدماج للتوبه بشأن التوبة عند ذكر ما يدل على امتثال ما أمرهم الله به من اعتزال النساء في المحيض ، أي أن التوبة أعظم شأنًا من التطهر ، فنية الامتثال أعظم من تحقق مصلحة التطهر لكم ؛ لأن التوبة تطهر روحاني ، والتطهير جثماني^(٤) .

❖ قال - تعالى ﴿لِّلَّذِينَ يُولُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرِئُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٢٦] .

قيل : (من) في قوله - تعالى - (من نسائهم) بمعنى (على)^(١) .

آلى يؤلى إيلاء : حلف ، وآلى من امرأته شهرا حلف لا يدخل عليها ، وآلى الرجل إذا قصر وترك الجهد وألوت : قصرت^(٢) .

فعدي فعل الإيلاء هنا بـ (من) ؛ لأنه يدل هنا على التولي والصدور ، إذ تشير هذه الآية إلى أنه ولى من امرأته وجافاها ، وكأنه أخرجها من قلبه ونفسه ولهذا السر يعدى الظهار بـ(من)، فيقال ظاهر من امرأته. قال - تعالى - : ﴿ والذين يظاهرون من نسائهم ﴾ [المجادلة : ٣] ، وكأن المظاهر أعطى ظهره لامرأته ، وولى منها ، في حين لو تعدى الإيلاء بعلى يكون الغرض منه الدلالة الإضرار بمن وقع عليه الإيلاء والإيحاء بظهور المولى ونفوذه وسيطرته^(٣) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ لَمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى الذُّهَى مِنْ أَوَّلِهِمْ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾

[التوبة: ١٠٨]

(٤) ينظر التحرير والتنوير / ٢ / ٣٥١ - ٣٥٢ .

(١) ينظر البحر المحيط / ٢ / ٢٩٢ .

(٢) ينظر لسان العرب / ١ / ١٩٢ - ١٩٣ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٤٦ .

قيل: (من) بمعنى (في) في قوله - تعالى - (من أول يوم)^(٤) .

(من) في قوله - تعالى - (من أول يوم) للابتداء ، ولها دلالتها في أن هذا المسجد كان منذ اللبنة الأولى التي وضعت لتأسيسه مصحوبا بالتقوى مبالغة في صدق النوايا وخلص العمل لوجه الله - تعالى - أبان التفكير فيه ومن بداية العمل في بنائه فأنت حين تقول (ذهبت إلى الحقل من أول اليوم) عنيت أن ذهابك كان مبكرا جدا بحيث بدأ ببداية اليوم من دون أن تتصرم منه لحظة من لحظاته وإذا قلت (ذهبت إلى الحقل في أول اليوم) أفدت التذكير لكنك لم تستوعب لحظات اليوم من بداية ما يقال له أول ، وعليه فإن (من) في الآية دالة على استيعاب وقت الأولية كله مبالغة في أن جزءا ولو كان يسيرا من الوقت لم تفارقه التقوى وفي ذلك أبلغ الحسم للمرجفين الذين أرادوا الإساءة إلى هذا المسجد وحاولوا الإضرار به ، وضرب وحدة المؤمنين ببناء مسجد آخر؛ إذ قال - تعالى - ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَطْفَنَ إِنْ أَرَبْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ هُمْ أَهَقُ أَنْ تَقُومَ فِيهِ ﴾ [التوبة : ١٠٧ - ١٠٨] ^(١) .

❁ قال - تعالى - : ﴿ مَاذَا يَدْعُجُّ مِنْهُ الْمَجْرُمُونَ ﴾ [يونس : ٥٠]

قيل: (من) بمعنى الباء في قوله - تعالى - (منه)^(٢) .

(من) في قوله - تعالى - (منه) دالة على ابتداء أنواع العذاب ، وكأنه - تعالى - يقول لهم : ماذا تصنعون حين يحل بكم ما لا طاقة لكم به من عذاب الله ويفاجئكم من ضروب بلائه بين عشية أو ضحاها؟ وذلك لكثرة أنواع العذاب واختلاف أشكاله وألوانه ، فالعذاب كله مر المذاق ، موجب النفار ، فأى شيء يستعجلون منه ، وليس منه شيء يوجب الاستعجال ، وذلك خير رد على تهكمهم وسخريتهم التي حكاها القرآن قبل ذلك : ﴿ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس : ٤٨]، أما قوله - تعالى - بعد وقوع العذاب: ﴿ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلَانَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ

(٤) ينظر شرح الكافية / ٢ / ٣٢١ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٦٦ .

(٢) ينظر الحروف العاملة / ٥٠٣ .

تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [يونس : ٥١] ، فتعديته بالباء لأنه قد نزل بهم ما استعجلوه ووقع بهم ما كانوا يتمنونونه^(٣) ، فيقول لهم أن هذا الذي حل بكم هو الذي طالما اقترن استعجالكم به والحاكم طالبا لوقوعه .

❖ قال - تعالى - : ﴿ قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا ﴾ [الأنبياء : ٩٧]

قيل : (من) بمعنى (عن) في قوله - عز وجل - (من هذا)^(٤) .

(من) في قوله - تعالى - (من هذا) إما أن تكون دالة على الابتداء ؛ لأن هذه الغفلة غفلة ابتدائية ، إذ إن الإنسان في غفلة من عالم الغيب ملازمة له من حين ولادته إلى أن يموت فينكشف عنه عند ذاك الغطاء وتزول الحجب فيبصر ما لم يكن يبصر ويرى ما لم يكن يرى ؛ لذا قال - تعالى - في موضع آخر : ﴿ لَقَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق : ٢٢]^(٥) . في حين تعدى فعل الغفلة بـ (عن) في موضع آخر من القرآن الكريم استوجبه وهو في قوله - تعالى - : ﴿ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلَاحِكُمْ وَأُمَتِّعَكُمْ فِيهِمْ لَوْ كُنْتُمْ عَاظِمِينَ ﴾ [النساء : ١٠٢] ؛ لأن هذه الغفلة هي غفلة عارضة ، وعن للمجازة ؛ وذلك لأن هؤلاء في ساحات القتال وهم متهيئون له ، ومعهم أسلحتهم وأمتعتهم ولكن يود الذين كفروا أن يغفلوا عنها فيميلون عليهم^(٦) .

أو قد تكون (من) دالة على ابتداء العذاب وذلك لتحويل ما رآه الكفار من العذاب ومفاجأتهم بما لم يتوقعوه منه وندمهم على تفريطهم في الحياة الدنيا ، فلو أنهم عملوا فيها اتقاء هذا العذاب لما وصلوا إلى ما وصلوا إليه من عذاب ممتد من سكرات الموت إلى خلود دائم في جهنم وبئس القرار^(٧) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [فاطر : ٤٠]

قيل : (من) بمعنى (في) في قوله - تعالى - (من الأرض)^(٨) .

يقول الله - تعالى - لرسوله (ﷺ) أن يقول للمشركين : ﴿ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ [فاطر : ٤٠] أي من الأصنام والأنداد ﴿ مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ ﴾^(٩) [فاطر : ٤٠] ف(من) ابتدائية أي شيئا ناشئا من الأرض ، أو بمعنى :

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٥٧ .

(٤) ينظر مغني اللبيب / ١ / ٤٢٣ .

(٥) ينظر معاني النحو / ٣ / ٧٧ .

(٦) ينظر معاني النحو / ٣ / ٧٧ .

(٧) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٥١ .

(٨) ينظر الجني الداني / ٣١٩ .

(٩) ينظر تفسير القرآن العظيم / ٣ / ٥٣٨ ، والبحر المحيط / ٧ / ٤١٩ .

أي جزء منها خلقوه ، على أن المراد بالأرض ما عليها كإطلاق القرية على سكانها في قوله - تعالى - ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]^(٥) أي ليس لهم شيء من ذلك ولا قدرة لهم على خلقه^(٦). فالحرف (من) إذن لم يغادر معناه ولم يدل على الظرفية.

❖ قال - تعالى - ﴿فَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ لِقَاسِيةٍ ظُورِهِمْ مِّنْ نَّكْرِ اللَّاهِ﴾ [الزمر: ٢٢]

قيل : (من) بمعنى (عن) في قوله - تعالى - (من ذكر الله)^(٧).

هذه الآية وصف لحال الذين لم يشرح الله - تعالى - صدورهم للإسلام فكانت لقلوبهم قساوة فطروا عليها ، فلا تسلك دعوة الخير إلى قلوبهم وأجمل سوء حالهم بما تدل عليه كلمة (ويل) من بلوغهم أقصى غايات الشقاوة والتعاسة . وقساوة القلب مستعارة لقلّة تأثر العقل بما يسري إلى صاحبه من المواعظ ونحوها ، ويقابل هذه الاستعارة استعارة اللين لسرعة التأثر بالنصائح ونحوها للمؤمنين في قوله - تعالى - ﴿ثُمَّ تَلَيْنَ جُودَهُمْ وَقُودُهُمْ مِّنْ إِلَى نَكْرِ اللَّاهِ﴾ [الزمر: ٢٣]. ف(من) في قوله - تعالى - : (من ذكر الله) إما أن تكون قد دلت على ابتداء السبب؛ لأن المعنى أن قسوة قلوبهم حصلت فيهم من أجل ذكر الله وبسببه ، أو قد تكون دالة على ابتداء القسوة ، أي قست قلوبهم ابتداء من سماع ذكر الله ، وعلى كلا المعنيين فإن (من) تدل على أن ذكر الله هو منشأ القسوة والجمود في قلوبهم فإذا تليت آية اشمأزوا فتمكنوا من الاشمئزاز منهم فاشتدت قساوة قلوبهم^(٨).

أما الفرق بين (عن) و (من) في هذه الآية هو أنك إذا قلت (قسا قلبه من ذكر الله) فالمعنى أن القسوة من أجل الذكر وبسببه وإذا قلت (عن ذكر الله) فالمعنى أنه غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ، ونظيره (سقاه من العيمة) أي من أجل العطش ، وسقاه عن العيمة ، إذا أرواه حتى أبعد عنه العطش^(٩).

❖ قال - تعالى - : ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حَبَابٌ﴾ [فصلت: ٥].

(٥) ينظر التحرير والتنوير / ٢٢ / ١٧٧ .

(٦) ينظر تفسير القرآن العظيم / ٣ / ٥٣٨ .

(٧) ينظر الجنى الداني / ٣١٦ .

(٨) ينظر الكشف / ٣ / ٣٩٤ ، التحرير والتنوير / ٢٤ / ٦٣-٦٤ .

(٩) ينظر الكشف / ٣ / ٣٩٤ .

قيل (من) بمعنى (في) في قوله - تعالى - (من بيننا) (٣).

(من) في قوله - تعالى - (من بيننا وبينك) لابتداء الغاية ، فالمعنى أن حجاباً ابتدأ منا وابتدأ منك ، فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة للحجاب لا فراغ فيها (٤)، وذلك للمبالغة بالتباين المفرط بينهما (٥)؛ لأن سياق الآية يبين مبالغة المشركين في رفض دعوة النبي (ﷺ) وإصرارهم على عدم الاستماع إلى ما جاء به ؛ ولذلك لم يكتفوا أن تكون قلوبهم في أغلفة وفي آذانهم وقر حتى جعلوا بينهم وبين النبي (ﷺ) حجاباً يحول دون نفاذ القرآن إلى أسماعهم وزادوا على ذلك أن يجعلوا الحجاب بادئاً من الرسول (ﷺ) وبادئاً منهم حتى لا يكون ثمة منطقة خالية يمكن أن يملأ الرسول (ﷺ) ذلك الفراغ بصوته ، وهذا ما قامت به (من) (خير مقام ، ولم يكن للحرف (في) أن يؤديه فلو حل حرف الظرفية محل حرف الابتداء لدل على أن الحجاب يقع في منطقة ما بينهم وبينه ، فيكون الحجاب في هذه الحالة غير مستوعب للمنطقة كلها ، كما دلت عليه (من) ؛ فيكون من الممكن أن يملأ شيء من تلك المنطقة بصوته (ﷺ) ، في حين نجد أنه في قوله - تعالى - ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مًدُورًا ﴾ [الإسراء: ٤٥].

إخبار من الله - تعالى - أنه جعل بينه وبين الكافرين حجاباً بحيث لا يؤثر القرآن فيهم ولا يصل إلى أسماعهم وقلوبهم فليس في هذه الآية ثمة ما يدعو إلى المبالغة بشمول الحجاب كل الفراغ الحاصل بينه وبينهم ؛ لذا لم تستعمل (من) فيها (١).

❖ قال - تعالى - : ﴿ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ [الشورى: ٤٥].

قيل (من) بمعنى (الباء) في قوله - تعالى - (من طرف) (٢).

الطرف : أصله مصدر وهو تحريك جفن العين ، يقال طرف من باب ضرب، أي حرك جفنه ، وقد يطلق من باب تسمية الشيء بفعله؛ ولذلك لا يثنى و لا يجمع، قال - تعالى - : ﴿ لَا يَزِدُّ إِلَهُمُ طَرْفُهُمْ ﴾ [إبراهيم: ٤٣] (٣).

(٣) ينظر شرح الكافية / ٣٢١/٢ .

(٤) ينظر الكشف / ٤٤٢/٣ .

(٥) ينظر البحر المحيط / ٦٣٩/٧ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٣٧-٣٣٨ .

(٢) ينظر الجنى الداني / ٣١٩ .

(٣) ينظر لسان العرب / ١٤٥/٨ ، والتحرير والتنوير / ١٨٤/٢٥ .

ووصفه في هذه الآية بـ(خفي) يقتضي أنه أريد به حركة العين أي ينظرون نظرا خفيا لا حدة فيه^(٤). و(من) للابتداء دلت على أن الظالمين لا يستطيعون أن يحركوا الطرف وإنما ينظرون ببعضه وبالقدر الذي يريهم هول العذاب وذلك ينسجم تمام الانسجام مع قوله : ﴿ خَاشِعِينَ مِّنَ الثَّلِّ ﴾ [الشورى: ٤٥] حتى أنهم من فرط ذلهم لا يستطيعون رفع أبصارهم ولا النظر إلا خلسة وبيعض الطرف^(٥). في حين لو حلت (الباء) لدلت على اتخاذ الطرف آلة يحركونه لرؤية الأشياء^(٦)، وهذا معنى مختلف عن المعنى الذي أريد به بـ(من) .

❖ قال - تعالى - : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ [ق: ١٩].

قيل (من) بمعنى (عن) في قوله - تعالى - (منه)^(١).

(ذلك) في قوله - تعالى - (ذلك ما كنت منه تحديد) إشارة إلى الموت بتنزيل قرب حصوله منزلة الحاصل المشاهد ، و (تحيد) بمعنى تفر وتهرب ، وهو استعارة للكرهية ، أي هذا الذي كنت تفر منه قد جاءك فلا محيد ولا مناص ولا فكاك ولا خلاص ، فقليل المقصود منه المشركون ؛ لأن حياتهم مادية محضة فهم يريدون طول الحياة ، قال - تعالى - : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَدْعُونَ أَهْلَهُمْ لَوْ يُعْرِضُوا عَنْهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [البقرة: ٩٦] ، أما المؤمنون فإن كراهيتهم للموت المرتكزة في الجبل لا تبلغ بهم حد الجزع منه وتقديم (منه) على (تحيد) للاهتمام بما منه الحياد^(٢).

(من) على هذا إما أن تكون لابتداء السبب أي ذلك ما كنت بسببه تحيد عن أسباب الموت والهلاك ، أو لابتداء العذاب وذلك للإشارة إلى أن سكرة الموت بعض من الأهوال المتتابعة التي ستلاحقه والتي تعد سكرة الموت أقله وأدناه^(٣). وعلى هذا فإن الحرف (من) لم يغادر معناه إلى معنى حرف آخر.

❖ قال - تعالى - : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾ [الجمعة: ٩]

قيل (من) بمعنى (في) في قوله - تعالى - (من يوم الجمعة)^(٤)

(٤) ينظر الكشف / ٤٧٤/٣ ، والتحرير والتنوير / ١٨٤/٢٥ .

(٥) ينظر الكشف / ٤٧٤/٣ ، ومن أسرار حروف الجر / ٣٥٦ .

(٦) ينظر حاشية الصبان / ٢١٣/٢ ، ومن أسرار حروف الجر / ٣٥٧ .

(١) ينظر الحروف العاملة / ٥٠٢ .

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم / ٢٢٥/٤ ، والتحرير والتنوير / ٢٥٥/٢٦ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٥٢ .

(٤) ينظر شرح الكافية / ٣٢١/٢ .

(من) في قوله - تعالى - (من يوم الجمعة) للابتداء أفادت خلال السياق معنى التبويض ؛ لأن يوم الجمعة زمان تقع فيه أعمال منها الصلاة المعهودة فيه^(٥) ، وأثرت (من) على حرف الوعاء في هذه الآية ؛ لأن الله - تعالى - لا يريد من المؤمنين ترك أعمالهم في هذا اليوم والانقطاع إلى الصلاة والعبادة ، بل طلب إليهم أن يبدؤوا يومهم بالعمل فإذا سمعوا النداء لصلاة الجمعة من بعض هذا اليوم لبوا نداء الله - تعالى - مسرعين فإذا ما فرغوا من صلاتهم بادروا بالعودة إلى أعمالهم والدليل على ذلك قوله - تعالى - بعدها: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة : ١٠] فالأمر بالانتشار في الأرض ابتغاء لفضل الله ورزقه وتصديره بالفاء المعقبة دليل على ما يهدف إليه القرآن من أداء هذه الشعيرة في جزء من اليوم؛ حتى لا يفهم المسلمون أن احتفاء الإسلام بيوم الجمعة ودعوة المسلمين إلى التجمع فيه واختصاصه بصلاة معينة موجبة لترك العمل في هذا اليوم ، ف(من) هي وحدها التي تنهض بهذا الغرض الذي لا يؤديه حرف الوعاء كما أن (من) هذه ليست لبيان الجنس^(١) ؛ " لأن اليوم أعم من وقت النداء والعام لابهامه لا يصير بيانا ظاهرا "^(٢).

❖ قال - تعالى - : ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَلْظَوْا نَارًا﴾ [نوح: ٢٥].

قيل إن (من) بمعنى (اللام) في قوله - تعالى - (مما)^(٣).

في حين أن (من) لم تغادر معناها في الابتداء ؛ لأن المعنى " أن الماء دخل عليهم من خطيئاتهم أي جاءهم من هذا المكان ، كأن الخطيئات ثغرة دخل منها الماء "^(٤)، في حين لو استعملت (اللام) لدلت على تخصيص سبب الإغراق بالخطيئات من دون غيرها من الأسباب التي يمكن أن تكون سببا له.

* * * * *

(٥) ينظر التحرير والتنوير / ٢٨ / ٢٠٣.

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٦٤-٣٦٦ .

(٢) غرائب القرآن / ٢٨ / ٥٢ .

(٣) مغني اللبيب / ١ / ٤٢١ .

(٤) معاني النحو / ٣ / ٨٨ .

يظهر لنا مما تقدم أن ما قيل من نيابة حروف الجر بعضها عن بعض غير صحيح ،
فما أوردناه من أمثلة قيل إن الحرف فيها بمعنى حرف آخر ، قد ثبت من خلال ما سبق
أن الحرف لم يغادر معناه الأول ، وإن فهمنا من خلال السياق الذي ورد فيه معنى آخر
فما هو إلا معنى وظيفي مستفاد من السياق وليس معنى آخر للحرف .
فالتعليل أو السببية مثلا الذي قيل إن الحروف (الباء وعلى وعن والكاف واللام ومن
(تخرج إليها^(٥) هي في حقيقة الأمر مستفادة من السياق وليست معنى آخر لهذه
الحروف ، فقولنا مثلا :

(عاقبت محمدا بذنبه) ، فإن الباء في هذه الجملة لم تغادر معنى الإلصاق ، فكأن
المتكلم أمسك بذنب محمد أداة لإيقاع العقوبة به .

أما (عاقبت محمدا على ذنبه) فمعناه : أن العقوبة استعلت ذنب محمد فوقعت
عليه . وقولنا (عاقبت محمدا عن ذنبه) ، معناه : أن العقوبة قد صدرت عن ذلك
الذنب . أما (عاقبت محمدا في ذنبه) فمعناه : أن الذنب قد احتوى محمداً فوقعت
عليه تلك العقوبة وهو مظروف فيه^(١) . في حين أن قولنا : (عاقبت محمدا لذنبه)
فهو تخصيص لسبب العقوبة وهو الذنب من دون غيرها من الأسباب التي يمكن أن
يعاقب لأجلها . وقولنا : (عاقبت محمدا من ذنبه) معناه : أن الذنب كان هو منشأ
العقوبة وكان العقوبة جاءت من ذلك المكان ودخلت عليه منه^(٢) .

كما أن حروف الجر التي قيل إن من معانيها أن تأتي زائدة هي في حقيقة الأمر لم
تغادر معناها الأول أيضا .

فالحرف (إلى) مثلا في قوله - تعالى - : ﴿ فَاجْلِي أَقْتَةً مِّنَ النَّاسِ تَهَيِّ إِلَيْهِمْ ﴾
[إبراهيم: ٣٧] . قيل إنها زائدة^(٣) ، وهو كما بيناه على معناه في الانتهاء وحذفه يغير
المعنى المراد من الآية^(٤) .

(٥) ينظر مغني اللبيب / ١/ ١٩١، ١٣٩، ١٩٧، ٢٢٤، ٢٣٤، ٢٧٥، ٤٢١ .

(١) ينظر معاني النحو / ٨٩/٣ .

(٢) ينظر معاني النحو / ٨٩/٣ .

(٣) ينظر الجني الداني / ٣٧٦ .

(٤) ينظر البحث / ص ٦٢-٦٣ .

والباء مثلاً في قوله - تعالى - : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا تَخْلَعُ بِهِنَّ ﴾ [النساء: ٢٣]. قيل إنها زائدة^(٥)، في حين أنها لم تغادر معنى الإلصاق فأعانت على تحقيق الكناية عن الجماع ؛ مما يدل على قدرة هذه اللغة على الوفاء بأداب الإسلام وما يوجبه من الترفع عن التصريح بما يستحسن الكناية عنه إلى جانب ما جسده بدلالاتها على اللصوق على شدة الارتباط والقرب الروحي والمخالطة النفسية بين الزوجين بما يحقق الغاية من قوله - تعالى - : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١]. وهو أيضاً ما جعل القرآن يؤثر الباء في علاقة المؤمنين بالهور العين في الجنة فيقول : ﴿ وَزَوْجَانَّهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴾ [الدخان: ٥٤]. ولم يأت في القرآن أبداً (وزوجناهم حوراً عينا) مع صحته وذلك للإشعار بالملازمة وشدة القرب والالتصاق^(١).

وكذلك الحال في القول بـ(عن) إذ قيل إنها ترد زائدة مثل ما جاء في قوله - تعالى - : ﴿ فَلْيَحْزَرْ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾ [النور: ٦٣]^(٢).

وكما اتضح لنا أنها ليست بزائدة وإنما أفادت المخالفة فيما حسبه خافياً مستورا وهو موقف المتسللين لوإذا ، ولو قيل (يخالفون أمره) لدل على أنهم يعلنون عصيانهم ومخالفتهم وهو غير المراد لتسترهم بغيرهم ومضيهام واحداً بعد واحد وتركهم الرسول (ﷺ) من دون أن يستأذنوه^(٣).

كما قيل إن (في) ترد زائدة في بعض المواضع من ذلك قوله - تعالى - ﴿ وَأَصْلَحْ لِي فِي زُرِّيَّتِي ﴾ [الأحقاف: ١٥]^(٤). في حين أن حرف الظرفية دل على رجائه في أن يكون الإصلاح عميق الأثر في نفوس الأبناء ومتمكناً منهم يجري في عروقهم ودمائهم وليس صلاح الظواهر الذي لا يتجاوز الألسنة ولا ينفذ إلى الأعماق^(٥).

(٥) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٧٤ .

(١) ينظر من أسرار حروف الجر / ١٧٥ .

(٢) ينظر مجاز القرآن / ٦٩/٢ .

(٣) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٠٥ .

(٤) ينظر المصدر نفسه / ١٢٣ .

(٥) ينظر المصدر نفسه / ١٢٤ .

أما الكاف فقليل إنها ترد زائدة أيضا في مواضع من ذلك قوله - تعالى - : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]^(٦) ، في حين أن الكاف لم تغادر معناها في التشبيه، فقولنا مثلا (هي البدر) أقرب في الشبه من (هي كالبدْر) أو (مثل البدر) وقولنا (هي مثل البدر) أقرب إلى الشبه من قولنا (هي كالبدْر) أو (هي كمثال البدر)؛ لأننا في الجملة الأخيرة أبعدنا الشبه بذكر أداتين للتشبيه ، فلو قال - تعالى - (ليس مثله شيء) لكان نفي لذي الشبه القريب أو المثل القريب لكنه لما قال (ليس كمثله شيء) أراد بذلك نفي المشابهة ولو من وجه بعيد. ولا يقال أن ذلك يثبت المثل فإننا نقول في كلامنا (ليس كمثال خالد رجل) على معنى لا يشبهه رجل ولو كان ذلك يثبت المثل لكان قولنا متناقضا؛ لأن خالدا مثل من يشبهه فكيف ننفي وجود مثله وهو موجود^(٧)؟

وكذلك الحال في قول الشاعر^(١):

فأصبحوا مثل كعصف مأكول :

فان الكاف فيه ليست زائدة بل أريد بها التشبيه والموضع هنا هو تشبيهه بمشبهه فحال هؤلاء الذين ذكرهم شاعر أراد تشبيههم بحال أصحاب الفيل ، وليس بالعصف المأكول^(٢).

اللام أيضا لم تغادر معناها حتى في المواضع التي قيل فيها أنها زائدة ، مثال ذلك قولنا: (نصحت له)^(٣) ، وحقيقة الأمر أن هذه اللام للاختصاص والمفعول محذوف تقديره (الأمر أو المشورة) ، دلت على أن النصيحة وقعت خالصة للمنصوح له ، قصد بها جانبه لا غير^(٤)، كما قصد بها تحقيق المنفعة له ؛ لذا لم يجيء النصح في كتاب الله العزيز متعديا بنفسه ، وإنما جاء متعديا باللام ، كما جاء على السنة الرسل مثل قوله - تعالى - : ﴿أَبْلَغْتُكُمْ رَسُولًا رَبِّي وَصَّحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف: ٧٩] ،

(٦) ينظر الجنى الداني / ١٣٣ .

(٧) ينظر معاني النحو / ٥٩-٦٠ .

(١) ينظر مجموع أشعار العرب / ١٨١ ، والشرط الأول منه : ولعبت طير بهم أبابيل . ونسب في الكتاب إلى حميد بن الأرقط ، ينظر الكتاب / ٤٧٦/١ ، وهو برواية (فصروا) ، وفي الجنى الداني بلا نسبة / ١٣٩ ، وبرواية (فأصبحت) ،

وينظر مغني اللبيب / ٢٣٨/١ .

(٢) ينظر معاني النحو / ٦٠/٣ .

(٣) ينظر الاقتضاب / ٢٦٦ .

(٤) ينظر الكشف / ٨٦/٢ .

وفي موضع آخر ﴿ أَلْبِغُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحْ لَكُمْ ﴾ [الأعراف: ٦٢] ^(٥) ، إذ حذف المفعول ليشمل جميع ما يمكن أن ينصحهم به من دون أن يقيد الفعل بمفعول معين.

وكذلك الحال في قولنا : (شكرته) و (شكرت له) ، فقولنا (شكرته) تعدى فيه الفعل إلى مفعول واحد ، أما شكرت له فالفعل فيه تعدى إلى مفعولين ؛ لأن التقدير: شكرت له فعله أو عمله أو غير ذلك ، وحذف المفعول إما لأنه معلوم أو لغير ذلك من الأسباب البلاغية ، فاللام في هذا الموضع إذن لم تغادر معناها في الدلالة على الاختصاص ^(٦).

ومن المواضع التي قيل إن (من) وردت فيها زائدة قولنا مثلاً : (ما جاعني من رجل) ^(١). في حين أن (من) في هذا الموضع لم تغادر معنى الابتداء ؛ لأنها جعلت الرجل ابتداء غاية نفي المجيء إلى آخر الرجال مما يدل على استغراق الجنس كله ^(٢). كما قيل بزيادة (من) في قوله - تعالى - ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا ﴾ [الأعراف: ١٥٥] ^(٣) ، وحقيقة الأمر أن (من) هذه للابتداء ، دلت خلال السياق على معنى التبويض ؛ إذ قصد منه النعي على بني إسرائيل لكثرة تمردهم وعصيانهم ودوام مخالفتهم لنبيهم حتى كأنه لم يجد فيهم خيارا غير هؤلاء السبعين فهم القوم كل القوم في ميزان الطاعة والصلاح ، وفي ذلك ما فيه من التلميح بكثرة العاصين وقلة الصالحين فيهم ، والدليل على ذلك أن هذه الآية جاءت بعد آيات تحدثت عما صنعه بنو إسرائيل في غياب موسى وعبادتهم العجل من دون الله - تعالى - ^(٤).

(٥) ينظر من أسرار حروف الجر / ٢٥٨ .

(٦) ينظر الاقتضاب / ٢٦٥ .

(١) ينظر الأهمية / ٢٣٤ .

(٢) ينظر شرح المفصل / ١٣/٨ .

(٣) ينظر معاني القرآن/ الفراء / ١/ ٣٩٥ .

(٤) ينظر من أسرار حروف الجر / ٣٣٦ .

وإذا بينا خلال هذا الفصل توجيه الشواهد القرآنية لأنها موضوع البحث لكن هذا لا يعني أن الشواهد الشعرية ليس لها ما يوجهها بما ينفي عنا القول بالنيابة أو بالتضمن .

فقول الشاعر^(٥) مثلا :

بطل كأن ثيابه في سرحة يحذى نعال السبت ليس بتوَمِ
فإن الحرف (في) في هذا البيت على معناه ولم ينب عن حرف آخر ، إذ أراد فيه الشاعر أن يبين مدى طول هذا البطل وكثرة ضخامته ، فهو أشبه بالشجرة العظيمة الكبيرة حتى توارت فيها ملابسه لطوله وعرضه .
وقول الشاعر^(٦):

فلا تتركيني بالوعيد كأني إلى الناس مطلي به القار أجرب

فالحرف (إلى) في هذا البيت على معناه أيضا، ولم ينب عن حرف الظرفية فيه. فهناك فرق بين قولنا (كأني في الناس مطلي به القار أجرب) وبين قولنا : (كأني إلى الناس مطلي به القار أجرب) ؛ لأن (في) لا تدل إلا على أنه بينهم على هذه الحال ، أما الثانية فمعناها أنني أبدو إليهم كأني كذلك وينظرون إلي كأني كذلك ، ففيها معنى النفرة ، فأنت حينما تقول (هي فيهن فحمة) بمعنى أنها بينهن كالفحمة وليس فيه أنهن يبغضنها ، فإذا قلت : (هي إليهن فحمة) كان المعنى أنها تبدو لهن كالفحمة ، أي يرينها غير جميلة ، أو بمعنى أنها بالنسبة إليهن كالفحمة ، أي إذا قيست إليهن كانت كالفحمة وهكذا^(١).

أما أمثلة التضمن الشعرية مثل قول الشاعر^(٢):

إذا رضيت على بنو قشير لعمر الله أعجبتني رضاها

إذ قيل إن الفعل (رضي) حمل على معنى (سخط) ، وهو ما يخالف تماما المعنى المراد ، إذ إن تعدي الفعل (رضي) بـ(على) دل على إحلال الرضوان عليه^(٣). حتى غطاه وعلا عليه .

(٥) ينظر البحث /ص ١٥ / الهامش .

(٦) ينظر ديوان النابغة الذبياني / ٤٦ .

(١) ينظر معاني النحو / ١٧-١٨ .

(٢) ينظر البحث /ص ٢٥ / الهامش .

وقول الآخر^(٤):

قد قتل الله زيادا عني

إذ قيل إن الفعل (قتل) ضمن معنى صرف ، في حين أراد الشاعر (قد قتل الله زيادا بدلا عني) ؛ لأن الشاعر أراد لزياد الموت ، وكأن الله - تعالى - قد أوقع فيه القتل بدلا عنه ، وحذف الحال (بدلا) اكتفاء ، بدلالة السياق عليه ، كما يحذف من قولنا (أدبت الدين عنه) حينما نريد (أدبت الدين بدلا عنه) .

كما يتبين لنا أيضا أن الأمثلة التي قيل فيها بالتضمن تعود لتعلق الجار والمجرور بعامل لا يصح برأي النحويين أن يتعلق به ؛ لاعتقادهم أن هذا العامل يتعدى بحرف من دون آخر ، في حين أن تعديه بكل حرف يؤدي معنى غير الذي يؤديه الآخر ، أو يعود لفهم معنى لفظ غير مذكور في السياق وهو ما يعبر عنه أصحاب النظرية التحويلية الحديثة بوجود تركيب باطني أو بنية عميقة لكل جملة ، هذا التركيب هو الذي يعطي المعنى المقصود للجملة ، بينما ما ينطق به بالفعل أو يرسم بالكتابة يعبرون عنه بالتركيب الظاهري أو البنية السطحية ، وهذه البنية السطحية غالبا ما تحذف منها عناصر موجودة في التركيب الباطني^(١)، مثل حذف الحال كما قلنا في قوله - تعالى - ﴿ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ [النساء: ٢]، إذ حذف منه الحال (منتهية) لأنه مفهوم من السياق كما حذف الحال من قوله - تعالى - ﴿ يَظُنُّ كَذِبُهُ عَلَىٰ مَا أُفْقِئَ فِيهِ ﴾ [الكهف: ٤٢]، إذ نفهم من ذلك معنى الندم ، فحذف الحال (نادما) لأنه مفهوم من السياق ؛ إذ يلجأ الى الحذف في مثل هذه المواضع؛ لأن المحذوف مفهوم من السياق مما يستلزم الإيجاز ؛ لأن ترك الذكر في بعض المواضع يكون أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة^(٢).

وكون الحرف له معنى واحد أمر لمحاه العديد من العلماء القدامى مثل سيبويه إذ جعل لكل حرف من الحروف (إلى ، والباء ، وفي ، والكاف ، واللام ، وعلى) معنى واحدا .

(٣) ينظر معاني النحو / ٤٩/٣ .

(٤) ينظر البحث / ص / ٤٦ الهامش .

(١) ينظر ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي / ٢٣ .

(٢) ينظر دلائل الإعجاز / ١٤٦ .

فالحرف (إلى) معناه - عنده - (منتهى ابتداء الغاية) وإن اتسع فيه^(٣).

وكذلك حرف (الباء) ، الذي جعل معناه (الإلحاق والاختلاط) وإن اتسع فيه فهذا أصله - عنده - أيضا^(٤).

والحرف (على) (لاستعلاء الشيء) ، وإن اتسع فيه^(٥).

والحرف (في) (للوعاء) وإن اتسع في الكلام فهي على هذا - عنده-^(٦) و(الكاف) (للتشبيه)^(٧)، و(اللام) (للملك والاستحقاق)^(٨).

كما لمح المبرد أيضا في عدة مواضع منها :

١. حينما قال عن الحرف(من) : " وأصلها ابتداء الغاية نحو (سرت من مكة إلى المدينة) وفي الكتاب (من فلان إلى فلان) فمعناه أن ابتداءه من فلان ومحلّه فلان، وكونها في التبويض راجع إلى هذا وذاك أنك تقول أخذت مال زيد ، فإذا أردت البعض قلت أخذت من ماله ، فإنما رجعت بها إلى ابتداء الغاية ، وقولك: زيد أفضل من عمرو ، إنما جعلت غاية تفضيله عمرا فإذا عرفت فضل عمرو علمت أنه فوقه ، وأما قولهم أنها تكون زائدة فلست أرى هذا كما قالوا. وذاك أن كل كلمة إذا وقعت وقع معها معنى فإنما حدثت لذلك المعنى وليست بزائدة فذلك قولهم: ما جاعني من أحد ، وما رأيت من رجل ، فذكروا أنها زائدة وأن المعنى ما رأيت رجلا ، وما جاعني أحد ، وليس كما قالوا ؛ وذلك لأنها إن لم تدخل جاز أن يقع النفي بواحد دون سائر جنسه تقول: ما جاعني رجل وما جاعني عبد الله ، إنما نفيت مجيء واحد ، وإذا قلت : ما جاعني من رجل فقد نفيت الجنس كله ، ألا ترى أنك لو قلت ، ما جاعني من عبد الله لم يجز ، لأن عبد الله معرفة ، فإنما موضعه موضع واحد"^(٩).

(٣) ينظر الكتاب ٣٠٣/٤ .

(٤) ينظر الكتاب ٣٣٩/٤ .

(٥) ينظر الكتاب ٣٥٢/٤ .

(٦) ينظر الكتاب ٣٤٨/٤ .

(٧) ينظر الكتاب ٣٣٩/٤ .

(٨) ينظر الكتاب ٣٣٩/٤ .

(٩) المقتضب ٤٤/١-٤٥ ، ناقض المبرد كلامه هذا في عدة مواضع من ذلك :

١. حينما قال عن الحرف (من) : " وأما الزائدة التي دحولها في الكلام كسقوطها فقولك : ما جاعني من

أحد ، وما كلمت من أحد " المقتضب ١٣٧/٤ .

٢. لمح أيضا كون الحرف له معنى واحد حينما صرح بأن الكاف الزائدة معناها التشبيه ، بقوله : "وأما الكاف الزائدة ، فمعناها التشبيه"^(٢).

٣. حينما جعل للحرف (إلى) معنى واحد هو الانتهاء^(٣).

كما لمح الزمخشري أيضا حينما قال عن الحرف (من) : " فمن معناها ابتداء الغاية ، كقولك سرت من البصرة إلى الكوفة وكونها مبعضة في نحو أخذت من الدراهم ومبينة في نحو : فَجَذَبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ﴿ [الحج: ٣٠] ، ومزيدة في نحو ما جاءني من أحد راجع إلى هذا"^(٤).

وعن الحرف (إلى) قال : " وإلى معارضة لمن دالة على انتهاء الغاية كقولك: سرت من البصرة إلى بغداد وكونها بمعنى المصاحبة في نحو قوله - تعالى - : وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴿ [النساء: ٢] ، راجع إلى معنى الانتهاء"^(١)، وحينما أثبت لكل حرف من الحروف (في ، وعلى ، وعن ، والكاف) معنى واحد^(٢).

وكذلك الحال عند المرادي ، إذ لمح أن الحرف له معنى واحد ، وأن باقي المعاني ترجع إلى المعنى الأول ، إذ يقول: " التحقيق أن معنى اللام في الأصل هو الاختصاص وهو معنى لا يفارقها وقد تصحبه معان ، وإذا تؤملت سائر المعاني المذكورة وجدت راجعة إلى الاختصاص ، وأنواع الاختصاص متعددة ألا ترى أن من معانيها المشهورة التعليل ، قال بعضهم وهو راجع إلى معنى الاختصاص ؛ لأنك إذا قلت : جئتكم للإكرام ، دلت اللام على أن مجيئك مختص بالإكرام إذ كان الإكرام سببه دون غيره ، فتأمل ذلك والله أعلم"^(٣).

وفي موضع آخر قال عن الحرف (من) أنها لا تكون إلا للابتداء ، وأن سائر معانيها راجع إلى ابتداء الغاية ، إذ يقول : " ألا ترى أن التبويض من أشهر معانيها

٢. حينما قال : " وذلك قولك ما جاءني من أحد إلا زيد على البدل ؛ لأن (من) زائدة وإنما تزداد في النفي ولا تقع في الإيجاب زائدة " المقتضب / ٤/ ٤٢٠ .

٣. حينما جعل (من) بمعنى الباء كما بينا ذلك في فصل النيابة ، ينظر البحث / ص ٢٤٤ .

(٢) المقتضب / ٤/ ١٤٠ .

(٣) ينظر المقتضب / ٤/ ١٣٩ .

(٤) الفصل / ٢٨٣ .

(١) الفصل / ٢٨٣ .

(٢) ينظر الفصل / ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ .

(٣) الجنى الداني / ١٥٢ .

وهو راجع إلى ابتداء الغاية ، فإنك إذا قلت : أكلت من الرغيف إنما أوقعت الأكل على جزء فانفصل فمآل معنى الكلام إلى ابتداء الغاية "(٤).

(٤) الجنى الداني / ٣٢٠ .

الخلاصة

وفي نهاية مطاف هذا البحث لا بد لنا من تسجيل أهم النتائج التي خرج بها وهي:

* اختلف النحويون في المعنى الاصطلاحي للحرف، فمنهم من جعل معناه في نفسه، ومنهم من عد معناه في غيره، ومنهم من لم يصرح بكون معناه في نفسه أم في غيره، وهو غالبا ما ذهب إليه قدماء النحويين ابتداء بتعريف الحرف المنسوب إلى الإمام علي (رضي الله عنه) .

* يرجع الاختلاف في التعريف الاصطلاحي للحرف إلى الاختلاف في فهم طبيعة معنى الحرف ، والدليل على ذلك أن النحويين أنفسهم المختلفين في معنى الحرف لا يكادون يختلفون كثيرا في أن معنى الاسم والفعل في أنفسهما .

* اختلف النحويون واللغويون والأصوليون في معاني الحروف ، ففي الوقت الذي نجد فيه أحدهم يثبت لأحد الحروف معنى واحدا نجد آخر يثبت للحرف نفسه أكثر من معنى ، وكما اختلفت معاني الحروف بين العلماء اختلفت أيضا عند العالم الواحد نفسه ، بين أن يثبت لأحد الحروف معنى واحدا ويثبت لآخر أكثر من معنى، كما اختلف أيضا القائلون بتعدد معاني الحروف في عدد ومعاني كل حرف.

* أدى الاختلاف في فهم معاني الحروف إلى الاختلاف في توجيه النصوص وبيان معانيها ودلالاتها ، ومن ثم الاختلاف في القول بنباية حروف الجر بعضها عن بعض أو بتضمين العوامل معنى عوامل أخرى يصح - برأي القائلين بالتضمين - تعديها بهذا الحرف من دون ذاك، أو إيجاد تأويل والبحث عن أسرار الحرف في السياق بإثبات معنى واحد للحرف من دون القول بالنيابة أو التضمين .

* يكاد مصطلح النيابة يختص بنباية حروف الجر بعضها عن بعض، على الرغم من أن المتصفح لكتب النحو واللغة يقف على أمثلة لحروف أخرى قيل بتعدد معانيها .

* ورد معنى النيابة عند اللغويين الأوائل مثل : أبي عمرو بن العلاء وأبي زيد الأنصاري.

* لم يستعمل القائلون بالنيابة لفظا واحدا في التعبير عن معنى النيابة ، وإنما استعملوا ألفاظا وعبارات مختلفة للدلالة على هذا المعنى .

* بين بعض القائلين بالنيابة رأيهم فيها من الناحية البلاغية ، إذ عدوها نوعا من أنواع المجاز ، ولما كان المجاز قياسيا ، فالنيابة قياسية برأيهم.

* لجأ القائلون بالنيابة إلى القول بها ؛ لأنهم وجدوا فيها تحقيقا لعدة أغراض في حين يرى الرافضون للقول بالنيابة أن القول بها عليه عدة مآخذ .

* ورد القول بالتضمنين عند اللغويين والنحويين الأوائل أمثال :

أبي محمد اليزيدي، والفراء، وأبي عبيدة، والأصمعي، والجرمي، والمازني، والمبرد في موضوع المفعول معه ، ولم يستقر مصطلح التضمنين إلا عند الزمخشري .

* لم يستعمل القائلون بالتضمنين لفظا واحدا للتعبير عنه ، بل استعملوا ألفاظا وعبارات مختلفة للدلالة على هذا المعنى .

*. اختلف القول بالتضمنين من الناحية البلاغية وقياسيته ، وبلغت الأقوال في ذلك تسعة أقوال .

*. اختلف القدماء والمحدثون في وضع تعريف للتضمنين من الناحية الاصطلاحية وسبب اختلافهم هذا؛ يعود إلى اختلافهم في فهم معناه .

*. نسب إلى الزمخشري القول بتضمنين الحذف الذي يقوم على تضمين الفعل معنى حال مأخوذة من الفعل المحذوف بمعونة القرينة اللفظية في حين أن التضمنين الذي ورد في تفسير (الكشاف) يقوم على تضمين الفعل المذكور (أو ما هو بمعناه) معنى فعل آخر (أو ما هو بمعناه) محذوف يدل عليه ما هو من متعلقاته ، بمعنى أن التضمنين عنده يدل على معنى المذكور والمحذوف معا .

* رأى القائلون بالتضمنين أن القول به يحقق عدة فوائد وأغراض، في حين يرى الرافضون للقول بالتضمنين أن القول به عليه عدة مآخذ .

* نسب القول بالنيابة إلى الكوفيين في حين أننا وجدنا أن هذا القول غير دقيق ، فقدماء النحويين البصريين مثل يونس بن حبيب، وسيبويه، والمبرد مثالا قالوا بالنيابة ، كما نسب القول بالتضمنين إلى البصريين في حين أننا وجدنا أن الكسائي وهو من أحد قدماء النحويين الكوفيين قد قال بالتضمنين .

* إن الكثير من النحويين البارزين قد جمعوا بين القول بالنيابة والقول بالتضمنين؛ فلا صحة لنسبة أحد القولين إلى مذهب نحوي من دون آخر .

* حاول أغلب النحويين إن لم نقل كلهم أن يجعلوا للحرف معنى واحدا غير أنهم خرجوا عن ذلك؛ إما لعدم تمكنهم من إجراء الحرف على معناه في بعض النصوص ، أو لعدم قدرتهم على تمييز الفرق الدقيق بين استعمال الحروف لا سيما إذا تقاربت المعاني تقاربا شديدا ، أو لمحاولتهم تقريب المعنى من دون أن يبينوا الفرق في استعمال هذه الحروف .

* إن الشواهد القرآنية التي قيل بوقوع النيابة أو التضمنين فيها لها ما يوجهها، ويبين شيئا من سر إثارة استعمال هذا الحرف على غيره أو هذا العامل دون ذاك، مما يؤكد دقة الاستعمال القرآني للألفاظ ، ودقة اختيارها في التعبير عن المعنى المراد .

* إن لكل حرف من حروف الجر معنى واحدا ، وإن فهمنا من السياق معنى آخر ، فما هو إلا معنى وظيفي مستفاد من السياق وليس معنى آخر للحرف، فالتعليل أو السببية مثلا الذي قيل أن الحروف (الباء، وعلى، وعن، والكاف، واللام، ومن .) تخرج إليها هي في حقيقة الأمر مستفادة من السياق وليست معنى آخر لهذه الحروف .

* إن العامل أو اللفظ الواحد لا يمكن أن يؤدي معنيين في سياق واحد – كما قيل في التضمنين – بل له معنى واحد في السياق الواحد ، أما المعنى الثاني فهو مستفاد من السياق لا من العامل أو اللفظ نفسه .

* إن الأمثلة التي قيل فيها بالتضمنين في العامل المتعدي بحرف الجر يعود لتعلق الجار والمجرور بعامل لا يصح – برأي النحويين – أن يتعلق به ؛ لاعتقادهم أن هذا العامل يتعدى بحرف دون آخر في حين أن تعديه بكل حرف يؤدي معنى غير الذي يؤديه الآخر ، أو يعود لفهم معنى لفظ غير مذكور في السياق ، وهو ما يعبر عنه أصحاب النظرية التحويلية الحديثة بوجود تركيب باطني أو بنية عميقة لكل جملة، هذا التركيب هو الذي يعطي المعنى المقصود للجملة، في حين ما ينطق به بالفعل أو يرسم بالكتابة يعبرون عنه بالتركيب الظاهري أو البنية السطحية ، وهذه البنية السطحية غالبا ما تحذف منها عناصر موجودة في التركيب الباطني ، إذ يلجأ

إلى الحذف في بعض المواضع ؛ لأن المحذوف مفهوم من السياق ، مما يستلزم الإيجاز ؛ لأن ترك الذكر في بعض المواضع يكون أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة .

* كون الحرف له معنى واحد أمر لمحاه العديد من العلماء القدامى - كما قلنا - مثل سيبويه ، إذ جعل لكل حرف من الحروف (إلى، والباء، وفي، والكاف، واللام، وعلى،) معنى واحدا ، كما لمحاه أيضا المبرد، والزمخشري، والمرادي ، إذ رأوا أن الحرف له معنى واحد وأن ما يخرج إليه من معان ترجع لذلك المعنى الأول .

١ - ثبت الكتب

* - القرآن الكريم

* - الإحكام في أصول الأحكام : الآمدي ، سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد (ت ٦٣١ هـ) ، دار الكتب الخديوية ، مط / المعارف ، مصر ، ١٣٢٣ هـ - ١٩١٤ م .

- *- الإحكام في أصول الأحكام : ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ) ، مكتبة الخانجي ، مط / السعادة ، ط / ١ ، مصر ، ١٣٤٥ هـ .
- *- ارتشاف الضرب من لسان العرب : أبو حيان الأندلسي ، أثير الدين محمد ابن يوسف (ت ٧٤٥ هـ) تد / مصطفى أحمد النماس ، مط / النسر الذهبي ، ط / ١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- *- الأزهية في علم الحروف : الهروي ، علي بن محمد النحوي (ت ٤١٥ هـ) تد / عبد المعين الملوحي ، مط / الترقى ، دمشق ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م .
- *- الأشباه والنظائر في النحو : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) تد / عبد العال سالم مكرم ، مؤسسة الرسالة ، ط / ١ ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .
- *- الأصول في النحو : ابن السراج ، أبو بكر محمد بن سهل (ت ٣١٦ هـ) ، تد / عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، ط / ٢ ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- *- إعراب القرآن (المنسوب إلى الزجاج) : الزجاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ) ، تد / إبراهيم الإبياري ، المؤسسة المصرية العامة ، مط / الأميرية ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .
- *- الأعلام : الزركلي ، خير الدين (ت ١٩٧٦ م) ، ط / ٢ ، بيروت ، ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م .
- *- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب : ابن السيد البطليوسي ، عبد الله بن محمد (ت ٥٢١ هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٣ م .
- *- أمالي الزجاجي : الزجاجي ، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (ت ٣٤٠ هـ) ، تد / عبد السلام هارون ، دار الجيل ، ط / ٢ ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- *- الأمالي الشجرية : ابن الشجري ، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي ابن حمزة (ت ٥٤٢ هـ) ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) .

*- إنباه الرواة على أنباه النحاة : القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ) ، تد / محمد ابو الفضل إبراهيم ، مط / دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م .

*- الإنصاف في مسائل الخلاف ، أبو البركات الأنباري ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧ هـ) ، تد / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، ط / ٤ ، ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .

*- البحث النحوي عند الأصوليين : مصطفى جمال الدين ، دار الرشيد ، العراق ، ١٩٨٠ م .

*- بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر ابن أيوب (ت ٧٥١ هـ) ، تد / سيد عمران ، وعامر صلاح ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

*- البرهان في علوم القرآن: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ) تد / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، مط / عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط / ١ ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

*- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ) ، تد / محمد أبو الفضل إبراهيم ، مط / عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ط / ١ ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م .

*- تاج العروس من جواهر القاموس : الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ) ، تد / عبد الكريم العزباوي ، (د.ت) .

*- تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة ، محمد بن عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ) ، تد / أحمد صقر ، دار التراث ، ط / ٢ ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

*- التأويل النحوي في القرآن الكريم: عبد الفتاح أحمد الحموز ، مكتبة الرشد، ط / ١ ، الرياض ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

*- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين (ت ٦١٦ هـ) ، تد / علي محمد البجاوي ، مط / عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٧٦ م .

*- تفسير البحر المحيط : أبو حيان الأندلسي ، أثير الدين محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ هـ) ، تد / عبد الرزاق المهدي ، مط / دار إحياء التراث العربي ، ط/١ ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

*- تفسير التحرير والتنوير : ابن عاشور ، محمد الطاهر التونسي (ت ١٢٨٤ هـ) ، مؤسسة التاريخ ، ط/١ ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .

*- التفسير العلمي للآيات الكونية : حنفي أحمد ، دار المعارف ، ط/٢ ، مصر ، (د.ت.) .

*- تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل القرشي (ت ٧٧٤ هـ) ، دار الجيل ، ط/١ ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

*- التناوب في حروف الجر في لغة القرآن : محمد حسن عواد ، دار الفرقان ، عمان ، (د . ت)

*- جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن : الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) مط / البابي الحلبي وأولاده ، ط/٣ ، مصر ، ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م .

*- الجنى الداني في حروف المعاني : المرادي ، الحسن بن أم قاسم (ت ٧٤٩ هـ) ، تد / طه محسن ، مؤسسة دار الكتب ، مط / جامعة الموصل ، ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م .

*- حاشية شرح التصريح على التوضيح : العلمي ، يس بن زين الدين (ت ١٠٦١ هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، مط / عيسى البابي الحلبي وشركاه ، مصر ، (د.ت.) .

*- الحروف العاملة في القرآن الكريم بين النحويين والبلاغيين : هادي عطيه مطر الهلالي ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط/١ ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

*- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب : البغدادي ، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣ هـ) ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت.) .

الخصائص : ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) ، تد / محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣١٤ هـ - ١٩٥٥ م .

- *- دراسات لأسلوب القرآن الكريم : محمد عبد الخالق عضيمة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مط / السعادة ، ١٩٧٢ م.
- *- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز : الخطيب الإسكافي ، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٤٢٠ هـ) ، دار الآفاق الجديدة، ط/١ ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- *- دلائل الإعجاز : الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٤٧١ هـ) تح/أبو فهر محمود محمد شاكر ، المؤسسة السعودية ، مط / المدني / ط/٣ ، القاهرة، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
- *- ديوان امرئ القيس : تح/محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط/٢ ، مصر ، ١٩٦٤ م.
- *- ديوان ذي الرمة: تح/ مطيع بيلي، المكتب الإسلامي، ط/١، دمشق، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- *- ديوان الشماخ : تد /صلاح الدين الهادي، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ م.
- *- ديوان طفيل الغنوي : تح/محمد عبد القادر أحمد ، دار الكتاب الجديد ، مط معتوق إخوان ، ط/١ ، بيروت ، ١٩٦٨ م.
- *- ديوان عنترة : تح/محمد سعيد مولوي ، المكتب الإسلامي ، مط / الشركة العربية المتحدة ، بيروت ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- *- ديوان النابغة الذبياني: تح/ فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، ١٩٦٩ م.
- *- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : الألوسي ، شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مط / المنيرية ، بيروت، (د.ت) .
- *- سر صناعة الإعراب : ابن جني ، أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) ، تح / مصطفى السقا ، ومحمد الزفزاف ، وإبراهيم مصطفى، وعبد الله أمين ، مط / البابي الجلي ، ط/١ ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م.

- *- سنن ابن ماجه: ابن ماجه، أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)،
تد/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
- *- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : ابن عقيل ، بهاء الدين عبدالله بن عقيل
العقيلي الهمداني (ت ٧٦٩ هـ) ، تد/ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ،
ط/ ١٦ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- *- شرح جمل الزجاجة : ابن عصفور الإشبيلي ، علي بن مؤمن بن محمد (ت
٦٦٩ هـ)، تد / صاحب أبو جناح ، مط / دار الكتب ، الموصل ، ج ١ : ١٩٨٠ م
، و ج ٢ : ١٩٨٢ م.
- *- شرح ديوان الفرزدق : تد / عبدالله الصاوي ، مط / الصاوي ، مصر ،
١٩٣٦ م.
- *- شرح الكافية : الرضي الإسترآبادي ، رضي الدين محمد بن الحسن (ت ٦٨٦
هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- *- شرح المفصل : ابن يعيش ، موفق الدين يعيش بن علي النحوي (ت ٦٤٣ هـ)،
مط/ المنيرية ، مصر ، (د.ت) .
- *- شعر الراعي النميري ، تد / نوري حمودي القيسي ، وهلال ناجي ، مط /
المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- *- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣
هـ)، تد / أحمد عبد الغفور عطار ، مط / دار الكتاب العربي ، مصر ، (د.ت).
- *- صحيح البخاري شرح الكرمانى (ت ٥٠٥ هـ) : مؤسسة المطبوعات الإسلامية ،
مط / البهية المصرية ، ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م .
- *- صحيح مسلم بشرح النووي (ت ٦٧٦ هـ) : تد / محمد فؤاد عبد الباقي ، دار
إحياء التراث العربي ، ط/ ٣ ، بيروت ، (د.ت) .
- *- ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي : طاهر سلمان حمودة ، الدار الجامعية
الإسكندرية ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .

- * - غرائب القرآن ورغائب الفرقان : النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد ابن الحسين القمي (ت ٧٢٨ هـ) ، تد / إبراهيم عطوة عوض ، مط/ البابي الحلبي وأولاده ، ط/١ ، مصر ، ١٣٨١ هـ - ١٩٦٢ م .
- * - الفروق في اللغة : أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل(ت ٣٩٥ هـ) دار الآفاق الجديدة ، ط/١ ، بيروت ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- * - الكافية في النحو : ابن الحاجب النحوي، جمال الدين أبو عمرو عثمان بن عمر (ت ٦٤٦ هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .
- * - الكامل : المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)، تد / محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ت) .
- * - الكتاب : سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) ، تد / أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط/١ ، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م .
- * - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت).
- * - الكليات : أبو البقاء الكفوي ، أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤ هـ)، تد / عدنان درويش ومحمد المصري ، دار الكتب الثقافية ، دمشق ، ١٩٧٥ م .
- * - لسان العرب : ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ)، تد / أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، ط/٣ ، بيروت ، (د.ت) .
- * - مجاز القرآن، : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت ٢١٠ هـ) ، تد / محمد فؤاد سزكين ، مط / الكتبي ، ط/١ ، مصر ، ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٤ م .
- * - مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤية وعلى أبيات مفردة منسوبة إليه ، تد / وليم بن الورد البروسي ، ليبسغ - برلين ، ١٩٠٣ م .
- * - المخصص : ابن سيده ، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي (ت ٤٥٨ هـ) مط/الأميرية ، ط/١ ، بولاق ، ١٣١٩ هـ .
- * - المستدرك على الصحيحين في الحديث : الحاكم النيسابوري ، أبو عبدالله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)، دار الفكر ، بيروت ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

*- مشكل إعراب القرآن : القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧ هـ)،
تد / حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، ط/٢ ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

*- المفردات في غريب القرآن : الراغب الأصبهاني ، الحسين بن محمد (ت ٥٠٢ هـ) ،
تد/ محمد أحمد خلف الله ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مط / الفنية الحديثة ،
١٩٧٠ م .

*- معاني القرآن : الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة المجاشعي (ت ٢١٥ هـ)،
تد/ فائز فارس ، مط / العصرية ، ط/٢ ، الكويت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

*- معاني القرآن : الفراء ، أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) ، ج١:تد/
أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار ، ج٢ : تد / محمد علي النجار ، ج٣:
تد/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، مط / دار الكتب والوثائق القومية ، ط/٣، القاهرة
، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م .

*- معاني النحو: فاضل السامرائي، جامعة بغداد، مط/دار الحكمة، ١٩٩٠ م .
*- معجم القراءات القرآنية:أحمد مختار عمر، وعبد العال سالم مكرم، جامعة
الكويت، ط/١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

*- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، آوند دانش ،
طهران، (د.ت) .

*- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ابن هشام، جمال الدين عبدالله بن يوسف
الأنصاري (ت ٧٦١ هـ)، تد/ مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله ، مؤسسة
الصادق للطباعة والنشر، ط/١ ، طهران ١٣٧٨ هـ .

*- المفصل: الزمخشري، جارالله أبو القاسم محمود بن عمر(ت ٥٣٨ هـ) تد/
محمد محيي الدين عبد الحميد، مط/حجازي، القاهرة، (د.ت) .

*- المقتضب : المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)، تد / محمد عبد
الخالق عزيمة، عالم الكتب ، بيروت ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

*- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم : محمد أمين الخضري ، مكتبة وهبة
، ط/١ ، القاهرة ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

- *- المنظار الهندسي للقرآن الكريم : خالد فائق العبيدي ، دار المسيرة ، ط/١ ، عمان، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- *- منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك : أبو حيان الأندلسي ، أثير الدين محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ هـ)، تح / سدي كلازر ، جمعية الأمريكان الشرقية ، ١٩٤٧ م .
- *- النحو العربي نقد وبناء : إبراهيم السامرائي ، مط / دار الصادق ، بيروت ، (د.ت) .
- *- النحو الوافي:عباس حسن، مط /دار المعارف، ط١/٤ ، مصر، ١٩٧٣ م.
- *- نشأة دراسة حروف المعاني وتطورها : هادي عطية مطر الهلالي، الموسوعة الصغيرة ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- *- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع : السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١ هـ)، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) .

٢. ثبت الرسائل والأطاريح :

- *- التضمين بين حروف الجر في القرآن الكريم : خليل إسماعيل العاني ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة بغداد ، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م .
- *- التضمين في ضوء الدراسة النحوية : محمد محمد أحمد عبد الرحمن ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الكويت ، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .
- *- دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل : محمد فاضل السامرائي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٩٥ م .
- *- ظاهرة النيابة في العربية : عبدالله صالح عمر، أطروحة دكتوراه / كلية الآداب، الجامعة المستنصرية ، ١٩٩٧ م .
- *- الكناية في القرآن الكريم : أحمد فتحي رمضان ، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب ، جامعة الموصل ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

٣ - ثبت الدوريات

- *- مجلة الجامعة الإسلامية : ظاهرة التقارض في النحو العربي ، أحمد محمد عبد الله، العدد/ ٥٩ ، الرياض، رجب ، شعبان ورمضان ، ١٤٠٣ هـ .
- *- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (مجلة المجمع العلمي العربي سابقا) : التضمين، صلاح الدين الزعبلوي،مجلد /٥٥، ج١ ، كانون الثاني (يناير) ، ١٩٨٠ م، صفر ، ١٤٠٠ هـ .
- *- مجلة مجمع اللغة العربية الملكي : التضمين ، أحمد الإسكندري ، ج/١ ، صفر ١٣٥٤ هـ - مايو ١٩٣٥ م ، مط / الأميرية، بولاق ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

"Substitution and Implications in the Holy Quran"

This Study handles Substitution and Implication the preposition in the Holy Quran .

To achieve the goals behind , it seemed appropriate to have an introduction , three chapters and the conclusions.

Here I dealt with the partial according to its meaning in language and as a term , the relation between the linguistic meaning and the terminological one was also dealt with the divisions of particles in accordance to specification and to were tackled beside this the prepositions as a type of particles are specified in use and meaning of prepositions, and their agreement disagreement , and further , the use and meaning of prepositions .

Chapter one dealt with Substitution and its meaning as a term and in use . the places said to have Substitution working one put forward beside expressions and phrases indicating it have been showed also .rhetoric of Substitution t and views of the different linguistics are posed for discussion as well as merits and demerits of havirey Substitution.

In the second chapter however . Implication in use and as a term is explained , and the places said to have Implication functioning, the expressions and phrases indicating it us rhetoric , the various views about it and its merits and demerits have all been stated

In The Third Chapter , entitled " Examples " put hand on the different Quran verses which are said to have Substitution and implication for the purpose of exploring the goal behind , the use of the preposition for this , it was the largest chapter in the thesis .

After all , we have the concluding part beside the **conclusions.**